

منهج القرآن في عرض قضايا الفوز والخسران
دراسة موضوعية تحليلية

إعداد

حمزة سالم «محمد غالب» العيسى

المشرف

الدكتور أحمد فريد أبو هزيم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
التفسير

كلية الدراسات العليا
جامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التاريخ ٢٠١٨/١٢/٢٠
التوقيع

كانون ثاني، ٢٠١٠ م

ب

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (منهج القرآن الكريم في عرض قضايا الفوز والخسران، دراسة موضوعية تحليلية) وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/٢١ م

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور أحمد فريد أبو هزيم / مشرفاً
أستاذ مشارك - التفسير وعلوم القرآن

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجلبي / عضواً
أستاذ - التفسير وعلوم القرآن

الأستاذ الدكتور نائل أبو زيد / عضواً
أستاذ - التفسير وعلوم القرآن

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي / عضواً
مشارك - التفسير - (جامعة العلوم الإسلامية العالمية)

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التاريخ التوقيع ٢٠٠٩/١٢/٢١

إهداء

أهدي هذه الدراسة إلى من حبَّ إلى العلم والتعلُّم

وبثَ في نفسي حُبَّ البحث والمناقشة

إلى والدي

الأستاذ الدكتور المهندس سالم «محمد غالب» العيسى

وأهديتها أيضاً إلى والدتي

ثم إلى مشايخي الأجلاء وأساتذتي النبلاء

شكر وتقدير

أتوّجّه بالشكر الجزييل إلى أستاذِي الفاضل؛ الدكتور أحمد فريد أبو هزيم حفظه الله تعالى، المُشرّف على هذه الرسالة، على ما أبداه لي من النصائح والتوجيهات.

وأتوّجّه بالشكر أيضاً إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، على تفضّلهم بمناقشة هذه الرسالة.

كما أشكّر كلّ من مَدَّ لي يد العون خلال عملي في هذه الرسالة، ممن أمدني بالكتب والمراجع، أو أفادني في حلّ بعض المشكلات.

ولا يفوّتني أن أشكّر أيضاً أخي وزميلي الأستاذ حمزة البكري الذي كان سندًا لي عند المشكلات في هذه الرسالة.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ب.....	قرار لجنة المناقشة
ج.....	الإهداء
د.....	شكر وتقدير
ه.....	فهرس الموضوعات
ي.....	الملخص
١.....	المقدمة
٢.....	أهمية الدراسة
٢.....	مشكلة الدراسة
٣.....	أهداف الدراسة
٣.....	الدراسات السابقة
٦.....	منهجية الدراسة
٧.....	خطة البحث
١١.....	الفصل التمهيدي: معنى المنهج ومعنى الفوز والخسران وأهميتها
١٢.....	المبحث الأول: معنى المنهج والفوز والخسران لغةً واصطلاحاً
١٣.....	المطلب الأول: معنى المنهج لغةً واصطلاحاً
١٣.....	أولاً: تعريف المنهج لغةً
١٣.....	ثانياً: تعريف المنهج اصطلاحاً
١٥.....	المطلب الثاني: معنى الفوز لغةً واصطلاحاً واستعمالاته في كتاب الله
١٥.....	أولاً: تعريف الفوز لغةً
١٨.....	ثانياً: تعريف الفوز اصطلاحاً
٢٠.....	ثالثاً: دلالة «الفوز» في كتاب الله
٢٢.....	المطلب الثالث: معنى الخسران لغةً واصطلاحاً، واستعمالاته في كتاب الله

٢٢	أولاً: تعريف الخسران لغةً
٢٣	ثانياً: تعريف الخسران اصطلاحاً.....
٢٥	ثالثاً: دلالة «الخسران» في كتاب الله.....
٢٦	المبحث الثاني: عنابة القرآن الكريم بتحصيل الفوز ودفع الخسران.....
٣٠	الفصل الأول: حديث القرآن عن الفوز والخسران.....
٣١	المبحث الأول: حديث القرآن عن الفوز.....
٣٢	المطلب الأول: حديث القرآن عن الفوز في صيغة الفعل.....
٣٢	أولاً: الفعل الماضي «فاز» في القرآن
٣٤	ثانياً: الفعل المضارع «أفوز» في القرآن.....
٣٥	المطلب الثاني: حديث القرآن عن الفوز في صيغة الاسم
٣٥	أولاً: المصدر «فوز» في القرآن.....
٤٠	ثانياً: جمع المذكر السالم «فائزون» في القرآن.....
٤٣	ثالثاً: المصدر الميمي «مفاز» في القرآن.....
٤٥	المبحث الثاني: حديث القرآن عن الخسران.....
٤٦	المطلب الأول: حديث القرآن عن الخسر في صيغة الفعل
٤٦	أولاً: الفعل الماضي «خسر» في القرآن
٥١	ثانياً: الفعل المضارع «يخسر» في القرآن
٥٣	المطلب الثاني: حديث القرآن عن الخسر في صيغة الاسم
٥٣	أولاً: المصدر «خسر» في القرآن.....
٥٣	ثانياً: المصدر السماعي «خسار» في القرآن
٥٥	ثالثاً: المصدر السماعي «خسران» في القرآن
٥٥	رابعاً: جمع المذكر السالم «خاسرون» في القرآن
٥٩	خامساً: أ فعل التفضيل «الأخسرون» في القرآن.....
٧٢	الفصل الثاني: منهج القرآن في عرض أسباب الفوز والخسران.....
٧٣	أسباب الفوز في سورة العصر

٧٣	أولاً: معنى السبب لغةً واصطلاحاً
٧٥	ثانياً: أسباب الفوز في سورة العصر
٧٩	المبحث الأول: المعاني الإيمانية وأثرها في الفوز
٨٠	المطلب الأول: تعريف الإيمان لغةً واصطلاحاً
٨٠	أولاً: الإيمان لغةً
٨١	ثانياً: الإيمان اصطلاحاً
٨٢	المطلب الثاني: أهمية الإيمان في حياة الإنسان
٨٤	المطلب الثالث: أهم القيم الإيمانية التي تبني الإنسان المؤمن
٨٤	أولاً: توحيد الله تعالى
٨٨	ثانياً: مكارم الأخلاق
٩٢	ثالثاً: العلم
٩٥	المبحث الثاني: العمل الصالح وأثره في الفوز
٩٦	المطلب الأول: أهمية العمل الصالح واقترانه بالإيمان في آيات كتاب الله
٩٩	المطلب الثاني: تنويع العمل الصالح وتعدداته
١٠٢	المبحث الثالث: التواصي بالحق والتواصي بالصبر وأثرهما في الفوز
١٠٣	المطلب الأول: التواصي بالحق وأثره في الفوز
١٠٨	المطلب الثاني: التواصي بالصبر وأثره في الفوز
١٠٨	أولاً: معنى الصبر لغةً واصطلاحاً
١٠٩	ثانياً: أهمية الصبر وفضيلته
١١٣	ثالثاً: أنواع الصبر
١١٩	الفصل الثالث: منهج القرآن في عرض مظاهر الفوز والخسران وآثارهما
١٢٠	المبحث الأول: منهج القرآن في عرض مظاهر الفوز والخسران في الدنيا
١٢١	المطلب الأول: مظاهر الفوز في الدنيا
١٢١	أولاً: الحياة الطيبة
١٢٣	ثانياً: البشرى

١٢٧.....	المطلب الثاني: مظاهر الخسران في الدنيا
١٢٧.....	أولاً: هوان العبد على ربه
١٢٧.....	ثانياً: الذل
١٢٧.....	ثالثاً: استحواد الشيطان عليه
١٢٨.....	رابعاً: استخفافه بالذنوب
١٢٩.....	المبحث الثاني: منهج القرآن في عرض آثار الفوز والخسران في الدنيا والآخرة
١٣٠.....	المطلب الأول: آثار الفوز في الدنيا والآخرة
١٣١.....	أولاً: آثار الفوز في الدنيا
١٣١.....	أ. الحصول على الخيرات
١٣٢.....	ب. الاستخلاف والتمكين
١٣٧.....	ثانياً: آثار الفوز في الآخرة
١٣٧.....	أ. البشري
١٤٠.....	ب. الخيرات
١٤١.....	ج. إلحاد من صلح من آباء وأزواج وذريات المؤمنين بهم في جنات النعيم
١٤١.....	د. الفوز الكبير
١٤٤.....	المطلب الثاني: آثار الخسران في الدنيا والآخرة
١٤٥.....	أولاً: آثار الخسران في الدنيا
١٤٥.....	أ. آثار الخسران على الفرد في الدنيا
١٤٥.....	١. فساد القلب
١٤٦.....	٢. الختم على القلب
١٤٦.....	٣. إظلام القلب
١٤٧.....	٤. سوء الخاتمة عند الموت
١٤٧.....	ب. آثار الخسران على المجتمع في الدنيا
١٤٧.....	١. إهلاك الإمام
١٥١.....	٢. إزالة النعم وحلول النقم مكانها

ط

١٥٢	٣. سلب عافية الأبدان
١٥٣	٤. سبب في الهزائم
١٥٣	٥. سبب للخسف والزلزال
١٥٤	٦. إهلاك الدواب
١٥٥	ثانياً: آثار الخسران في الآخرة
١٥٥	١. تعذيب الخاسر في قبره
١٥٥	٢. تعذيب الخاسر في الآخرة
١٥٦	٣. خسارة النفس في الآخرة
١٥٨	٤. حمولة كاسدة فاسدة تظهر للإنس والجان
١٥٩	٥. الخسران المبين
١٦٤	الخاتمة
١٦٨	الفهارس التفصيلية
١٦٩	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
١٨٢	فهرس أطراف الأحاديث النبوية
١٨٤	فهرس الأعلام المُترجمين
١٨٥	فهرس المصادر والمراجع
١٩٥	ملخص باللغة الإنجليزية

منهج القرآن في عرض قضايا الفوز والخسران دراسة موضوعية تحليلية

إعداد

حمزة سالم «محمد غالب» العيسى

المشرف

الدكتور أحمد فريد أبو هزيم

المُلْكَ

تناولت هذه الدراسة موضوعاً عظيماً في حياة كل فرد على وجه هذه المعمورة: الفوز والخسران، حيث بَيَّنَتْ ووضَّحَتْ فيها في الفصل التمهيدي: المعنى اللغوي والاصطلاحي للفوز والخسران؛ وذلك للوقوف على الفوز المرغوب فيه، والخسران المحذور منه، حقيقةً. وفي الفصل الأول تعرّضت لحديث القرآن عن الفوز والخسران.

ولا يتَّنَى الفوز أو الخسران إلا بأسبابه ومسبباته، فجاء الفصل الثاني ليعرض هذه الأسباب من منظور قرآنِي.

ثم جاء الحديث في الفصل الثالث، أولاً: عن مظاهر الفوز والخسران في الدنيا والآخرة على حد سواء، وذلك حتى يستبشر المؤمن بهذه المظاهر من أن سعيه السعي الصحيح، وتيسير ربه له لليسرى، وليس من باب الاستدراج والعياذ بالله.

وثانياً: جاء الحديث عن آثار الفوز والخسران في الدنيا والآخرة، حتى تكون آخر مُحْفَزٍ لفاعل الخير في إقباله، ولفاعل الشر في إدباره.

وَتَمَ - بحمد الله - تَبَيَّنَ ذلك بوضوحٍ واختصارٍ، وعدم تكرار بل الاقتصاد على ركائز هذا الموضوع من أسباب ومظاهر وأثار؛ لأنَّ الموضوع مُتشعبٌ طويلاً وإذا أطنت في جانب قد لا آخر ج منه، لذلك فقد تركت بعض النقاط التي قد يراها البعض لازمة للبحث، إلا أن لزوم غيرها وارتباطها المباشر بموضوع الدراسة، جعلني أترك بعض النقاط لأبحاث قادمة ودراسات مقاربة تتناولها بتخصيص أكبر وتفصيل أدق.

ولقد حاولت قدر المستطاع اتباع الصواب - فيما أراه - وعدم الاعتماد على الأقوال الضعيفة أو اتباع الأقوال المرجوة في أي مضمار، فما كان في هذه الدراسة من صواب فمن الله، وما كان من خلل فمن نفسي المقصّرة، راجياً من أساتذتنا الكرام التَّصويب، ومن الله التَّسديد والتَّوفيق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلَلٌ لَهُ وَمِنْ يَضْلُلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فمن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد أمر الناس بعبادته وطاعته، والتزام أمره ونهيه؛ لتكون لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وعليه فلا بد للمسلم أن يهتم أشد الاهتمام بتحقيق ما فيه فوزه وسعادته، والابتعاد عما فيه خسارته وهلاكه، ومع أهمية هذا الأمر، تجده يغيب عن أذهان كثير من الناس، فتراهم يعيشون في هذه الحياة الدنيا وكأنها تمضي لنهاية مجهلة، لا يُعرف مصيرها.

ولمّا كان هذا شأن البشر في حياتهم، اهتم القرآن الكريم اهتماماً خاصاً بتقرير حقيقة الفوز وحقيقة الخسران، وسلك في عرض هاتين الحقيقتين منهجاً خاصاً، موضحاً ذلك بأساليب متعددة، مبيناً الأسباب والمظاهر التي تؤدي ب أصحابها إلى الفوز، وتلك التي تؤدي ب أصحابها إلى الخسران، مذكراً بأثر التزام ما قرره في ذلك على حياة المسلم في الدنيا والآخرة.

ومع تقرير هذه الحقيقة أرى أن موضوع الفوز والخسران قد غاب عن حياة كثير من المسلمين المعاصرين، أو غُيّب وحلّ مكانه الحياة المادية الدنيوية، التي تتفق بالمصالح العاجلة، مغلقين آذانهم وعقولهم عن كل ما هو حقيقي، لياتصقوا بالمظاهر الخداعة، والعادات المصطنعة البالية، ونسوا أو تناسوا هذا المنهج الرباني العظيم الذي رسمه الله تعالى لنا، حيث بين الأسباب ونتائجها، وعرضها بوضوح وبساطة، في كتاب الهدى الذي لن يضل من تمسك به إلى يوم الدين، كتابه العظيم، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

وتناولت في هذه الدراسة: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل من الفوز والخسران، ثم أبرزت عناية القرآن الكريم بتحصيل الفوز ودفع الخسران، وبعد ذلك أنتقلت للحديث عن منهج القرآن في عرض أسباب الفوز والخسران، فالمظاهر، وختمت بالآثار والنتائج.

* أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة، من خلال:

- تناولها للإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض، وهو محور هذا الوجود وركنه الأساسي، حيث تتناول هذه الدراسة هذا الإنسان من خلال عرض التصور القرآني لحقيقة فوزه أو خسارته، وأسبابهما، ومظاهرهما، وأثارهما في حياته الدنيوية والأخروية.
- اهتمام القرآن الكريم البالغ بتقرير حقيقة الفوز وحقيقة الخسارة، حيث وردت مادة الفوز تسعًا وعشرين مرة في سبع وعشرين آية، وكان ذلك في واحد وعشرين سورة، ووردت مادة الخسارة في القرآن خمساً وستين مرة في واحد وثلاثين آية، وكان ذلك في خمس وثلاثين سورة، وهذه الكثرة في الآيات وال سور، تؤكد لنا أن منهجاً قرآنياً عرضها، إلا أن هذا المنهج لم تسلط عليه الأضواء بدراسة متخصصة.
- ربط الفوز والخسارة الفردي والجماعي بنهاية الحضارات وأضمحلالها.
- الوقوف على معالم المنهج القرآني في عرض هذا الموضوع يعطي تصوراً شاملأً له في ذهن العالم والواعظ والداعية وطالب العلم، مما يعني استيعاباً صحيحاً، وذلك يساعدهم في تبليغه إلى الناس عامة ليوتني ثماره.

* مشكلة الدراسة:

للفوز والخسارة أهمية بالغة في حياة الإنسان، ولهما أثر كبير واضح على مستوى الفرد والجماعة، ومع ذلك فإننا نلمس عدم نضوج الوعي لدى الناس فيما يتعلق بقضايا الفوز والخسارة، وكيفية المسير على هذا الطريق الذي وضعه الله تعالى، وبين أسبابه ومظاهره في كتابه العظيم.

ولأن هذا الموضوع لم يفرد بدراسة تحليلية متكاملة من جميع جوانبه، حيث نرى أقوال المفسرين فيه مبنوّة في مواضع كثيرة ومتفرقة من تفاسيرهم، بحيث يصعب على طالبها الوقوف عليها بصورة واضحة متكاملة، لذلك كان لا بد من إفراد هذا الموضوع بدراسة متخصصة.

ومن هنا فإن هذه الدراسة تحاول أن تجيب عن الأسئلة التالية:

- ما هو المعنى الدقيق الذي قررته القرآن الكريم لمفهومي «الفوز» و«الخسران»؟
- ما هي الأسباب الموجبة للفوز والموجبة للخسران؟
- ما هي مظاهر وأثار الفوز والخسران على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة؟
- ما هي أساليب وسمات المنهج القرآني في عرض قضایا الفوز والخسران؟

* أهداف الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة إلى:

- تجلية حقيقة الفوز وحقيقة الخسران كما بينها القرآن الكريم، مع الوقوف على منهج القرآن وأساليبه في عرض هاتين الحقيقتين، والأسباب والمظاهر التي قررها لتحصيل الفوز والنجاة من الخسران، وربط الفوز والخسران الفردي والجماعي بنھوض الحضارات والأمم وسقوطها وأضمحلالها.
- رفد الجانب الدعوي والوعظي بمادة علمية زاخرة ومتكاملة لهذا الموضوع بمنهجية قرآنية.
- دراسة مجموعة من آيات القرآن الكريم، وتحليل ألفاظها ومعانيها، والوقوف على أسرار التعبير القرآني.

* الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث أو دراسة متخصصة في هذا الموضوع - في حدود ما أعلم - إنما توجد رسائل جامعية معاصرة، متصلة ببعض مفردات هذا الموضوع، إلا أنها لم تتطرق إليه كدراسة موضوعية متكاملة، ومن هذه الرسائل:

أولاً: «الجزاء الدنيوي في القرآن الكريم» إعداد: عبد الله محمد طلب الجيوسي، إشراف الدكتور: أحمد نوفل، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

تحدثت هذه الدراسة عن الجزاء الدنيوي فقط، ولم تتعرض للجزاء الآخروي، وكان بحث الجزاء فيها من حيث معناه وأهميته وضرورته وميزاته وأثاره.

وتتصل هذه الدراسة بموضوع دراستي من حيث إن الجزاء الديني هو أثر للفوز أو الخسران في الدنيا، وهو الذي بحثته هذه الدراسة، إلا أنها لم تطرق إلى الجزاء الآخر للفوز أو الخسران - تبعاً لموضوعها .-

وتشير دراستي بأن آثار الفوز والخسران في الدنيا والآخرة، ما هي إلا مفردة من مفرداتها، ففي دراستي يبحث جميع أسباب الفوز والخسران في الدنيا والآخرة، ومظاهرهما، وأثر ذلك على الفرد والمجتمع.

ثانياً: «جزاء الإيمان والكفر في ضوء القرآن الكريم» إعداد: حسين درويش مطر الشمري، إشراف الدكتور: علي حسن رضوان، جامعة الكويت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

تحديث هذه الدراسة عن الجزاء المترتب على الإيمان والكفر فقط، فتناولت مفهوم الجزاء وأنواعه، ثم أهدافه وحدوده، لذلك فإن هذه الدراسة تتصل بموضوع الفوز والخسران من حيث إن الجزاء هو أثر من آثار الفوز والخسران، لكن هذا الأثر عام وغير مخصص؛ لأنه مقيد بأسباب عامة هي الإيمان والكفر، وتشير دراستي بأنها ستتناول جميع الأسباب التي تؤدي إلى الفوز أو الخسران، وكذلك مظاهرهما وأثارهما في الدنيا والآخرة وعلى الفرد والمجتمع.

ثالثاً: رسالتان جامعتان تحدثتا عن الهدى والضلal دراسة قرآنية، وهي:

- «الهدى والضلال: دراسة قرآنية» إعداد: أمانى عبد الله جميل الطولي، إشراف الدكتور: محمد طاهر الجوابي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- «الضلال: أسبابه وعلاجه في ضوء القرآن الكريم» إعداد: محمد عبد الله صالح الضالع، إشراف الدكتور: محمد صالح المديفر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

ولم أقف على هاتين الرسالتين، إلا أنه يظهر من عنوان كل واحدة منها أنها تتصل بدراساتي من حيث إن الهدى والضلال مظهران من مظاهر الفوز والخسران، لذلك فمثل هذه الدراسات لم تتناول سائر المظاهر التي تؤدي إلى الفوز والخسران، أما دراستي فستتطرق إلى جميع هذه المظاهر، وتقوم ببيان علاقتها مع الفوز والخسران.

رابعاً: ثالث رسائل جامعية تحدثت عن الهلاك وأسبابه، وهي:

- «أسباب هلاك الأمم السالفة كما ورد في القرآن الكريم: دراسة وتحليل» إعداد: سعيد محمد بابا سيلا، إشراف الدكتور: طلال بن مصفي عرقاوي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- «الآيات الواردة في هلاك الأمم: دراسة موضوعية» إعداد: عمر سلامة سليمان البرصان، إشراف الدكتور: عبد الرحيم أحمد الزقة، جامعة آل البيت، رسالة ماجستير، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- «آيات الهلاك في القرآن الكريم» إعداد: فرحان خالد، جامعة صدام للعلوم الإسلامية، رسالة ماجستير.

ولم أقف على هذه الرسائل، إلا أنه يظهر من عناوينها أنها تحدثت عن الهلاك وأسبابه، وقد ربطت أول دراستين ذلك بأسباب هلاك الأمم السالفة، فهي تتصل بدراستي من جهة أن الهلاك - الذي بحثت - ما هو إلا مظاهر من مظاهر الخسنان، وذلك يعني أنها لم تتناول سائر مظاهر الخسنان، فضلاً عن مظاهر الفوز، كما سأقوم به في دراستي - إن شاء الله -. .

خامساً: بحثان محكمان في «سورة العصر»:

- «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلالات تربوية»، للدكتور أحمد فريد أبو هزيم، أستاذ التفسير في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية.
- «يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر»، للدكتور أحمد محمد الشرقاوي، أستاذ التفسير بجامعة الأزهر.

وتناول البحثان دراسة تحليلية لسورة العصر، التي ذكرت أسباب النجاة من الخسنان، ولذلك لم تكن بحوثاً متكاملةً، شملت موضوع الفوز والخسنان من جميع جوانبه التي سأتناولها في دراستي، من أسبابٍ ومظاهرٍ وآثارٍ ومعانٍ ودلالاتٍ ولطائف، والله الموفق.

* منهجية الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على ثلاثة مناهج:

أولاً: المنهج الاستقرائي: حيث قمت باستقراء جميع الآيات المتعلقة بقضايا الفوز والخسران، وترتيبها ترتيباً منهجياً موضوعياً.

ثانياً: المنهج التحليلي: حيث قمت بدراسة هذه الآيات دراسة تحليلية، من حيث الأساليب القرآنية في عرض قضايا الفوز والخسران؛ لاستبطاط الأسباب والمظاهر والآثار لكل منها، وذلك للخروج بفكرة علمية متكاملة.

ثالثاً: المنهج الوصفي - الاستباطي -: حيث ذكرت ما تلخص لي من نتائج ودلالات في منهج العرض القرآني لهذه القضية.

وقد سلكت في هذه الدراسة الخطوات التالية:

- استقرأت الآيات التي وردت فيها لفظة من مشتقات الفوز أو الخسران، ولم أتناول الألفاظ المقاربة لهما.

- صنفت هذه الآيات ورتبتها وفق أساليب عرض هذا الموضوع.

- حلت ألفاظ هذه الآيات ومعانيها، وأبرزت بلاغة التعبير القرآني فيها.

- استنبطت مظاهر وآثار الفوز والخسران، وأسبابهما، للخروج بفكرة علمية متكاملة في الموضوع.

- والتزمت في دراستي هذه، الرجوع إلى المصادر الأصلية في التفسير، ملتزماً بقواعد التوثيق العلمي، كما قمت بترقيم جميع الآيات الواردة في الدراسة، وخرجت الأحاديث النبوية الشريفة وحكمت عليها إن لم تكن في «الصحيحين»، وترجمت للأعلام الواردة في الرسالة، ما عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصحابة رضي الله عنهم.

- كما ضبطت بالشكل الكلمات التي تحتاج إلى ذلك، وبيّنت معاني بعض الكلمات في الحاشية إن كانت تحتاج إلى ذلك.

- وحاولت أن أعرض مفردات هذه الدراسة بأسلوب سهل ميسر، من غير إطباب ممل، ولا اختصار مخل، والله الموفق.

* خطة البحث:

الفصل التمهيدي: معنى المنهج ومعنى الفوز والخسران وأهميتهما:

المبحث الأول: معنى المنهج والفوز والخسران لغةً واصطلاحاً:

المطلب الأول: معنى المنهج لغةً واصطلاحاً:

أولاً: تعريف المنهج لغةً.

ثانياً: تعريف المنهج اصطلاحاً.

المطلب الثاني: معنى الفوز لغةً واصطلاحاً واستعمالاته في كتاب الله:

أولاً: تعريف الفوز لغةً.

ثانياً: تعريف الفوز اصطلاحاً.

ثالثاً: دلالة «الفوز» في كتاب الله.

المطلب الثالث: معنى الخسران لغةً واصطلاحاً، واستعمالاته في كتاب الله:

أولاً: تعريف الخسران لغةً.

ثانياً: تعريف الخسران اصطلاحاً.

ثالثاً: دلالة «الخسران» في كتاب الله.

المبحث الثاني: عناية القرآن الكريم بتحصيل الفوز ودفع الخسران.

الفصل الأول: حديث القرآن عن الفوز والخسران

المبحث الأول: حديث القرآن عن الفوز

المطلب الأول: حديث القرآن عن الفوز في صيغة الفعل

أولاً: الفعل الماضي «فاز» في القرآن

ثانياً: الفعل المضارع «أفوز» في القرآن

المطلب الثاني: حديث القرآن عن الفوز في صيغة الاسم

أولاً: المصدر «فوز» في القرآن

ثانياً: جمع المذكر السالم «فائزون» في القرآن

ثالثاً: المصدر الميمي «مفاز» في القرآن

المبحث الثاني: حديث القرآن عن الخسران

المطلب الأول: حديث القرآن عن الخسر في صيغة الفعل

أولاً: الفعل الماضي «خسر» في القرآن

ثانياً: الفعل المضارع «يخسر» في القرآن

المطلب الثاني: حديث القرآن عن الخسر في صيغة الاسم

أولاً: المصدر «خسر» في القرآن

ثانياً: المصدر السماعي «خسار» في القرآن

ثالثاً: المصدر السماعي «خسران» في القرآن

رابعاً: جمع المذكر السالم «خاسرون» في القرآن

خامساً: فعل التفضيل «الأخسرون» في القرآن

الفصل الثاني: منهج القرآن في عرض أسباب الفوز والخسران:

أسباب الفوز في سورة العصر.

أولاً: معنى السبب لغةً واصطلاحاً.

ثانياً: أسباب الفوز في سورة العصر.

المبحث الأول: المعاني الإيمانية وأثرها في الفوز:

المطلب الأول: تعريف الإيمان لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الإيمان لغةً.

ثانياً: الإيمان اصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية الإيمان في حياة الإنسان.

المطلب الثالث: أهم القيم الإيمانية التي تبني الإنسان المؤمن:

أولاً: توحيد الله تعالى.

ثانياً: مكارم الأخلاق.

ثالثاً: العلم.

المبحث الثاني: العمل الصالح وأثره في الفوز.

المطلب الأول: أهمية العمل الصالح واقترانه بالإيمان في آيات كتاب الله.

المطلب الثاني: تنوّع العمل الصالح وتعدده.

المبحث الثالث: التواصي بالحق والتواصي بالصبر وأثرهما في الفوز.

المطلب الأول: التواصي بالحق وأثره في الفوز.

المطلب الثاني: التواصي بالصبر وأثره في الفوز:

أولاً: معنى الصبر لغةً واصطلاحاً.

ثانياً: أهمية الصبر وفضيلته.

ثالثاً: أنواع الصبر.

الفصل الثالث: منهج القرآن في عرض مظاهر الفوز والخسران وأثارهما:

المبحث الأول: منهج القرآن في عرض مظاهر الفوز والخسران في الدنيا:

المطلب الأول: مظاهر الفوز في الدنيا:

أولاً: الحياة الطيبة.

ثانياً: البشري.

المطلب الثاني: مظاهر الخسران في الدنيا:

أولاً: هوان العبد على ربه.

ثانياً: الذل.

ثالثاً: استحواذ الشيطان عليه.

رابعاً: استخفافه بالذنوب.

المبحث الثاني: منهج القرآن في عرض آثار الفوز والخسران في الدنيا والآخرة:

المطلب الأول: آثار الفوز في الدنيا والآخرة:

أولاً: آثار الفوز في الدنيا:

أ. الحصول على الخيرات.

ب. الاستخلاف والتمكين.

ثانياً: آثار الفوز في الآخرة:

أ. البشري.

ب. الخيرات.

ج. الحق من صلح من آباء وأزواج وذريات المؤمنين بهم في جنات النعيم.

د. الفوز الكبير.

المطلب الثاني: آثار الخسران في الدنيا والآخرة:

أولاً: آثار الخسران في الدنيا:

أ. آثار الخسران على الفرد في الدنيا:

١. فساد القلب.

٢. الختم على القلب.

٣. إطلام القلب.

٤. سوء الخاتمة عند الموت.

ب. آثار الخسران على المجتمع في الدنيا:

١. إهلاك الأئم.

٢. إزالة النعم وحلول النقم مكانها.

٣. سلب عافية الأبدان.

٤. سبب في الهزائم.

٥. سبب للخسوف والزلزال.

٦. إهلاك الدواب.

ثانياً: آثار الخسران في الآخرة:

١. تعذيب الخاسر في قبره.

٢. تعذيب الخاسر في الآخرة.

٣. خسارة النفس في الآخرة.

٤. حمولة كاسدة فاسدة تظهر للإنس والجان.

٥. الخسران المبين.

الخاتمة، بالنتائج والتوصيات.

الفصل التمهيدي

معنى المنهج، ومعنى الفوز والخسران وأهميتهما

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى المنهج والفوز والخسران لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: عناية القرآن الكريم بأهمية تحصيل الفوز ودفع الخسران.

المبحث الأول

معنى المنهج والفوز والخسران لغةً واصطلاحاً

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى المنهج لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: معنى الفوز لغةً واصطلاحاً، واستعمالاته في كتاب الله.

المطلب الثالث: معنى الخسران لغةً واصطلاحاً، واستعمالاته في كتاب الله.

المطلب الأول: معنى المنهج لغةً واصطلاحاً

أولاً: المنهج في اللغة: قال ابن فارس^(١): «المنهج: مُشتقٌ من الجذر «نهج»، والنون والهاء والجيم، أصلان مُتباعدةان: الأول: النهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه. والثاني: الانقطاع: أتاني فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً مُنقطع النفس، وضررت فلاناً حتى أنهج، أي: سقط، ونهج الثوب وأنهج: بان فيه أثر البلى»^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: «النهج: الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج واضح، ومنهج الطريق ومنهاجه، قال تعالى: ﴿لَكُلٌّ جَعَلَنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، ومنه قولهم: نهج الثوب وأنهج بان فيه أثر البلى، وقد أنهج البلى»^(٣).

والمنهج: «المسالك والمذهب»^(٤)، وقال المبرد^(٥): «الشريعة: ابتداء الطريق، والمنهج: الطريق المستمر»^(٦).

ثانياً: تعريف المنهج اصطلاحاً: فقد اختلف العلماء فيه:

فقيل: «المنهج في أبسط تعريفاته وأسلملها: طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة»^(٧).

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي، أبو الحسن اللغوي المالكي الهمданى، (ت ٣٩٥ هـ)، وقيل عام ٣٩٠ هـ، من تصانيفه: «اختلاف النحاة»، و«فقه اللغة»، و«كتاب الحماسة»، و«الجمل في اللغة»، و«مقاييس اللغة»، و«الوجوه والنظائر». تنظر ترجمته: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت ١٩٧٦ م)، «الأعلام»، ط٥، ١م، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥ هـ)، «مقاييس اللغة»، ب. ط، ٦م، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ج ٥، ص ٢٨٨.

(٣) الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني (ت ٤٠٣ هـ)، «معجم مفردات ألفاظ القرآن»، ط١، (تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي)، دار الفكر، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ص ٣٨٣.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنباري، (ت ٧١١ هـ)، «لسان العرب»، ط١، ١٥م، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٣٨٣.

(٥) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المعروف بالمبред، ولد بالبصرة، ١٠ ذو الحجة ٢١٠ هـ - ٢٨٦ هـ، وهو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، من أشهر مؤلفاته: «الكامل»، و«المقتضب». تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٧، ص ١٤٤.

(٦) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٣٨ هـ)، «معاني القرآن»، ط١، ٦م، (تحقيق: محمد علي الصابوني)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ج ٢، ص ٣١٨، وينظر: القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج ٦، ص ٢١، والشوكانى، «فتح القدير»، ج ٢، ص ٤٨، والعينى، «عمدة القاري»، ج ١٨، ص ١٩٨.

(٧) الطاهر، د. علي جواد، «منهج البحث الأدبي»، ط٢، مكتبة النهضة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، ص ١٥.

وقيل: «المنهج: هو الطُّرِيقُ الواضُحُ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ شَيْءٍ، أَوْ فِي عَمَلِ شَيْءٍ، أَوْ فِي تَعْلُمِ شَيْءٍ، طِبَّقَا لِمَبَادِئِ معيَّنةٍ»^(١). وقيل: «المنهج: هو القواعد الأساسية التي ينطلق منها الباحث، وهذه القواعد ضوابط تضبط عمله كله، بخطواته ومراحله، وتتصبّع جهده كله بصبغتها»^(٢).

وهناك فرق بين المنهج والطريقة، فالطريقة: هي تطبيق القواعد والأسس المنهجية، والأسلوب الذي يسلكه الباحث في بحثه^(٣).

والذي أستنتاجه من هذه التعريفات أن المنهج القرآني هو: الطريق الواضح البين الذي سلكه القرآن الكريم في التعبير عن شيء معين بأساليب متعددة؛ للوصول إلى حقيقة قاطعة.

والذي يعنيني في دراستي أن أحدد المنهج أنه: الطريق الواضح البين، الذي سلكه القرآن الكريم، في التعبير عن الفوز والخسران بأساليب متعددة؛ للوصول إلى تقرير حقيقتها.

= قوله: «في أبسط تعريفاته»، خطأ شائع، والصواب أن يقول: «في أيسر تعريفاته»، فالبسط هو: امتداد الشيء، وهو نقىض القبض، وبسط الشيء نشره، والبسطة: السعة. ينظر: الفراهيدي، «العين»، ج ٧، ص ٢١٧، والجوهري، «الصحاب»، ج ٣، ١١٦، وأبن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ١، ص ٢٣٤. وأما أيسر فهي من الجذر (يُسْر)، يقول ابن فارس: الياء والسين والراء: أصلان يدلُّ أحدهما على افتتاح شيءٍ وخُفته، وجاء في اللسان: اليسْر: هو اللين والانقياد. ينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٦، ص ١١٩، وأبن منظور، «لسان العرب»، ج ٥، ص ٢٩٥.

(١) مسلم، د. مصطفى، «مناهج المفسرين»، ط ١، دار المسلم، هـ ١٤١٠ - م ١٩٨٩.

(٢) الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، «التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق»، ط ١، دار النافاش، عمان، الأردن، هـ ١٤١٨ - م ١٩٩٧، ص ٦١-٦٠.

(٣) ينظر: الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، «تعريف الدارسين بمناهج المفسرين»، ط ٢، دار القلم، دمشق، هـ ١٣٢٧ - م ٢٠٠٦، ص ١٨.

المطلب الثاني: معنى الفوز لغةً واصطلاحاً، واستعمالاته في كتاب الله:

أولاً: تعريف الفوز لغةً:

قال ابن فارس: «الفاء والواو والزاء، كلمتان متضادتان. الأولى: النجاة، والأخرى: الهلاكة. فالأولى قولهم: فازَ يفوز، إذا نجا، وهو فائز، وفاز بالأمر، إذا ذهب به وخلص، والكلمة الأخرى قولهم: فَوْزَ الرَّجُلِ، إذا مات»^(١)، ومنه قول كعب بن زهير^(٢):

فَمَنْ لِقَوْافِي شَانِهَا^(٣) مِنْ يَحْوِكُهَا
إِذَا مَا ثَوِيَ^(٤) كَعْبٌ وَفَوْزَ^(٥) جَرْوَلُ^(٦)

يَقُولُ فَلَا يَعْيَا بِشَيْءٍ يَقُولُه
وَمِنْ قَاتِلِهَا مِنْ يُسِيءُ وَيَعْمَلُ^(٧)

قلت: الجمع بين النجاة والهلاكة في معنى الفوز محال، والراجح في معنى الفوز: النجاة، أما الهلاكه فهي معنى (فوز)، وهي غير (فُوز).

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٤، ص ٣٦٧.

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب، (ت ٢٦ هـ)، شاعر عالي الطبة، من أهل نجد، كان من اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ، وأقام يُشَبَّه - أي: يتغزل - بنساء المسلمين، فأهدر النبي ﷺ دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم وأنشد له لامته المشهورة التي مطلعها: «بانت سعاد فقلبي اليوم متبول» فعفا عنه النبي ﷺ، وخلع عليه بردته. ينظر: الجمحى، محمد بن سلام (ت ٢٣١ هـ)، «طبقات فحول الشعراء»، ب.ط، ٢م، (قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدنى، القاهرة، ١٩٧٦م، ج ١، ص ٩٧ وما بعدها.

(٣) أي: جاء بها شأننة، أي: معيبة. ينظر: ابن منظور، «لسان العرب»، ج ٥، ص ٣٩٢.

(٤) أي: مات. وفي بعض الروايات: توى، وهي بنفس المعنى. ينظر: ابن منظور، «لسان العرب» ج ٥، ص ٣٩٢.

(٥) أي: مات. ينظر: ابن منظور، «لسان العرب» ج ٥، ص ٣٩٢.

(٦) يعني به الحطّيّة. ينظر: ابن منظور، «لسان العرب» ج ٥، ص ٣٩٢.

(٧) ينظر: ابن منظور، «لسان العرب»، ج ٥، ص ٣٩٢، ومعنى البيت: يزعم كعب أنه والحطّيّة يتفوقان على كل من عداهما في تقدير أشعارهما وأخذها بكل ما يمكن من تنقيح وتعديل، وكان ذلك بعد أن طلب الحطّيّة من كعب أن يقول شعراً بيده بنفسه ثم يثني به حتى يذكره الرواية.

قال الراغب^(١): «الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة»^(٢). وقال أيضاً عن معنى (فَوْز): «فإن يكن فَوْزَ معنى: هلك، صحيحًا، فذلك راجع إلى الفوز تصوراً لمن مات بأنه نجا من حُبْلَةِ الدنيا، فالموت وإن كان من وجهه هُلْكَاً فمن وجهه فَوْزٌ، ولذلك قيل: ما أحد إلا الموت خير له، هذا إذا اعتبر بحال الدنيا، فاما إذا اعتبر بحال الآخرة فيما يصل إليه من النعيم فهو الفوز الكبير: ﴿فَمَنْ رُحِّنَ عَنِ الْأَنْتَارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]^(٣).

والمفازة: «الصحراء»^(٤)، واختلف في سبب تسميتها بذلك، فقال الأصمسي^(٥): «سُمِّيَتْ بذلك تفاولاً لراكبها بالسلامة والنجاة»^(٦). وقال ابن الأعرابي^(٧): «سُمِّيَتْ بذلك لأنها مَهْلَكة، من فَوْزِ أي: هلك»^(٨).

(١) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (ت ٤٠٣ هـ)، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالى. من أشهر مصنفاته: «محاضرات الأدباء»، و«الأخلاق»، و«المفردات في غريب القرآن»، و«حل مشابهات القرآن». تنظر ترجمته: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٨٤ هـ)، «سير أعلام النبلاء»، ط ٢٥، م ١، الشيخ شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ج ١٨، ص ١٢٠، والسيوطى، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)، «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، ب. ط، م ٢، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ج ٢، ص ١٨٠، والزرکي، «الأعلام» ج ٢، ص ٢٥٥).

(٢) الراغب، «المفردات»، ص ٢٩٢.

(٣) الراغب، «المفردات»، ص ٢٩٢.

(٤) ابن منظور، «لسان العرب»، ج ٥، ص ٣٩٢.

(٥) هو عبد الملك بن قریب بن علي بن أصم الباهلي، أبو سعيد الأصمسي، (ت ٢١٦ هـ)، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، من أشهر كتبه: «الأضداد»، و«خلق الإنسان»، و«المترادف»، وللمستشرق الألماني: (وليم أهلوارد - Vilhelm Ahlwardt) كتاباً سمّاه: «الأصمسيات» جمع فيه بعض القصائد التي نفرد الأصمسي بروايتها. تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام» ج ٤، ص ١٦٢.

(٦) ابن منظور، «لسان العرب»، ج ٥، ص ٣٩٢.

(٧) هو محمد بن زياد، الراوي النسابة، أحد أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها، (ت ٢٣١ هـ). ينظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)، «معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ج ٣، ص ٣٠٧.

(٨) ابن منظور، «لسان العرب»، ج ٥، ص ٣٩٢.

والراوح القول الأول بدليل قول الشاعر^(١):

فَوْزٌ مِّنْ قُرَاقِيرٍ إِلَى سُوَىٰ .
الله دُرٌّ رافعٌ أَنَّى اهتدى

والمقارنة: المنجاة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسِبُهُمْ يُمَفَّازُونَ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، فهي مصدر «فاز»، والاسم «الفوز»، أي: لا تحسبهم يفوزون ويتحلصون من العذاب. قال الفراء^(٢): «معناه: بعيد من العذاب»^(٣).

وقال ابن منظور^(٤): «إن قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبا: ٣١ - ٣٢]؛ إنما أراد مُوجبات مَفَازٍ، ولا يجوز أن يكون المفاز هنا اسم الموضع؛ لأن الحدائق والأعناب لسن مواضعًا^(٥). على غير ما قال الراغب بأنها مكان فوز^(٦).

قلت: قول الراغب له وجه صحيح أيضًا، فالحدائق موضع، أما الأعناب فالمراد بساتين الأعناب وجذاتها، على حذف المضاف. والراوح أن (مفاز): مصدر ميمي، ويمكن أن تكون اسم مكان، والله أعلم.

(١) الرجز لشاعر من المسلمين يقوله في رافع بن عميرة الطائي، وكان رافع دليل خالد بن الوليد في السير من قرار، وقرار وسوى هي مواضع ماء. ينظر: الطبرى، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، «تاريخ الأمم والملوك»، ط١، ١، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار سودان، بيروت، في حوادث سنة ١٣ هـ، ج ٣، ص ٤٦، والحموى، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)، «معجم البلدان»، ٥، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩ - ١٣٩٩ هـ، ج ٣، ص ٢٧١.

(٢) ينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة» ج ٤، ص ٣٦٧، ومعنى البيت: مدح رافع بن عميرة؛ حيث مضى في المفازة - الصحراء - بجيش خالد بن الوليد، ولم يهلك أو يُهلك.

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولىبني أسد (أو بني منقر) أبو ذكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بال نحو واللغة وفنون الأدب (ت ٢٠٧ هـ)، من أشهر كتبه: «المقصور والممدود»، و«معاني القرآن»، و«المذكر والمؤنث». ينظر: الزركلى، «الأعلام»، ج ٨، ص ١٤٦.

(٤) الفراء، أبو ذكرياء يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ)، «معاني القرآن»، ٣، (تحقيق: يوسف نجاتي، ومحمد علي نجار، وعبد الفتاح إسماعيل شibli)، دار المصرية للتاليف والترجمة، مصر، ج ١، ص ٢٥٠، وينظر: ابن منظور، «لسان العرب»، ج ٥، ص ٣٩٢.

(٥) هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنباري الرويقي الإفريقي، (ت ٧١١ هـ)، الإمام اللغوي الحجة، من أشهر مصنفاته: «لسان العرب» جمع فيه أمهات كتب اللغة، و«مختر الأغاني»، و«مختصر مفردات ابن البيطار». تنظر ترجمته: الزركلى، «الأعلام»، ج ٧، ص ١٠٨، وكحالة، «معجم المؤلفين»، ج ٣، ص ٧٣١.

(٦) ابن منظور، «لسان العرب»، ج ٥، ص ٣٩٢.

(٧) ينظر: الراغب، «المفردات»، ص ٢٩٢.

مُلخص ما ذكره علماء اللغة حول مدلول كلمة «الفوز»:

أ. الفوز: فاز يفوز فوزاً نجى، وهو الظفر بالخير مع حصول السلمة.

ب. التقويز: فَوْز تقويزاً: هلاك.

ج. المفازة: الصحراء، وسميت بذلك تفاؤلاً لراكبها بالسلامة النّجاة في قطعها.

ثانياً: تعريف الفوز اصطلاحاً:

قال إمام المفسرين وشيخهم الطبراني^(١): «الفوز: هو الظفر بالحاجة والطلب^(٢) والنّجاة من النار»^(٣).

وقال ابن كثير^(٤): «الفوز: هو حصول الربح ونفي الخسار»^(٥).

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبراني، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل في طبرستان عام ٢٢٤ هـ وتوفي عام ٣١٠ هـ، من أشهر مؤلفاته: «أخبار الرسل والملوك»، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، «اختلاف الفقهاء». تنظر ترجمته: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)، «البداية والنهاية»، ط١٤، م١٤، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم، د. علي نجيب، الأستاذ مهدي ناصر الدين، الأستاذ علي عبد السائب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ج١١، ص١٥٦ - ١٥٧، والزركي، «الأعلام»، ج٦، ص٦٩.

(٢) أي: ما طلبه، وإدراك الحاجة من التّتبع والطلب. ينظر: الفراهيدي، «العين»، ج٧، ص٤٣٠، باب الطاء والباء، وابن منظور، «لسان العرب»، ج١، ص٥٥٩.

(٣) الطبراني، «جامع البيان»، ج٦، ص٥٨٢.

(٤) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه، (ت ٧٧٤ هـ)، من أشهر مصنفاته: «تفسير القرآن العظيم»، و«البداية والنهاية». تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج١،

(٥) هن كثيرون، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، م٨، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج٢، ص١١٩.

وقال ابن عطية^(١): «الفوز: هو نيل البغية»^(٢).

أما الجزائري^(٣) فقال: «الفوز: هو النجاة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب»^(٤). وقال أيضاً: «الفوز الحق: هو الزحزحة عن النار ودخول الجنة»^(٥).

و هذه التعريفات مقاربة المعنى، والمتذمّر في أقوال المفسرين السابقة يتبيّن له أن تحقيق الفوز في الدنيا يستمر ويذوم حتى يجيء الفائز ثمراته في الآخرة، بمعنى أن الظفر وإدراك الْبُغْيَة فوز وفلاح في الدنيا والآخرة.

(١) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاري، من ملوك قيس، الغناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالاحكام والحديث، له شعر. ولد قضاء المرية، وتوفي ببلورقة عام ٢٥٤ هـ. من أشهر مصنفاته: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٣، ص ٢٨٢.

(٢) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٤٥٢ هـ)، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ط١، ١٥١ م، (تحقيق وتعليق: عبد الله ابن إبراهيم الأننصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم)، الدوحة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ج ١٣، ص ٣٢٣.

(٣) هو جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ولد في قرية ليرة جنوب بلاد الجزائر عام ١٩٢١م، من أشهر مصنفاته: «أيسير التفاسير للقرآن الكريم». تنظر ترجمته: الموقع الإلكتروني: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المسجد النبوي، المدرسون، جابر بن موسى، أبو بكر الجزائري، <http://www.madrasatulmasnoon.com/tarjamatulhabib>

(٤) الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، «أيسير التفاسير لكلام العلي الكبير»، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ج٥، ص٥٥٨.

^٥ الحزائمه، «أسد التقاسيد»، ٢٢١، ص ٤٤.

ثالثاً: دلالة «الفوز» في كتاب الله:

من خلال استقرائي لجميع اشتقاقات مادة الفوز في القرآن الكريم، فقد تبين لي أنها أتت بمعنى واحد، وهو النّجاة، وجاءت فعلاً ماضياً، ومضارعاً، ومصدراً، واسم فاعلٍ، واسم مكانٍ.

أولاً: جاء الفوز بمعنى النّجاة والظفر بالخير والأمنية في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةٌ الْمَوْتُ وَإِنَّمَا تُوفَّى نَفْسٌ كُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِنَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحِيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْفُرُور﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فمن رُحِنَ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وظفر بما يريد ونجا مما يخاف، وهذا هو الفوز الحقيقي الذي لا فوز يقاربه، فإن كل فوز وإن كان بجميع المطالب دون الجنة ليس بشيء بالنسبة إليها^(١).

وقال تعالى عن الفوز العظيم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقال أيضاً: ﴿لَئِنِّيْكَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفَسُهُمْ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْخَيَّرَاتُ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ٨٨ - ٨٩]، وقال عن الفوز المبين: ﴿فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مَا أَمْنَوْا وَعَكَلُوا الصَّلِحَاتِ فَيُدْخَلُهُمْ رَبِّهِمْ فِي رَحْمَتِنَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الجاثية: ٣٠]، وقال عن الفوز الكبير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

وقال تعالى عن الفائزين: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقَوْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَابِرُونَ﴾ [النور: ٥٢].

معظم الآيات التي ذكرت الفوز جاءت بهذا المعنى وركزت عليه، وقد وصفت الفوز وعبرت عنه وأكّدته بأكثر من طريقة وأسلوب، كل ذلك جاء بتناسقٍ وتtagamٍ أحَادِ مع السياق ومتطلباتِ العرض.

(١) الشوكاني، «فتح القيدير»، ج ٢، ص ٦٢، ويدركنا خير الأنام على أن هذه الدنيا متاع الغرور وأن الآخرة هي دار القرار، ففي حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٥ھ)، صحيح البخاري: «الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، ط ١، ٤م، (ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار الكتب العلمية، ١٤١٢ھ - ١٩٩٢م، كتاب: الصلاة، باب: هل تُتبش فبور مشركي الجاهلية، برقم (٤٢٨)، والرشيري، مسلم بن الحاج (ت ٤٦١ھ)، «صحيح مسلم»، ط ١، ٥م، (ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢ھ - ١٩٩١م، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ابتناء مسجد النبي ﷺ، برقم (٥٢٤)، فكل فوز بما دون الجنة ليس بفوز، وكل عيش بما دون الآخرة ليس بعيش.

وسأقوم بتناول ذلك بالتفصيل مع استقراء كامل لكل آيات الفوز والخسران وما يقاربها من الفاظ في المعنى، وذلك في الفصل الأول من هذه الدراسة.

ثانياً: جاء الفوز مصدراً ميمياً، أو اسم مكان بمعنى: مكان الفوز، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُقْبِلِينَ مَفَازًا﴾ [النبا: ٣١]، وقال: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا إِنَّمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، وقال: ﴿وَتَنَحِّيْ لِلَّهِ الَّذِينَ أَتَقَوْا بِمَفَازَاتِهِمْ لَا يَمْسِهِمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]، ولقد اختلف المفسرون في تفسير «المفازة» هنا، وهذا الاختلاف ناتج عن اشتقاق هذه الكلمة لغويًا، فمن ذهب إلى أنها اسم مكان، فسر المفازة بمكان الفوز، ومن ذهب إلى أنها مصدر ميمي فسر المفازة بمعنى الفوز - المعنى الراجح في الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة - وقد رجحت سابقاً أنها مصدر ميمي^(١).

ولم يرد الفوز بالمعاني الأخرى التي قررها أصحاب اللغة في القرآن من أن من معاني الفوز الهلاك - وقد بينت أنه التقويز وليس الفوز - وأن الصحراء تسمى مفازة - على من قال سميت بذلك لأنها مهلكة - .. إلخ، وهذا مما يرجح أن معنى الفوز في اللغة هو النجاة والظفر بالخير والأمنية مع حصول السلامة، وهو الذي ركز عليه القرآن حديثه، وتناوله وعرضه ليبيّن لنا ما هو الفوز الذي ينبغي للأذهان والعقول أن تُشد إليه؟ وللأفعال والأقوال أن تؤدي إليه؟

* * *

(١) ينظر: الزمخشري، «الكاف الشاف»، ج٤، ص١٧٩، ولم يرجح بينهما، والفارس الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج٩، ص٤٦٩، وقد رجح أن المفازة هنا بمعنى الفوز، أي: مصدر ميمي، والشوكتاني، «فتح القيدير»، ج٥، ص٣٦٨، ولم يرجح.

المطلب الثالث: معنى الخسران لغةً واصطلاحاً، واستعمالاته في كتاب الله:

أولاً: تعريف الخسران لغةً:

قال ابن فارس: «الخاء والسين والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على النَّفْسِ. فمن ذلك الْخُسْرُ والْخُسْرَانُ، كالْكُفْرُ وَالْكُفْرَانُ، وَالْفُرْقَانُ، وَيُقَالُ خَسِرْتُ الْمِيزَانَ وَأَخْسَرْتُهُ، إِذَا نَقَصْتَهُ»^(١). قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَلُُوهُمْ أَوْ زَوْهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]. قال الزجاج^(٢): «أي: يُنْفَصِّنُونَ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ».

وقال الراغب الأصفهاني: «الخسر والخسران: انتفاص رأس المال، وينسب ذلك إلى الإنسان، فيقال: خسر فلان، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته، قال تعالى: ﴿تَلَكَ إِذَا كَرَّهُ خَاسِرَةً﴾ [النازات: ١٢]، ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر، وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة، والعقل والإيمان، والثواب، وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين، وقال: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شَيْئُمْ مِّنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَاهْلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكُ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، .. وكل خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير، دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية»^(٣).

وقال ابن منظور: «وَكَرَّهُ خَاسِرَةً: غير نافعة، وفي «التهديب»^(٤): وَصَفَقَ صَفْقَةً خَاسِرَةً، أي: غير مُرْبِحٍ، وكَرَّ كَرَّهُ خَاسِرَةً، أي: غير نافعة، وفي التنزيل: ﴿تَلَكَ إِذَا كَرَّهُ خَاسِرَةً﴾ [النازات: ١٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَخَسَرَ هُنَالِكَ الْكَفَرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]، وقوله: ﴿وَخَسَرَ هُنَالِكَ الْمُبْطَلُونَ﴾ [غافر: ٧٨]، المعنى: تبين لهم خُسْرَانُهُمْ لما رأوا العذاب، وإنما فهم كانوا خاسرين في كل وقت. والتَّخْسِيرُ: الإِهْلَاكُ، والخَنَاسِيرُ: الْهُلَالُ، ولا واحد له»^(٥).

(١) ينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة» ج ٢، ص ١٤٦.

(٢) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، توفي عام ٣١١هـ، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمته المبرد، وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره، من أشهر مصنفاته: «معاني القرآن»، و«الاشتقاق»، و«خلق الإنسان»، و«الأمالي». تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ١، ص ٤٠.

(٣) ينظر: الراغب، «مفردات ألفاظ القرآن»، ص ١١٣.

(٤) الأزهري، «تهديب اللغة»، ج ٧، ص ٧٦.

(٥) ابن منظور، «لسان العرب» ج ٤، ص ٢٣٨.

ملخص ما ذكره علماء اللغة حول مدلول كلمة «الخسران»:

أ. **الخُسْرُ**: الضلال.

ب. **الخُسْرُ**: الهلاك.

ج. **الخُسْرُ**: النقصان.

ثانياً: تعريف الخسران اصطلاحاً:

قال البغوي^(١): «الخسران: ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي»^(٢).

وقال ابن الجوزي^(٣): «قال أهل المعاني: **الخُسْرُ**: هلاك رأس المال أو نقصه، فالإنسان إذا لم يستعمل نفسه فيما يوجب له الربح الدائم، فهو في خسران؛ لأنَّه عمل في إهلاك نفسه، وهي أكبر رأس ماله»^(٤).

(١) هو الحسين بن مسعود بن محمد، القراء، أبو محمد، ويُلقب بمحبي السنة، البغوي: فقيه، محدث، مفسر، نسبته إلى (بغ) من قرى خراسان، بين هراة ومر eo، من أشهر مصنفاته: «التهذيب» في فقه الشافعية، و«شرح السنة» في الحديث، و«لباب التأويل في معلم التنزيل» في التفسير، توفي بمرو الروذ عام ٥١٠ هـ. تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٢، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ)، «لباب التأويل في معلم التنزيل»، ط ٤، م، (تحقيق: محمد عبد الله النمر)، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج ٨، ص ٥٢٢.

(٣) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، عالم عصره في التاريخ والحديث، توفي سنة ٥٩٧ هـ، من أشهر كتبه: «تلقيح فهوم أهل الآثار»، في مختصر السير والأخبار، و«الأذكياء وأخبارهم»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«تبليس إبليس»، و«فنون الأقنان في عيون علوم القرآن»، و«زاد المسير في علم التفسير». تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٣، ص ٣١٦ - ٣١٧.

(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، «زاد المسير في علم التفسير»، ط ٣، م ٩، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ج ٩، ص ٢٢٥.

وقال السعدي^(١) عند تفسيره لسورة العصر: «الخاسر: ضد الرابع. والخسار مراتب متعددة متفاوتة»:

قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عَمِّ الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

١. الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.
٢. العمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.

٣. والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم ببعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

٤. والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرتين الأولتين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرتين الأخيرتين يكمل غيره، و بتكميل الأمور الأربع، يكون الإنسان قد سَلَّمَ من الخسار، وفاز بالربح العظيم»^(٢).

وقال الماوردي^(٣): «ولفي خسر أربعة أوجه: أحدها: لفي هلاك، قاله السُّدِّي. الثاني: لفي شر، قاله زيد بن أسلم. الثالث: لفي نقص، قاله ابن شجرة. الرابع: لفي عقوبة»^(٤).

(١) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، توفي سنة ١٣٧٦ هـ، من أشهر مصنفاته: «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن»، و«تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن»، و«القواعد الحسان في تفسير القرآن». تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٢) السعدي، «تيسير الكريم الرحمن»، ج ١، ص ٩٣٤. وهذه ليست إلا إشارات مما سيأتينا في الفصلين القادمين من أسباب الفوز والخسار ومتظاهرهما - إن شاء الله تعالى ويسراً -.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، ولد في البصرة عام ٣٦٤ هـ، وتوفي عام ٤٥٠ هـ، من أشهر كتبه: «الحاوي الكبير»، في فقه الشافعية، و«النكت والعيون»، في التفسير. تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٤، ص ٣٢٧.

(٤) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ)، «النكت والعيون»، ٦م، (تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٦، ص ٣٣٤.

ثالثاً: دلالة «الخسران» في كتاب الله:

لقد تنوّعت وتعدّدت المُشتقّات التي عَبَرَ القرآن بها عن الخسران، ولكنها لم تخرج عن إطار المعنى اللغوّي، وجاءت بمعنيين:

الأول: الهلاك. قال تعالى: ﴿وَمَن يَسْخَذُ الْشَّيْطَانَ وَلَيْسَا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ حَسِرَ حُسْرَاتٍ مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَآهَلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَطْلَى وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢]، والآيات كثيرة في هذا المعنى.

الثاني: التّقْصان، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]، وقال: ﴿وَإِذَا كَالُوكُمْ أَوْ رَزَوْهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]، وقال: ﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١].

لقد رَكَّزَتْ هذه الآيات على فئة معينة من النّفوس، وهي التي ملئت بالشّح والأنانية وحب الذات، حيث طغى حُبُّ المال على أصحابها طغياناً كثيراً، فترى أحدهم إذا كان له حق عند غيره أخذه كاملاً غير منقوص، وطفف في الكيل أو الميزان، وإذا كان لغيره حق عند نقهـه في الكيل أو الميزان، الويل ثم الويل لهم^(١). فانتظر كيف أكسبوا أنفسهم الرخيص، ليُخسروها الغالي والنفيس، أكسبواها كيلاً ذاهباً مقابل خسران دائم، يوم لا ينفع مال ولا بنون، والعياذ بالله.

(١) حجازي، د. محمد محمود، «التفسير الواضح»، ط١، ٢م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج٢، ص٥٧٥.

المبحث الثاني

ِعِنْايةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِتَحصِيلِ الْفَوْزِ وَدُفْعِ الْخَسْرَانِ

عنِيَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِتَحْصِيلِ الْفُوزِ وَدُفَعِ الْخَسْرَانِ:

حَظِيَ مَوْضِيُّ الفُوزِ وَالْخَسْرَانِ بِعَدْدٍ كَثِيرٍ مِّنْ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، كَيْفَ لَا وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَوْنَ لِإِحْدَى هَاتِينِ النَّتْيُجَتَيْنِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الْفُوزَ وَيَعْمَلُ لَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الْخَسْرَانَ وَيَعْمَلُ لَهُ، عَالَمًا كَانَ بِذَلِكَ أَوْ جَاهَلَ، فَلَا بُدُّ لَهُ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ مِنِ الْاِصْطِفَافِ خَلْفَ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ: فَرِيقِ السَّعَادَةِ وَالْتَّجَاهِ، أَوِ الْخَسَارَةِ وَالشَّقَاءِ.

لَذَّاكَ جَاءَتِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ تُحِبِّبُ لَنَا أَسْبَابَ الْفُوزِ وَتُرْغِبُ فِيهَا، كَمَا جَاءَتِ تَنَفِّرُ مِنْ أَسْبَابِ الْخَسْرَانِ وَتَدْعُو لِلابْتِعَادِ عَنْهَا.

وَنُلَاحِظُ أَنَّ الْقِسْمَ الْمَكِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ رَكِزَ عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ وَالتَّقْوَى وَالْخَوْفَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، بِاعتِبَارِهَا مِنْ أَسْبَابِ الْفُوزِ، حِيثُ ذُكِرَتِهَا الْآيَاتُ وَرَكِزَتْ عَلَيْهَا، وَوُصِّفَتْ نَتْيَاجُهَا بِالْفُوزِ الْمُبِينِ تَارَةً وَبِالْفُوزِ الْعَظِيمِ تَارَةً أُخْرَى.

إِلَّا أَنَّ الْقِسْمَ الْمَدْنِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ اخْتَلَفَ الْأَمْرُ فِيهِ عَنِ الْمَكِيِّ، حِيثُ كَانَتِ الْأَسْبَابُ أَكْثَرُ وَرُوْدًا وَتَنْوِيًّا وَتَفْصِيلًا، وَالْوَصْفُ وَاحِدٌ لَمْ يَتَغَيِّرْ، فَلَمْ يَوْصِفْ الْفُوزَ إِلَّا بِالْعَظِيمِ، وَذُكِرَتْ أَسْبَابٌ عَدَةٌ تَنَوَّعَتْ وَتَلَاءَمَتْ مَعَ حَجْمِ الْمَجَمِعِ الْمَدْنِيِّ الَّذِي كَانَ نُواةَ الْبَدَائِيَّةِ لِتَأْسِيسِ الدُّولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي سَتَحْكُمُ الْعَالَمَ وَتَنْشُرُ دِيْنَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ، وَعَلَى رَأْسِهِ هَذِهِ الْأَسْبَابُ كَانَ الْجَهَادُ، تَلَاهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَطَاعَةُ اللَّهِ وَالرَّسُولِ، وَالصَّبَرُ، وَالتَّقْوَى، وَالصَّدَقُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الْزَّكَاةِ، وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْقَرْضِ الْحَسَنِ^(١).

مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ نَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ فِي عَرْضِ قَضَايَا الْفُوزِ وَالْخَسْرَانِ، جَاءَتِ مُتَنَاسِقةً وَمُتَسَايِّرَةً مَعَ جَمِيعِ مَراحلِ الدُّعَوَةِ الْمَكِيَّةِ ثُمَّ الْفَتْرَةِ الْمَدْنِيَّةِ، فَلَمْ تَغْفَلْ وَلَمْ تَرْكِ أَيْ جَانِبٍ إِلَّا وَذُكِرَتْ كَيْفَ نَسْتَمِرُهُ حَتَّى نَصْبِحَ مِنَ الْفَائِزِينَ بِجَنَانِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَعَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي ذُكِرَتِ الْأَسْبَابُ لِكُلِّ مِنِ الْفُوزِ وَالْخَسْرَانِ كَانَتْ دَائِمًا ذُكْرُ بَعْدِ ذَلِكَ مَظَاهِرُ وَآثَارُ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، لِزِيَادَةِ التَّرْغِيبِ فِي الْفُوزِ وَالْتَّرْهِيبِ مِنِ الْخَسْرَانِ^(٢).

(١) وَسَأَقُومُ بِدِرَاسَةِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ بِشَكْلٍ أَوْسَعٍ فِي مَبْحَثِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(٢) وَسَيَأْتِيَ بِبَيَانِ ذَلِكَ فِي مَبَاحِثِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وعلى المسلم أن يتعرف حق التعرف على ماهية الفوز الحق، وذلك عن طريق الإمعان في كلام المتن وإتباع هدي العدنان عليه السلام، وأسأل الله أن ييسّر لي في هذه الرسالة أن أصوغ موضوع الفوز والخسران بيسّر وسلامة، فتقرّب البعيد، وتأتي بالجديد. والله الموفق.

والقرآن الكريم وضع معالم طريق الفوز والنجاة، وبينها في ثنايا وصاياه، هذه المعالم التي ينبغي على كل إنسان مسلم القيام بها والاستقامة عليها، ومن أراد النجاة سعى لها حق سعيها، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا شَعِيرُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

ولقد حرص الصحابة الكرام على طلب النجاة والسؤال عنها، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: «أمساك عليك لسانك، وليساك بيتك، وابرك على خطيبتك»^(١).

وكما تناول القرآن جانب الفوز والنجاة، كان لا بد له من تناول الجانب الآخر، الجانب المظلم، وهو الخسران الذي تحدثت عنه سورة العصر، الخسران الحقيقي الذي يتحقق بالإنسان حتى يكون بعيداً عن منهج الله عز وجل الذي شرعه لعبادة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِلَاسْنَنَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١ - ٢]، هل هناك أحسن من باع آخرته بدنياه؟ هل هناك أحسن من رغب بالفاني عن الباقي النفيس؟

يا لها من خسارة عظيمة يوم يخسر الإنسان نفسه خسارة لا مرد لها، يوم يُحال بينه وبين المتع والمملذات، ويُفرق بينه وبين أحب الناس إليه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَسِيرَنَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]. فالكفر والضلالة والفسق والانحلال والصدّ عن سبيل الله والافتراء على الله^(٢)، عاقبتها الخسران والخذلان، وللعنّة والإهانة والمهانة، والخزي والندامة والعذاب العظيم يوم القيمة.

فالخاسر هو الذي يبيع آخرته بدنياه ويؤثر الدرجات الفانية على الدرجات الباقية^(٣).

(١) أخرجه الترمذى فى «سننه»، كتاب: الزهد عن رسول الله عليه السلام، باب: ما جاء فى حفظ اللسان، برقم (٢٤٠٦)، وقال: حديث حسن.

(٢) هذه بعض الأسباب التي ذكرها الدكتور أحمد الشرقاوى فى بحثه «يتيمة الدهر» على أن عاقبتها الخسران، ولې فى ذلك مزيد بيان عند الحديث عن أسباب الخسران فى مبحثها بعون الله تعالى.

(٣) هكذا عرّف الدكتور أحمد الشرقاوى: (الخاسر) ص ٣٦، من بحثه «يتيمة الدهر فى تفسير سورة العصر»، ويقول عنه في موضع آخر من بحثه، ص ١٠: «فالخاسر: هو الذي خفت موازينه وألقى به في الهاوية، والخاسر هو الذي ضيع الأوقات في التفاخر بالأحياء والأموات وفي التنافس على تكثير الثروات، وفي التباahi بكثرة البنين والبنات، وفي =

و لا شك في أن كل إنسان يحرص على أن يكون من الرابحين الفائزين، إلا أن الكثرين يضلُّون
ويلهثون وراء أوهام وخيالات.

فمن الناس من ينشد الربح والفوز في المناصب والرئاسة، ومنهم من ينشد في جمع الأموال
الطاللة، والحق الذي لا مرية فيه أن الربح والسعادة ليست بالمال، ولا بالجاه والسلطان، ولا بالسكنى في
الأحياء الراقية، ولا بركوب السيارات الفاخرة، والعيش في القصور الزاخرة، ولا بالأرصدة الفلكية
والحسابات السرية في البنوك، وإنما السعادة في طاعة ملك الملوك^(١). قال الشاعر^(٢):

ولست أرى السَّعادَة جَمْعًا مَالٍ	ولكن التَّقِي هُو السَّعِيدُ
وتقوَى الله خير الزاد ذخراً	وعن دَلَلِه لِلأَتَقَى مَزِيدًا
وما لا بدَّ أن يَأْتِي قَرِيبٌ	ولكنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدًا

* * *

= الانشغل بالنعيم عن المنعم، ذلك هو الخسران العظيم الذي يصلى به صاحبه نار الجحيم، وكيف لا يخسر من ضيع
الأزمان بعيداً عن الإيمان، كيف لا يخسر من أعرض عن الأعمال الصالحة وأقبل على العصيان، كيف لا يخسر من
لم يتواصَن بالحق والصبر، كيف لا يخسر من عُقَلَ الأمال العراض على الأموال الطائلة - وقد قيل: الأماني بضاعة
المفاليس ، حق له أن تحف موازينه ويعاين الجحيم ويُخسر كل شيء، وتحطم آماله العراض، وتتبدد أماناته العذاب،
ويُنبذ في الحطمة بعد أن نَبَذَ الحق وأهله من أجل المال، فكان الجزاء من جنس العمل». وانظر تعريفه عند حديثي
عن المعنى اللغوي للخسران، ص ٢٤ وما بعدها.

(١) ينظر: الشرقاوي، «يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر»، الصفحتان ٣٧ - ٤٣.

(٢) هو الحطيئة: جرول بن أوس بن مالك العبسي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، توفي عام ٤٥ هـ.

الفصل الأول

حديث القرآن عن الفوز والخسران

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حديث القرآن عن الفوز.

المبحث الثاني: حديث القرآن عن الخسران.

المبحث الأول

حديث القرآن عن الفوز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حديث القرآن عن الفوز بصيغة الفعل.

المطلب الثاني: حديث القرآن عن الفوز بصيغة الاسم.

المطلب الأول: حديث القرآن عن الفوز بصيغة الفعل:

سأتناول في هذا الفصل حديث القرآن الكريم عن الفوز والخسران، وسأقوم أولاً باستقراء جميع الآيات الواردة بهاتين المادتين، ثم أقسم الآيات إلى مباحث ومتطلبات، وسأنتقي بعض الآيات لدراستها واستخراج الدلالات واللطائف، - وأترك البعض الآخر لتناولها في الفصول اللاحقة ، كما أنني سأتعرض لقضية المكي والمدني من القرآن، وأبيّن بعض النقاط التي يتميز بها كل قسم عن الآخر في عرضه لقضايا الفوز والخسران، بالإضافة إلى دراسة مقاصد السور وأهدافها ومحورها العام، وربط آيات الفوز والخسران بذلك. والله المستعان.

* أولاً: الفعل الماضي «فاز» في القرآن.

وردت صيغة الفعل الماضي المفرد «فاز» في القرآن الكريم مررتين، في سورتين مدنبيتين هما: آل عمران، والأحزاب. وقد تقدم ذكر معنى «الفوز» في الفصل التمهيدي من هذه الدراسة.

١. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفِيسٍ ذَاقَهُ الْمَوْتُ وَإِنَّمَا تُؤْفَقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِزَ عَنِ الْكَثَارِ وَأَذْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعَّرْفُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

سورة آل عمران مدنية، وقد تناولت السورة ركنين هامين من أركان الدين، هما ركن العقيدة وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله، ونزل صدرها إلى بضع وثمانين آية - كما أشار سيد قطب^(١) - في م خاصة النصارى وإبطال مذهبهم ودعوتهم إلى الدخول في الدين الحق دين الإسلام، والركن الثاني وهو التشريع، وبخاصة فيما يتعلق بالمغاربي والجهاد في سبيل الله، فجاءت سورة آل عمران لتححدث عن

(١) هو سيد بن قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم (بـالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرساً للغربية، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف، ثم (مراقباً فنياً) للوزارة. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (١٩٤٨ م - ١٩٥١ م) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز. وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعاة وتولى تحرير جريدهم (١٩٥٣ م - ١٩٥٤ م) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم في فجر الاثنين ٢٩/٨/١٩٦٦ م، من أشهر مصنفاته: «النقد الأدبي، أصوله ومناهجه»، و«العدالة الاجتماعية في الإسلام»، و«التصوير الفني في القرآن»، و«مشاهد القيمة في القرآن»، و«كتب وشخصيات»، و«أشواك»، و«الإسلام ومشكلات الحضارة»، و«السلام العالمي والإسلام»، و«في ظلال القرآن»، و«معالم في الطريق». تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٣، ص ١٤٧ - ١٤٨.

معركة أمة لا إله إلا الله، بعد سورة البقرة التي كان حديثها عن تربية أمة لا إله إلا الله^(١).

وسياق السورة يستعرض أحداث النبي ﷺ وأمهاته الإسلامية من بعد الهجرة، فتناولت عرض غزوة بدر، وكيف أن المسلمين انتصروا النصر الكامل المؤزر غير مزودين بعده ولا عتاد، وذكرت أيضاً غزوة أحد وما حصل للMuslimين من أهوال وجرحات وشهداء، وبشرت الشهداء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَخْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وختمت كل هذا العرض بالتأكيد على أن الفوز الحقيقي هو في الآخرة، وليس في الدنيا، فجاءت آية الفوز تبين أن سبب الفوز يوم القيمة هو النجاة من النار ودخول الجنة، وفي السورة آيات كثيرة أشارت لهذا السبب منها دعاء المؤمنين، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، ومنها مشهد من مشاهد يوم القيمة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ فَإِنَّمَا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَإِنَّمَا الَّذِينَ أَيَّضَتْ وُجُوهُهُمْ فَيَرَجِعُهُمُ اللَّهُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧].

وذكر الفوز مطلقاً في الآية - قال تعالى: ﴿فَمَنْ رُحِنَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ - غير متعلق بشيء، يفيد أنه الفوز العظيم الذي يشمل كل ما يطلبه المرء من سلامه من مكروره، وفوز بمحبوب، بالإضافة إلى السلامة من النيران والفوز بالجنان^(٢).

٢. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهِهَا * يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٦٩ - ٧١].

سورة الأحزاب مدنية، تناولت الجانب التشريعي لحياة الأمة الإسلامية، في فترة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية^(٣)، فكان سورة الأحزاب قد تابعت الحديث السابق في سورة

(١) ينظر: الألوسي، «روح المعاني»، ج ٣، ص ٧٣، وسيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ١، ص ٣٥٢ - ٣٥٤، والسعدي، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص ١٢١، والصابوني، «صفوة التفاسير»، ج ١، ص ١٨٢. وقد كان رجوعي إلى الصابوني في تفسيره «صفوة التفاسير» في كلامه حول مقدمات السور، وليس في تفسيره للسور والأيات، فأسلوبه مختصر ومقتبس من التفاسير.

(٢) ينظر: رضا، محمد رشيد، «تفسير المنار»، ج ٤، ص ٢٢٣.

(٣) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٥، ص ٢٨١٧.

آل عمران عن الأمة الإسلامية ما بعد الهجرة إلى غزوة بدر وأحد، ومن اللطيف أن الفعل الماضي «فاز» لم يذكر إلا في سورتين مدنبيتين، الأول في آل عمران والثاني في الأحزاب، فانظر إلى هذا الارتباط الوثيق بينهما في تتابع حديثهما عن (فوز الأمة الإسلامية).

ونلحظ أن سبب الفوز المذكور في الآية هو طاعة الله ورسوله ﷺ، وذلك لكثره التشريعات والأحكام المذكورة في السورة التي توجب هذه الطاعة، وفي السورة آيات كثيرة أشارت لها السبب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمْ أَخْيَرٌ مِّنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وكذلك أمرت السورة أزواج النبي ﷺ بطاعته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ثُوَّبَهَا أَجْرُهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدَنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]، وانظر كيف تحدثت السورة عن خسران المنافقين بسبب عدم طاعتهم للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَنْهُدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَاهَدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا﴾ [الأحزاب: ١٥]، وقال تعالى عن الكافرين: ﴿يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي أَنَارٍ يَقُولُونَ يَنِيتَنَا أَطَعَنَا اللَّهَ وَأَطَعَنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

* ثانياً: الفعل المضارع «أفوز» في القرآن.

وردت صيغة الفعل المضارع «أفوز» في القرآن الكريم مرة واحدة، في سورة النساء المدنية.

١. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَبَّكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لِيُقُولَنَّ كَانُلَّمْ تَكُنْ بِيَنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ يَلِيثَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزْ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣].

وسورة النساء إحدى السور المدنية الطويلة، وهي تعلم بجد في محظوظات المجتمع الجاهلي، وفي تكيف ملامح المجتمع المسلم، وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه، فتناولت الكثير من الأحكام الشرعية للشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين، وتناولت موضوعات الأسرة والمرأة والبيت والمجتمع، وركزت بشكل كبير على موضوع النساء وذكرت الكثير من أحكامه، ولذلك سميت سورة النساء^(١).

ومن اللطيف في الفعل المضارع «أفوز»، أنه لم يذكر في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وكان في معرض حديث المنافق الحاسد، والفعل المضارع يدل على التجدد وكأن حسرة المنافق متعددة مستمرة.

(١) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٢، ص ٢٠٤، سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ١، ص ٥٥٥.

المطلب الثاني: حديث القرآن عن الفوز بصيغة الاسم:

* أولاً: المصدر «الفوز» في القرآن.

وردت صيغة المصدر «فوز» في القرآن الكريم، تسعة عشرة مرة، في ثمان سور مدنية؛ هي: النساء، المائد، التوبة، الأحزاب، الفتح، الحديد، الصف، والتغابن، ووردت في سبع سور مكية؛ هي: الأنعام، يونس، الصافات، غافر، الدخان، الجاثية، والبروج.

أ. الفوز:

١. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَوْ يَكُنْ لَهُنَّ بَرْدًا فَإِنْ كَانَ كَانَ لَهُنَّ وَلَدًا فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكُنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينٍ وَلَهُنَّ أَرْبَعُ مِمَّا تَرَكُنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدًا فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدًا فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكُنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَّتَهُ أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَحَدٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِمْهُما السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكٌ أَكْثَرٌ فِي الْكُلُّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينٍ عَيْرٌ مُضَاكَّ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِنَّ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[النساء: ١٢ - ١٣].

نلاحظ أن سبب الفوز هو طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، وذلك يؤدي إلى دخول الجنات، وفي السورة آيات كثيرة أشارت لهذا السبب منها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِيدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

والأمر بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، جاء بعد ذكر بعض أحكام الميراث، وفي ذلك تتبّعه بعزم هذه الأحكام وأنها حدود الله، وهي الشريعة، ولذلك ذكر الجزاء على الطاعة، وفي السورة قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

٢. قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يُنَفَّعُ الْصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ هُمْ جَنَّتُ بَحْرٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِنَّ فِيهَا أَبْدَأَ رَضِيَ

(١) ينظر: رضا، محمد رشيد، «تفسير المنار»، ج ٤، ص ٣٥٠.

اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ [المائدة: ١١٩].

سورة المائدة من سور المدنية الطويلة، وقد تناولت جانب التشريع بأسهاب، فتحدث عن أحكام العقود والذبائح، والصيد، والإحرام، ونکاح الكتابيات، والردة، وأحكام الطهارة، وحد السرقة ...، وبعد ذكر كل هذه الأحكام جاءت السورة في نهايتها لتختم بموقف الحشر الرهيب، حيث يدعى سيدنا عيسى عليه السلام على رؤوس الأشهاد ويسأله ربه تبكيتاً للنصارى الذين عبوده من دون الله^(١)، قال تعالى:

﴿أَنَّتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ﴾ [المائدة: ١١٦]، وبعد هذا كله جاء الإعلان الإلهي، قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّابِرِينَ صَدَقُهُمْ هُمْ جَنَاحٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبْدَارٌ ضَيَّعَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

٣. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ يَوْمٌ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٥ - ١٦].

سورة الأنعام مكية، يدور محورها حول العقيدة وأصول الإيمان، وهي تبدأ بمواجهة المشركين، الذين يتخدون مع الله آلهة أخرى، فكان سلاحها في ذلك الحجة الدامغة، والدلائل الباهرة^(٢)، قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَرُوا كُمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَنِ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ﴾ [الأنعام: ٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ تَأْتِي فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢]، ومن الملاحظ أنها استخدمت أسلوبين بارزين هما: أسلوب التقرير وأسلوب التقليق، ولما كانت هذه السورة تركز على المحور الأساسي وهو العقيدة وتستخدم أسلوب التقرير تارة والتقليق تارة، جاء الحديث عن الفوز بأسلوب التقليق للنبي ﷺ حتى يساير هذا الجو العام في هذه السورة الكريمة.

وقد وصف الفوز بالمبين، الدال على الإيضاح التام، لزيادة إقامة الحجج على المجادلين من الكافرين، ومن اللطيف أن معظم القضايا الرئيسية في السورة قد وصفت بالمبين، قال تعالى: ﴿وَكَوَافِرُنَا عَلَيْكَ كَيْبَيْنَ فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ اللَّهُمَّ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

(١) ينظر: الصابوني، «صفوة التفاسير»، ج١، ص٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) ينظر: الألوسي، «روح المعاني»، ج٧، ص٧٦.

الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي طُلُمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿[الأنعام: ٥٩]﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ رَأَيْتَ أَنْتَ جُنُدُ أَصْنَامًا مَّا لَهُ إِنَّكَ أَرَيْتَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةً وَفَرَشًا كُلُّوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا حُطُومَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَذَّابٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

٤. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلَدِينَ فِيهَا وَمَسِكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتٍ عَدِينَ وَرِضْوَانٌ مِّنْ أَنَّهُ أَكَيْتَ بِرَذْلَكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ٧٢].

سورة التوبة مدنية، واسمها يشير إلى موضوعها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الْيَتَيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَتَبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرْبِعُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الْثَّالِثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحْبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّ لَمْجَأً مِّنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوْبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبه: ١١٧ - ١١٨]، وقد عرفت بأسماء كثيرة؛ كالكافحة، والفاصلة، والمنكلة، لما تناولته من أصناف المنافقين، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنَّ أَعْطَوْهُمْ مِّنْهَا رَضْوًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوهُمْ مِّنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبه: ٥٨] (١).

ولما قابلت السورة بين المؤمنين المجاهدين الذين نصروا نبيهم ﷺ، وبين المنافقين المرجفين الذين انكروا يحاولون إثارة الفتنة والضغائن، ركزت الآية على جانب الفوز العظيم الذي سيناله هؤلاء المؤمنون، ولذلك جاء ذكر الفوز في سورة التوبة بصيغة المصدر أربع مرات، كلها وصفت بالعظيم.

٥. قال تعالى: ﴿لَذِكْرُ الرَّسُولِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلَدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ٨٩ - ٨٨].

٦. قال تعالى: ﴿وَالسَّدِيقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَ اللَّهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلَدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ١٠٠].

(١) ينظر: الفخر الرازي، «مفائق الغيب»، ج ٨، ص ٧٩، شحاته، عبد الله، «أهداف كل سورة ومقاصدها»، ج ١، ص ١٨٥ - ١٨٦.

٧. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشْرَقَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْدَنُوْنَ فِي سِبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنُلُوْنَ وَيُقْنُلُوْنَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَبِنُوْهُ بِيَعْكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ١١١].

٨. قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ أَهْلَهُ لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُوْنَ * الَّذِينَ إِمَّا تُوْلَى وَكَانُوا يَتَّقُوْنَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤ - ٦٢].

٩. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصفات: ٦٠].

سورة الصافات مكية، وقد بدأت بالقسم على وحدانية الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفَّا * فَالْتَّرْجِيْتِ زَحْرًا * فَالثَّالِيْتِ ذَكْرًا * إِنَّ إِنَّهُكُمْ لَتَوْجِدُونَ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَرِّقِ وَالْمَشَرِّقِ﴾ [الصفات: ١ - ٥]، وبهذا ألمت الإيمان بالله تعالى بعد أن بينت أنه رب كل شيء^(١)، ثم ذكرت السورة الفريق الذي آمن وصدق، والفريق الذي كفر وكذب، وعرضت مقارنه سريعة لخاتمة المحدث إلى أصحابه، قال تعالى: ﴿يَقُولُ أَيُّنَا فَذَكَرَتْ أوصافاً كثيرة، وختمت بالآيات: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلَيَعْمَلَ الْعَدِيلُونَ * أَذَلِكَ خَيْرٌ نَّزَّلَ أَمْ شَجَرَةُ الْزَّفُومُ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلَعَهَا كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيْطَيْنِ * فَإِنَّهُمْ لَا كُلُونَ مِنْهَا فَمَا يَلْقَوْنَ مِنْهَا أَبْطَلُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا أَشْوَابًا مِنْ حَمِيرٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٥٢ - ٥٣]، وعرضت بما يراه أصحاب الجنة ذكرت أو صافاً.

١٠. قال تعالى: ﴿وَقِهْمُ السَّيْئَاتِ وَمَنْ تَقَ السَّيْئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحْمَتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[غافر: ٩].

١١. قال تعالى: ﴿فَضْلًا مِنْ رِبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥٧].

١٢. قال تعالى: ﴿فَامَّا الَّذِينَ إِمَّا تُوْلَى وَعَوَلُوا الْصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الجاثية: ٣٠].

١٣. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشِّرَيْكُمُ الْيَوْمَ جَهَنَّمُ مَهْرُى مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِيْنَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

(١) ينظر: الخطيب، عبد الكريم، «التفسير القرآني للقرآن»، ج ٤، ص ٩٦٠.

٤. قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذْكُرُ عَلَىٰ تِحْزِيرٍ شُجُّوكُ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُوْلُكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ ذَلِكُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَارُ وَمَسِكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدِينٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢].

٥. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ الْغَيْبَيْنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَلِحًا يُكَفَّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخَلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِنِ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩].

٦. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكِبِيرُ ﴾ [البروج: ١١].

سورة البروج مكية، ويدور موضوعها حول معالجة ربانية لطغاة المشركين، الذين كانوا يعنون ضعفاء المؤمنين والمؤمنات ويفتنونهم عن دينهم^(١). ولقد جاء الحديث في آية الفوز في هذه السورة بصيغة وعد مؤكّد للذين آمنوا بأن لهم جنات تجري من تحتها الانهار، وناسب ذلك سياق السورة؛ لأن الآية السابقة تحدثت عن الوعيد للذين فتتوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم، ومن عادة القرآن الكريم أن يقرن بين الوعيد والوعيد، إيثاراً للعلاج التربوي المزدوج، القائم على إثارة محوري الخوف والاطماع في النفس الإنسانية^(٢).

ب. فُوزاً: وقد ورد في ثلاثة سور مدنية؛ هي: النساء، الأحزاب، والفتح:

١. قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ أَصْبَحْتُمْ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَانَ لَمْ تَكُنْ بِيَنْتَكُمْ وَبِيَنْهُ مَوَدَّةٌ يَنْيَتِنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفْوَزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٣].

٢. قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ أَذْوَأُمُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهِنَّمَ أَمَّا مَنْ آتَقَوْا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩ - ٧١].

٣. قال تعالى: ﴿ لِلْدُخُولِ الْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمَنَتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِنِ فِيهَا وَيُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٥].

(١) ينظر: الميداني، عبد الرحمن حبنكة، «معارج التفكير ودقائق التدبر»، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٧٨.

* ثانياً: جمع المذكر السالم «الفائزون» في القرآن.

وردت صيغة جمع المذكر السالم «فائزون» في القرآن الكريم أربع مرات، في ثلاثة سور مدنية؛ هي: التوبة، النور، والحضر، وسورة مكية هي المؤمنون.

١. قال تعالى: ﴿أَجَعَلْنَا سِقَايَةَ الْحَاجَّ وَعَمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كُمْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفَسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠ ، ١٩].

سورة التوبة من سور المدنية الطوال التي تعنى بجانب التشريع، وقد تضمنت أحكاماً نهائية في العلاقات بين الأمة المسلمة وسائر الأمم في الأرض^(١)، ومن أهم الموضوعات التي تناولتها: الولاء و البراء، وذلك بإعلان وجوب الطاعة والولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ، والتبرؤ من المشركين، قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة : ١]، وقال تعالى: ﴿وَادَّنَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحِجَّةِ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، إِنَّمَا تُبَرَّأُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَنْهَا حَرَمٌ وَإِنْ تَوَلَّنَمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَسِيرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣].

ومنها موضوع التحفيز على قتال الكافرين والمشركين وعدم الخوف منهم، والتحفيز على نصرة الله تعالى ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿قَتَلُوكُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيُنْهِيَهُمْ وَيَسِّفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

ومنها التحذير من المنافقين المروجين للإشعارات الكاذبة. ونلحظ من آية الفوز في السورة أنها جعلت سبب الفوز هو الهجرة من ديار الكافرين والتبرؤ منهم، والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، وذلك متسق مع الآيات المذكورة. وقد قررت آيات الفوز في السورة أن العبرة هو بما عند الله لا بما عند الناس، ولذلك قال تعالى عن المؤمنين والمشركين: ﴿لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقال عن الذين آمنوا: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾، وخصهم بأنهم هم الفائزون^(٢).

(١) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٣، ص ١٥٦٤.

(٢) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٢٨٩ - ٢٩٠.

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي قِبْلَةِ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِمَّا أَغْفَرْ لَنَا وَأَرْحَمَنَا وَإِنَّ خَيْرَ الرَّجِيحِينَ * فَلَا تَخْذُلْ تُؤْهِمُ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَسْوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزِيَّهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَالِئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩ - ١١١].

سورة المؤمنون مكية، افتتحت ببيان صفات المؤمنين بالله حقاً، وبيان جزائهم يوم القيمة، وتحدثت كذلك عن موقف الأقوام من الأنبياء عليهم السلام^(١)، إذ نجد أن الأقوام كانت تستهزء بالنبي كما فعل قوم نوح: قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ إِلَيْهِ حِنْنَةٌ فَتَرَبَصُوا بِهِ حَتَّىٰ جَيْنٍ﴾ [المؤمنون: ٢٥]، وكانت الأقوام تستهزء أيضاً بمن آمن مع الرسل كما فعل قوم موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرَسْلَنَا مُوسَىٰ وَآخَاهُ هَرُونَ إِبَائِنَنَا وَسُلْطَنِنَا مُشِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ فَاسْتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِيًّا * فَقَالُوا أَنْزُمْ لِيَسْرَيْنِ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَدِيدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥ - ٤٧].

ولقد تحدثت السورة عن مصير المؤمنين والكافرين يوم القيمة، وكان موضوع إثبات وحدانية الله تعالى من خلال نعمه على عباده بارزاً في السورة، ولقد جعلت الآية الأولى سبب الفوز هو الإيمان بالرسل وطلب المغفرة والرحمة من الله تعالى، على عكس المكذبين المستهزئين، مما يذكرنا بموقف قومي نوح وموسى عليهم السلام في الآيات المذكورة، ولقد ناسب التعبير عن حصول الفوز للمؤمنين بأسلوب التوكيد وباسم الفاعل الذي يفيد الاستمرارية في مقابل موقف الكافرين الذين كانوا يضحكون ويستهزئون بهم.

٣. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِيْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِئِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

سورة النور مدنية، وقد تناولت أحكاماً هامة وتوجيهات عامة تتعلق بالأسرة، التي هي النواة الأولى لبناء المجتمع، ووضحت آداباً اجتماعية يجب على المؤمنين التمسك بها كالاستئذان عند دخول البيوت، وغض البصر^(٢)، وكان من أبرز موضوعاتها التحذير من جرائم تحدث عادة في الخفاء كالزلنا، قال تعالى: ﴿الْرَّازِيَّةُ وَالرَّازِيَ فَاجْلِدُو كُلَّ وَجِدْرٍ مِنْهَا مِائَةَ جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذُكُمْ بِمَا رَأَفْتُمْ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاللَّوْمُ الْأَخْرَى وَلَسْتَ شَهِيدَ عَذَابَهُمَا طَالِبَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وقدف المحسنات الغافلات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسِنَاتِ ثُمَّ لَرَبِّهِمَا طَالِبَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

(١) ينظر: الزحيلي، وهبة، «التفسير المنير»، ج ١٨، ص ٣-١، والصابوني، «صفوة القافسir»، ج ٢، ص ٣٠٢.

(٢) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٤، ص ٢٤٨٦، وشحاته، عبد الله، «أهداف كل سورة ومقاصدها»، ج ١، ص ٤٤٢.

يَأْتُوا بِأَرْبَعَةَ شَهَاءَ فَأَجْلِدُوهُزَرْ ثَمَنِينَ جَلَدَةً وَلَا نَقْبِلُوْهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيقُونَ [النور: ٤]، وكان من موضوعاتها التحذير من هتك العورات، قال تعالى: **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنُوا لَا تَدْخُلُوا يَوْمًا غَيْرَ يُؤْتِيْكُمْ حَقَّنَسْتَأْنِسُوا وَسُلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** [النور: ٢٧]. لذلك نلاحظ أن الآية الأولى وصفت الطائعين لله تعالى والمتقين والخاشين بأنهم هم الفائزون، وذلك لأن هذه الجرائم المذكورة في السورة لا يجتبها الإنسان إلا بتقوى الله تعالى وخشيته وطاعته.

ومن لطائف سورة النور، أن اسمها جاء ساطعاً مضيناً واضحاً بعكس الجرائم التي تحدث عنها والتي عادة ما تحصل في الخفاء والظلم - كما أشرت قبل قليل -، ومن لطيفها أيضاً: مجيء آية النور في منتصف السورة، أي: في منتصف الحديث عن هذه الجرائم المظلمة، جاءت آية النور، لتثير للمجتمع الإسلامي طريقه حتى يسير على منهج الله، ويكون من الفائزين، قال تعالى: **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُ نُورِهِ كَمِشْكَوْقَةٍ فِي مَصَبَّاحٍ الْمِصَبَّاحُ فِي رُبَّاجَةِ الْرُّبَّاجَةِ كَانَهَا كَوْكَبٌ دُرَّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرِقَيَّةٍ وَلَا غَرَبَيَّةٍ يَكَادُ زَيْتَهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَفَ تَمَسَّسَهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ شَيْءًا عَلَيْهِمْ** [النور: ٣٥].

٤. قال تعالى: **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنُوا أَنْفَوْا اللَّهَ وَلَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدِ وَأَنْقَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيقُونَ لَا يَسْتَوِي أَحَدُنُّ الْأَنْارِ وَأَحَدُنُّ الْجَنَّةِ أَحَدُنُّ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَارِئُونَ** [الحشر: ١٨].

سورة الحشر سورة مدنية تحدث عن إجلاء بنى النضير، وفيها مدح للمهاجرين والأنصار الذين تاخوا في سبيل الله^(١)، قال تعالى: **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَوَّنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِّوْنَا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّابِدُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِرَ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقَّ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** [الحشر: ٨، ٩]، وفيها تحذير من المنافقين وفضح لهم، قال تعالى: **إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِئَنِّي أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَتْ مَعَكُمْ وَلَا نُطْلِعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوْتُمُوا لَنَصْرَتُكُمْ وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ** [الحشر: ١١].

(١) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتتوير»، ج ٢٨، ص ٥٧.

إننا نلحظ أن الآيات الأول قد قسمت الناس إلى قسمين: فريق آمن واتقى الله فكان فائزًا، وفريق نسى الله تعالى فتساهم أنفسهم فكان فاسقاً، ولقد كان المهاجرون والأنصار معاً أنموذجًا رائعًا للصادقين، والمناقفين والمرتكبين - حينما تحالفوا مع بعضهم ضد المسلمين في غزوة بنى النضير -، أنموذجًا لمن نسى الله، فعذبهم في الدنيا والآخرة، فذكر الله هذه المقابلة في آخر آيات السورة، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي أَحَدُ الْتَّارِ وَأَحَدُهُبِ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

* ثالثاً: المصدر الميمي «مفاز» في القرآن.

وردت صيغة المصدر الميمي «مفاز» في القرآن الكريم ثلاث مرات، في سورة مدنية؛ هي: آل عمران، وفي سورتين مكيتين؛ هما: الزمر والنبا.

١. قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا إِمَّا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَارِقِهِم مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

نلاحظ أن السورة لما بينت قبل هذه الآية بقليل أن الفائز من زحزح عن النار يوم القيمة وأدخل الجنة، أثبتت السورة في هذه الآية أن الذين يفعلون المعاصي ويرون أنها أمر حسن يحمدون عليه لن يجدي ذلك لهم نفعاً، ولن يكونوا بمفازة من العذاب.

٢. قال تعالى: ﴿وَيُنَحِّي اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقْوَى مَفَازَتِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].

سورة الزمر سورة مكية، تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد^(١)، ويهيمن عليها جو يوم القيمة، ونلحظ أن الآية قد جعلت التقوى سبباً للفوز والنجاة من العذاب وذلك يتاسب مع الآيات الكثيرة التي بينت هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبُادُ الَّذِينَ ءامَنُوا أَنَّقُوا رَبِّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً إِنَّمَا يُوقَ أَصْرِرُونَ أَجَرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال: ﴿لَكِنَ الَّذِينَ أَنْقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال: ﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ أَنْقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتُحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَنَهَا سَلَمٌ عَلَيْكُمْ طَبْرٌ فَادْخُلُوهَا خَلِيلِنَّ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقد عبرت الآية عن الفوز بالمصدر الذي يفيد الاستمرارية، وهو يتفق مع الآيات المذكورة التي تبين عظم أجر المتقين عند الله تعالى.

(١) ينظر: الألوسي، «روح المعاني»، ج ٢٣، ص ٢٣٣.

٣. قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِزًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَزَبَا * وَكَاسَادَهَا قَا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا الْغَوَّا وَلَا كَذَّبَا * جَرَاءَ مِنْ رَيْكَ عَطَاءَ حِسَابًا﴾ [النَّبِيٌّ: ٣٦ - ٣٧].

سور النَّبِيٌّ سورة مكية من المفصل، ابتدأت بذكر عدد من نعم الله تعالى على البشر، الذين كان واجباً عليهم الإيمان بالله وبكتابه وبنبيه ﷺ بعد أن عرفوا هذه النعم العظيمة، ولقد عرضت السورة مشاهد ليوم القيمة يبرز فيه مصير المؤمنين والكافرين^(١)، فيبيت مصير المؤمنين المتقيين، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِزًا﴾، وبينت مصير الكافرين الطاغيين: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلظَّاغِنِينَ مَأْبَا﴾ [النَّبِيٌّ: ٢١، ٢٢]. ومن اللطيف أن مصير المؤمنين قد عبرت عنه السورة بصيغة المصدر ليتناسب مع كثير من صيغ المصدر الواردة في السورة مثل: معاشًا، مأبًا ..

* * *

(١) ينظر: الزحيلي، وهبة، «التفسير المنير»، ج ٣٠، ص ٢.

المبحث الثاني

حديث القرآن عن الخسران

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حديث القرآن عن الخسران في صيغة الفعل.

المطلب الثاني: حديث القرآن عن الخسران في صيغة الاسم.

المطلب الأول: حديث القرآن عن الخسران بصيغة الفعل:

وقد تقدم ذكر معنى «الخسران» في الفصل التمهيدي من هذه الدراسة.

* أولاً: الفعل الماضي «خسر» في القرآن:

الفعل الماضي «خسر» ورد ثلث عشرة مرة على حالتين:

الأولى: ماض للمفرد: «خسر»: ورد سبع مرات.

الثانية: ماض للجماعة: «خسروا»: ورد ست مرات.

أ. خسر:

١. قال تعالى: ﴿ وَلَا يُضْلِلُهُمْ وَلَا مُنْتَهِيهِمْ وَلَا مُرَبِّهِمْ فَلَيَبْتَصُّنَ إِذَا نَأَيْهُمْ وَلَا مُرَبِّهِمْ فَيُعَيِّنُونَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيَأْمِنَ مِنْ دُورِنَ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّمِيتًا ﴾ [النساء: ١١٩].

٢. قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ الْسَّاعَةُ بَعْدَهُ قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ لَا سَاءَ مَا يَرِزُونَ ﴾ [الأنعام: ٣١].

٣. قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَاتَلُوا أُولَئِكُمْ سَفَهًا يَعْتَيِرُ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفَرَأَهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

٤. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَانُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارُفُونَ بِيَنْهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يوسف: ٤٥].

٥. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ يَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

٦. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلَنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ فَصَّصَنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَفْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يُأْفِكَ إِيمَانَهُ إِلَّا يَأْدِنَ اللَّهَ فَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ فُضِّلَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر: ٧٨].

٧. قال تعالى: ﴿فَلَمْ يُكِنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْ بَاسَّا سُئَّالَ اللَّهَ أَلَّى قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادَةٍ وَخَسَرَ هُنَالِكَ الْكُفَّارُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

ورد الفعل الماضي للمفرد «خسر» خمس مرات في القسم المكي من القرآن، ومرتين في القسم المدني من القرآن. وكان الحديث عن هذا الفعل في ثلاثة سور مكية هي: الأنعام، ويوسوس، وغافر.

وسورة الأنعام هي إحدى سور المكية الطوال، وهي أول سورة مكية في ترتيب المصحف، التي يدور محورها حول العقيدة وأصول الإيمان، وهي تذكر البعث والجزاء^(١)، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشُرَ الْجِنَّ فَدِ اسْتَكْثَرُتُمْ مِنَ الْإِنْسَ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. ولما نبهت السورة إلى البعث والحضر، ذكرت سبب الخسنان بأنه التكذيب بقاء الله، ومن لطيف السورة أنها ذكرت الفعل الماضي للمفرد «خسر» مرتين، وذكرت الحشر مرتين.

وقد جاء الفاعل - في الآية: ﴿فَدَحْسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣١] - موصولاً؛ لدلالة صلته على سبب الخسنان؛ لأن التكذيب بقاء الله تعالى يستلزم فساد النفس، ومن خسر نفسه بفسادها خسر كل شيء^(٢).

وورد الفعل الماضي للمفرد «خسر» في سورة يومنس مرة واحدة، وجاء السبب بأنه التكذيب بقاء الله، كما هو حاصل في سورة الأنعام، ولذلك جاء ذكر الحشر فيها، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشَرَكَاؤُكُمْ فِي لِنَا يَنْهِمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَعْمَلُونَ﴾ [يومنس: ٢٨]، وأيضاً سياق سورة يومنس يتحدث عن الإيمان بالكتب السماوية، وبوجه أخص عن القرآن، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَرَهُ﴾ [يومنس: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [يومنس: ٤٠]، وسياق سورة الأنعام كذلك، قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، ولما كذب هؤلاء المشركون بالرسول ﷺ، وبكتابه، وبالاليوم الآخر، بين الله أن ذلك سبب خسنانهم، وكان السورتين - الأنعام ويومنس - تتحدثان عن تكذيب قد حصل وتم، فكانها تقص علينا أخبار الخاسرين وكيف خسروا، لذلك كان التعبير الأنسب بالزمن الماضي، ولما كان تكذيبهم فعلاً عبر عن الخسنان بالفعل.

(١) ينظر: شحاته، عبد الله، «أهداف كل سورة ومقاصدها»، ج ١، ص ١٢٤.

(٢) ينظر: رضا، محمد رشيد، «تفسير المنار»، ج ٧، ص ٣٠٠.

والسورة المكية الثالثة التي تحدثت عن الخسران بالفعل الماضي المفرد، هي سورة غافر، وهي أول سور الحواميم السبع^(١)، و شأنها شأن السور المكية التي اهتمت بأمور العقيدة، إلا أن أبرز موضوع فيها هو المعركة بين «الحق والباطل» و «الهدى والضلال»، لذا جاءت السورة مشحونة بطبع عنيف، وجو معركة رهيبة، ولذلك عُبر في الموضعين اللذين تحدثا عن الخسران، بقوله تعالى: ﴿ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطَلُونَ ﴾ [غافر: ٧٨]، و قوله: ﴿ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَفَّرُونَ ﴾، فالسورة تبدأ بالإشادة بصفات الله الحسنى، وآياته، ثم تعرض لمجادلة الكافرين في آيات الله، ومع وضوح الحق وسطوعه يجادل الكافرون، ثم تعرض السورة مصارع الغابرين، وبعد ذلك يأتي مشهد حملة العرش في دعائهم، ثم تتحدث السورة عن أحوال يوم القيمة، ثم ينتقل الحديث ليبلغ ذروته في معركة الحق والباطل، ممثلاً في دعوة موسى عليه السلام لفرعون الطاغية، ثم يأتي الحديث إلى بعض الآيات الكونية، الشاهدة بعظمة الله، وتختتم بنتيجة هذه المعركة بين الحق والباطل فتعلن النتيجة النهائية في آخر آية، قال تعالى: ﴿ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَفَّرُونَ ﴾، هذا العرض المتسلسل لهذه المشاهد والأحداث، جعل التعبير عن الخسران بالفعل الماضي أشد وقعاً، فلا مجال لتوقع المآل والخاتمة، بل النتيجة حتمية أبدية أزلية سطرتها آيات هذه السور المكية.

أما السور المدنية التي ورد فيها ذكر الفعل الماضي للمفرد «خسر» فهي سوري: النساء والحج:

أولاً: آية سورة النساء: قال تعالى: ﴿ وَلَا يُضْلِنَّهُمْ وَلَا مُنِيبُهُمْ فَلَيَبْتَكِنُنَّ إِذَا نَعَمْ وَلَا مَرَءَهُمْ فَلَيَعْرِجُوكَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيَسَّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ حُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩].

وقد ذكر المفسرون أقوالاً في معنى تغيير خلق الله، فمنهم من قال: أي: تغير دين الله، ومنهم من قال: هو تغيير خلق الله، فالله خلق الشمس والنار والحجارة للانتفاع بها، وذكروا أيضاً أن فيه إشارة إلى الإخصاء للعييد، والوشم وما يجري مجرى^(٢).

ولما كانت السورة في سياقها العام مبتداة باسمها تتحدث عن النساء، جاء ذكر سبب الخسران في تغيير خلق الله تعالى، وهو أمر يكثر حصوله عند كثير من النساء في كل زمان ومكان، حتى إننا نعيش

(١) ينظر: الخطيب، عبد الكريم، «التفصير القرآني للقرآن»، ج٤، ص١٢٠٣. سور الحواميم السبع هي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، والأحقاف.

(٢) ينظر: الشوكاني، «فتح القدير»، ج١، ص٥١٧.

ونعاصر مثل هذه الأمور، والعياذ بالله، حتى أصبحت النساء في تغيير أشكالهن وصورهن متبعات لأوامر الشيطان متخذات إياه ولیاً، وقد أكد الله تعالى حقيقة خسراهن ووصفه بالمبين في خاتمة الآية.

فانظر إلى هذه الوحدة الموضوعية في السورة، كيف ذكرت أبرز سبب للخسران قد تتميز به النساء.

ومن اللطيف في الآيات، تعبير إبليس اللعين كما أخبرتنا الآية، قال تعالى: ﴿لَعْنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَجِدُنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ فكانه متتأكد من إغواء البعض وإنفاذ أوامره فيهم، فكان هؤلاء في نظره مستضعفون، لا حول لهم ولا قوة، ولقد أخبر تعالى عن ذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَنْهُمْ إِبْلِيسُ طَائِهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]، وهذا أشير إلى أنه من الممكن إطلاق اسم «سورة المستضعفين» على سورة النساء، فهي تتكلم عن اليتامي والنساء، فهم المستضعفون في كل مجتمع، فناسب مجيء تصريح إبليس بهذه الصورة في هذه السورة، مع التأكيد على أن الكثير من النساء لا طاقة لأبليس وجنوده بهن، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

ومن اللطيف في سورة النساء أن ترتيبها في المصحف، السورة الرابعة، في الجزء الرابع، ونزلت في السنة الرابعة للهجرة، وذكرت جواز نكاح أربع من النساء، وهي سورة المستضعفين - كما أشرت قبل قليل - وقد وردت لفظة «المستضعفين» فيها أربع مرات، وعدد الأحرف في كلمة النساء، هي أربعة.

والسورة المدنية الثانية التي ورد فيها الفعل الماضي «خسر» هي سورة الحج، مع أن بعض العلماء عدّها من سور المشتركة بين المدنى والمكى، وذلك لتناولها موضوع البعث والجزاء، ومشاهد القيمة وأهوالها.

- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَهُ بِهِ فَإِنَّ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَنْفَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسَرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

ولما كان موضوعها مشتركاً بين الموضوعات المكية والمدنية، جاء الحديث فيها عن سبب الخسران: هو عبادة الله تعالى على طرف من الدين، فإن أصابه خير ورخاء أقام على دينه، وإن أصابه سوء رجع إلى ما كان عليه من الكفر، فهو ليس أمراً جزئياً يقتصر على جانب معين، بل هو الدين كله، بعقidته وأحكامه، فكان الخاسر جمع بين أسباب الخسران التي ذكرت في القسم المكى والمدنى من القرآن معاً، ولذلك جاء وصف هذا الخسران بالمبين.

وهنا لطيفة؛ هذا الفعل أكثر ما يكون عند المنافق، فهو يعبر عن قلق واضطراب، وهو ما عبر عنه القرآن في السورة المدنية الأولى التي ذكرت الفعل الماضي «خسر»، سورة النساء: قال تعالى:

﴿مُذَكَّرِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَوْلَاءِ وَلَا إِلَى هَوْلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن يَجِدَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٤٣] ^(١).

ب. خسروا:

١. قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُلُّ بَعْلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ أَذْيَنَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢].
٢. قال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠].
٣. قال تعالى: ﴿وَمَنْ حَفَّتْ مَوَزِّنُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِغَايَتِنَا يَظْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٩].
٤. قال تعالى: ﴿هَلْ يُظْرِفُونَ إِلَّا تَأْوِيلُهُ، يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُونَا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلُ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣].
٥. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [هود: ٢١].
٦. قال تعالى: ﴿وَمَنْ حَفَّتْ مَوَزِّنُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

ورد الفعل الماضي للجمع ست مرات في القرآن، وكان جميعها في القسم المكي منه:

ورد مرتين في سورة الأنعام، ومرتين في سورة الأعراف، ومرة في سورة هود، ومرة في سورة المؤمنون.

ولعل الحكمة من ورود صيغة الجمع الماضي «خسروا» فقط في القسم المكي، هي التنبية على حال المجتمع الجاهلي الواقع بالخرسان في تلك الفترة، وعلى ما كان قبل بعثة النبي ﷺ، فعندما بدأ القرآن يتنزل، لم يبدأ حديثه عن الفوز والفلاح، وهذه مرحله متاخرة لا تتناسب مع هذا الواقع، ونلاحظ أن الآيات جعلت من أول هذه الأسباب: إخفاء علم أهل الكتاب بنبوة سيدنا محمد ﷺ، حين سألهم كفار مكة، قال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠].

(١) ينظر: الفخر الرازي، «مفائق الغيب»، ج ١٢، ص ١٣.

كما ركزت الآيات على قضية البعث والنشور، لتحذر هذا المجتمع بأن مآلها إلى خسران، قال تعالى:

﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ كَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمٍ أَقْيَمَهُ لَأَرِبَّ فِيهِ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسُهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢]. ونلاحظ من الآية أسلوب التقين للرسول ﷺ في محاورته أيام بأبسط أسباب الإيمان بالله تعالى.

أما سورة الأعراف فهي من أطول سور المكية، ويدور حديثها حول تاريخ الناس، آدم وزوجته وذريتهما، تجاه ما يجب عليهم من اتباع ما أنزل إليهم من ربهم، وعدم اتباع أولياء من دونه^(١)، وهي أول سورة عرضت للتفصيل في قصص الأنبياء، لذلك ناسب تتبنيه الخاسرين وتذكيرهم بأن رسول الله قد جاءتهم بالحق، قال تعالى: ﴿ هَلْ يُظْرِفُونَ إِلَّا تُؤْلِيهِمْ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلِهِ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَاعَةٍ فَيَشْفَعُونَا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلُ عَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ فَقَدْ حَسِرُوا أَنفُسُهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقد تابعت سورة هود وسورة المؤمنون الحديث عن قصص الأنبياء السابقين، تسلية للنبي ﷺ على ما يلاقيه من أذى المشركين، لاسيما في تلك الفترة المكية العصبية.

وعبرت السور الثلاث: الأعراف، هود، والمؤمنون، عن الخسران بالفعل الماضي للجمع «خسروا»، لما حوت هذه السور من قصص لأنبياء السابقين، وكيف أهلكهم الله، فخسروا في الدنيا قبل الآخرة.

* ثانياً: الفعل المضارع «يخسر» في القرآن: وردت صيغة الفعل المضارع «يخسر» في القرآن الكريم ثلاث مرات، في ثلاثة سور مكية، هي الجاثية، الرحمن، والمطففين.

أ. يخسر:

١. قال تعالى: ﴿ وَلَلَّهِ مُكَفَّرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ النَّاسَةُ يَوْمٌ يُبَدِّلُ يَخْسِرُ الْمُبَطِّلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٧].

سورة الجاثية مكية نزلت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة بعد الإسراء وقبيل الهجرة^(٢)، ومحورها العام يتمثل في إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله، وهي تتناول قضية البعث والإحياء،

(١) ينظر: الميداني، عبد الرحمن بنكتة، «معارج التفكير ودقائق التدبر»، ج ٤، ص ٣٩ .

(٢) ينظر: شحاته، عبد الله، «أهداف كل سورة ومقاصدها»، ج ١، ص ٦٤٧ .

وتحكي عن المشركين شبهتهم في إنكار يوم القيمة^(١)، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا نَمُوذٌ وَخَنَّا ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ولذلك ناسب ذكر حصول الخسران لهم في هذا اليوم الذي أنكروه.

ب. تخسروا:

١. قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا أَلْيَازَانَ ﴾ [الرحمن: ٩].

سورة الرحمن مكية، وقد تميزت بتعديد آلاء الله الباهرة، ونعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، فهي سورة إظهار الرحمة، التي أتت بعد سورة القمر في ترتيب المصحف وهي سورة إظهار الهيبة^(٢)، ومن شدة رحمة الله تعالى بعباده وتماشياً مع جو الرحمة السائد في السورة، بدءاً باسمها والآيات الأولى منها، لم يأت ذكر الخسران في هذه السورة على أنه نتيجة أعمال طالحة، كما عرضته باقي سور المكية، بل جاء استخدام الفعل المضارع «تخسروا» بالنهي عن الانقصاص في المكيال، فلم تكن حالة وصف لواقع بل كانت صفة لفعل، أمر بالانتهاء عنه.

ج. يخسرون:

١. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ رَزَّوْهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ٣].

سورة المطففين مكية، زادت على سورة الرحمن، بإعلان الحرب على المطففين في الكيل والوزن، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَغْوُطُونَ ﴾ [المطففين: ٤].

(١) ينظر: الزحيلي، وهبة، «التفسير المنير»، ج ٢٥، ص ٢٥٣.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ١٥، ص ٧٣.

المطلب الثاني: حديث القرآن عن الخسران بصيغة الاسم:

* أولاً: المصدر «خسر» في القرآن.

وردت صيغة المصدر «خسر» في القرآن الكريم مرتين، في سورة مدنية؛ هي الطلاق، وسورة مكية؛ هي العصر.

١. قال تعالى: ﴿فَدَّاَقْتُ وَبَالْ أَمْرِهَا وَكَانَ عَيْنَهُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٩]. مدنية.

سورة الطلاق مدنية، وقد تناولت بعض الأحكام المتعلقة بأحوال الزوجين، كأحكام الطلاق والعدة، وخلال عرض هذه الأحكام، تكررت الدعوة إلى تقوى الله بالترغيب والترهيب؛ لئلا يقع حيف أو ظلم من أحد الزوجين، وختمت السورة بالتحذير من تعدي حدود الله، وضررت مثلاً بالأمم الباغية، قال تعالى: ﴿وَكَيْنَ مِنْ قَرِيبَةِ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ، فَحَاسِبَنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبَنَهَا عَذَّابًا نُجُكًا * فَدَّاَقْتُ وَبَالْ أَمْرِهَا وَكَانَ عَيْنَهُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨ - ٩]، والتعبير بالمصدر جاء في أجمل صورة، فهذه القرى أهلكها الله عن بكرة أبيها، فأحاط بها الخسران من كل ناحية، في الدنيا والآخرة، ولما كان الله قادرًا على إلحاقي الخسران بالأمم المكذبة وإهلاكها، فإن في ذلك تهديدًا أشد لكلا الزوجين حتى لا يظلم أحدهما الآخر.

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢].

وسيأتي الحديث عن سورة العصر المكية، وعن التعبير بالخسر، عند تفسير السورة تحليلاً لاحقاً.

* ثانياً: المصدر السمعي «خسار» في القرآن.

وردت صيغة المصدر السمعي «خسار» في ثلاثة مواضع، كانت جميعها في سور مكية، هي: الإسراء، فاطر، ونوح.

١. قال تعالى: ﴿وَنُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

سورة الإسراء مكية، فهي تهتم بشؤون العقيدة وأصول الدين كجميع سور المكية، إلا أنها تميزت

بحديثها عن شخصية الرسول ﷺ، وما أيده الله من المعجزات الدالة على صدق نبوته^(١)، ولما كان سياق السورة يتحدث عن أذى المشركين للرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفَرَّى عَلَيْكَا عَيْنَهُمْ وَإِذَا لَا يَخْدُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَسْتَفِرُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يُبْشِّرُوكَ خَلِيلَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦]، ولما كان القرآن الكريم أعظم معجزات النبي ﷺ، جاءت الآيات للتبيه على عظم هذا القرآن، فهو شفاء للصدور^(٢)، ورحمة لمن صدق بآياته وعمل بها، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خساراً، فيه تقوم عليهم الحجة، وإلا فإن القرآن خير في ذاته وليس خساراً.

٢. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَقِينَ فِي الْأَرْضِ فَنَّ كُفَّارُ فَعَلَيْهِ كُفُورُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكُفَّارُ كُفُورُهُمْ إِنَّ رَبَّهُمْ إِلَّا مَقْنَطٌ وَلَا يَزِيدُ الْكُفَّارُ كُفُورُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩]

سورة فاطر مكية، غرضها الأكبر هو الدعوة لتوحيد الله تعالى، وإقامة البراهين على وجوده، وهدم قواعد الشرك، وتتحدث السورة عن الفارق الكبير بين المؤمن والكافر، وتضرب لهما الأمثل بالأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور، ثم تأكيد أن الله تعالى جعل الناس مختلفين في الأرض، بعد قوم عاد وثمود، فإن لم يتعظوا بحالهم، فعليهم وبالكفر لهم، والخسار يلحق بهم، ولا يضر غيرهم، ولذلك قال تعالى في نفس السورة: ﴿وَلَا تَرُرُ وَازْرَةً وَرَدَ أَخْرَى﴾ [فاطر: ١٨].

٣. قال تعالى: ﴿فَالْمُؤْمِنُونَ رَبِّ إِيمَانِهِمْ عَصَمُونَ وَأَتَبْعُوا مِنْ لَفْرِ زِيَادَةٍ مَا لَهُمْ وَوَلَدُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

سورة نوح مكية، تعنى بأصول العقيدة، وقد تناولت قصة سيدنا نوح عليه السلام.

ونلحظ أن مادة «الخسنان» لم تذكر في قصص الأنبياء إلا في قصة نوح وشعيب عليهما السلام.

ولعل ذلك للتبيه على عظم خسنان هولاء الأقوام خاصةً، فسيدينا نوح عليه السلام جاحد قومه وصبر عليهم، قال تعالى: ﴿فَالْمُؤْمِنُونَ رَبِّ إِيمَانِهِمْ عَصَمُونَ قَلْمَبَرْ زِيَادَهُمْ دُعَاءَهُمْ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنَّ كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي إِذَا نِيَّهُمْ وَأَسْتَغْشَوْ شَيَّاهُمْ وَأَصْرَوْ وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنَّمَا أَعْلَمُ لَهُمْ وَأَنْرَأَتُ

(١) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٤، ص ٢٢٠٨، والصابوني، «صفوة التفاسير»، ج ٢، ص ١٥٠.

(٢) ينظر: الألوسي، «روح المعاني»، ج ٥، ١، ص ٣.

لَهُمْ إِسْرَارًا》 [نوح: ٥ - ٩]. فما زادهم ذلك إلا كفراً ومكرأً، وما يزيد في خسارتهم دعاء نبيهم عليهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّي لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَفِرِينَ دَيَارًا﴾ [نوح: ٢٦].

* ثالثاً: المصدر السمعي «خسران» في القرآن.

وردت صيغة المصدر السمعي «خسران» في القرآن الكريم ثلاث مرات، وهو يدل على حدوث الخسر، غير مقترب بزمن معين، وفي ذلك دلالة على أن أصحابه في خسر دائم، وتزيد الآيات تأكيد الخسران بوصفه بالمبين في الآيات الثلاث. وورد في سورة مكية؛ هي الزمر، وفي سورتين مدنبيتين هما: النساء والحج.

١. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرَقٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

٢. قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

٣. قال تعالى: ﴿وَلَا يُضْلِلُهُمْ وَلَا مُنِيبُهُمْ وَلَا مُرْتَهِمْ فَيُبَيَّسُكُنَّ إِذَا كَانَ الْأَنْعَمُ وَلَا مُرْتَهِمْ فَلَيُعِيرُكُنَّ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيَسَامِنْ دُونِنَ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ حُسْرَا مَأْمِينَا﴾ [النساء: ١١٩].

* رابعاً: جمع المذكر السالم «خاسرون» في القرآن.

وردت صيغة اسم الفاعل من «خسر» للجمع تسعاً وعشرين مرة:

١. اسم الفاعل للجماعة: **الخاسرون**: في حالة الرفع إحدى عشرة مرات.

٢. اسم الفاعل للجماعة: **الخاسرين**: في حالة النصب والجر ثمان عشرة مرات.

أ. خاسرون:

ورد ذكر اسم الفاعل: **خاسرون**: في حالة الرفع في خمس سور مدنية؛ هي: البقرة، الأنفال، التوبية، المجادلة، والمنافقون، وورد في أربع سور مكية؛ هي: الأعراف، النحل، العنكبوت، والزمرا.

١. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفَضِّلُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِسْتَقْبَلِهِ وَيَنْعَطُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصِّلَ وَيُنْفِسُونَكَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

٢. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَبَ يَتَلَوُنَهُ حَقَّ تَلَاوِيهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكُفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ﴾

[البقرة: ١٢١].

٣. قال تعالى: ﴿أَفَأَمْنَوْا مَكْرَهَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَهَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

٤. قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيُّ وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

٥. قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْجِبِيلَ مِنَ الظَّبَابِ وَجَعَلَ الْجِبِيلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فِي رُكْمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ﴾ [الأفال: ٣٧].

٦. قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ فُؤَادًا وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاصَّوْا أُولَئِكَ حَطَّتْ أَعْنَاثُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ﴾ [التوبه: ٦٩].

٧. قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الظَّاهِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٩].

سورة النحل مكية، وهي كسائر السور المكية تهم بأمور العقيدة وأصول الإيمان، إلا أنها تُلم بحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين إبراهيم عليه السلام، ودين محمد ﷺ، وتلم بوظيفة الرسل، وتلم بالهجرة وفتنة المسلمين في دينهم.

أما الإطار الذي تعرض فيه كل هذه الموضوعات فهو فسيح شامل .. هو السماوات والأرض .. هو الماء والشجر .. هو الليل والنهار .. ^(١)، وتنذر الآيات العديدة من النعم التي أنعم الله بها على عباده، وتعرض موقف الكافرين، قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَفَرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]. ولهذا جاء في ختام سورة النحل عن الذين فتتوا في دينهم فاغتروا في هذه الدنيا ورکعوا إليها، بعد كل ما ذكرته السورة من دلائل واضحة على أحقيـة الله بالعبادة ووحدانيـته بها، ثم هـم يـكـفـرونـ، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْسَرَهُ وَقْلَبَهُ مُطْمِئِنًّا بِإِلَيْمَانِ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمَعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لَا

(١) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٤، ص ٢١٥٨.

جَنَّمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴿النَّحْل: ١٠٦ - ١٠٩﴾ .^(١)

٨. قال تعالى: ﴿ قُلْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ إِمَانُوا بِالْبَطْشِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٢]. مكية.

٩. قال تعالى: ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيَادَتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٣]. مكية.

١٠. قال تعالى: ﴿ أَسْتَحْوِدُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُمْ ذَكَرُ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩]. مدنية.

١١. قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُوا لَا تُنْهِكُمُ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩]. مدنية.

ب. خاسرين:

وردت صيغة اسم الفاعل «خاسرين» في حالة النصب والجر، ثمان عشر مرة، في ثلاثة سور مدنية؛ هي: البقرة، آل عمران، والمائدة، ووردت في سبع سور مكية؛ هي: الأعراف، يونس، هود، الزمر، فصلت، الشورى، والأحقاف.

١. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَسَّمُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٤].

٢. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ إِلَلَهِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

٣. قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْدُووكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَسَقَلُّوْكُمْ خَسِيرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

٤. قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيْبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْسَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْسَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَحَذِّلِينَ أَخْدَانٍ وَمَنْ

(١) ينظر: المراغي، «تفسير المراغي»، ج ١٤، ص ١٤٥.

يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَيَطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿المائدة: ٥﴾

٥. قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَنَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تُرْثِدُوا عَلَى آدَبِ رَبِّكُمْ فَنَنَقِبُوا خَسِيرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]

٦. قال تعالى: ﴿فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ، قَنَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَاصْبَحَ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]

٧. قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَعَنْكُمْ حَيَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَاصْبَحُوا خَسِيرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣]

٨. قال تعالى: ﴿فَالَّرَبَّنَا ظَلَمَنَا أَنفُسَنَا وَإِنَّمَا تَغْفِرُ لَنَا وَرَحْمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

٩. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِيرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢]

وفي الآية لطيفة: ذكرت قبل قليل أن قوم نوح وشعيب بما القومان الوحيدان اللذان جاء ذكر مشتقة من مشتقات «خسر» في حقهم، إلا أن قوم شعيب جاءت الآية لتحكم عليهم بالخسران، وتأكده فتصفهم بأنهم هم الخاسرون، وترد مقالة الملا حين قالوا، كما أخبر الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ إِنَّهُمْ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ، لَئِنْ أَتَبَعُوكُمْ شَعِيبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِيرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠]، فعندما انفردوا بمقالتهم وادعائهم الكاذب بأن اتباع الرسول شعيب عليه السلام، خاسرون، أفردهم الله بالرد عليهم ووصفهم بأنهم هم الخاسرون.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِيرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٤]، اختلف المفسرون في القوم المقصودون في الآية، والأرجح والله أعلم، أنهم قوم شعيب، لأنها توافق مقالة الملا منهم في سورة الأعراف.

١٠. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سُقْطَ فِتْ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلَّلُوا قَاتُلُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمَنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرَ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]

١١. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِيَأْيَتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [يونس: ٩٥]

١٢. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرُ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [هود: ٤٧]

١٣. قال تعالى: ﴿فَأَعْبُدُو مَا شِئْتُ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَاهْلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]

٤. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يَأْشِرْكَ لِيَحْجِنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٥. قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدَنَكُمْ فَأَصَبَّهُمْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

٦. قال تعالى: ﴿وَقَيَضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَرَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُّمٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].

٧. قال تعالى: ﴿وَرَبَّهُمْ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا خَشْعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَظْرُونَكَ مِنْ طَرْفٍ حَقِيقٍ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥].

٨. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُّمٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٨].

* خامساً: أ فعل التفضيل «الأخسرؤن» في القرآن.

وردت صيغ أفعل التفضيل في القرآن الكريم أربع مرات: في ثلاثة سور مكية؛ هي: هود، الأنبياء، والنمل.

أ. الأخسرؤن:

١. قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَهْمَمُ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢].

٢. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ سُوءَ الْعَذَابُ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: ٥].

سورة النمل مكية وقد جاءت في ترتيب المصحف بعد سورة الشعراء، ولما ختمت سورة الشعراء حديثها بالدفاع عن القرآن الكريم، من أن يكون من واردات الشعر، بدأت سورة النمل حديثاً عن القرآن الذي هو منقطع عن كل سبيل يصله بالشعر^(١)، قال تعالى: ﴿طَسْ تِلْكَ مَا يَنْتَهِ الْقُرْءَانُ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ هُدَى وَشَرِي لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١ - ٢]، ولم تكتف الآيات بذلك بل ذكرت أن هذا الكتاب هدى للذين آمنوا، وأما الذين كذبوا وأعرضوا كانوا هم الأخسرؤن، وفي صيغة المبالغة هذه، بيان عظيم يدل على عظم خسارتهم هؤلاء القوم.

(١) ينظر: الخطيب، عبد الكريم، «التفسير القرآني للقرآن»، ج ٤، ص ٢٠٥.

ب. الأخرين:

١. قال تعالى: ﴿وَرَادُوا إِلَيْهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

الآية في قوم إبراهيم، والأخرين جمع أخسر، على وزن أفعى، وهو يدل على المبالغة في الخسارة، وتعليق هذه المبالغة هو كون سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يصبهسوء بالرغم من إلقائه في النار، ثم إنهم لن يسلموا من عداوته، وبعد ذلك سيجازون على فعلهم هذا في الآخرة، فأي خسارة بعد ذلك؟^(١).

ج. تحسير:

١. قال تعالى: ﴿قَالَ يَكُوْمُ اَرْبَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بِّئْسَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَإِنَّنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَصُرُّنِي مِنْهُ فَمَا تَرِيدُونَنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣].

د. مخسرین:

١. قال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١].

سورة الشعراء مكية، وقد اهتمت بموضوع العقيدة، وذكرت طائفة من قصص الأنبياء^(٢)، وجاء ذكر صيغة «المخسرين» في حق قوم شعيب، وهذا القوم جمع الخسر من جميع جوانبه، فقد بينت سابقاً أن الله اختصهم بالحكم عليهم بأنهم خاسرين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِيرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٢]، وفي سورة الشعراء اختصهم أيضاً، فسورة الشعراء مع ذكرها لقصص عديدة من قصص الأنبياء، إلا أنها لم تذكر لفظة من مشتقات الخسارة، إلا مرة واحدة، وهي التي كانت في حق قوم شعيب.

(١) ينظر: الشعراوي، «تفسير القرآن»، ج ١٤، ص ١٣٤.

(٢) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتتوير»، ج ١٩، ص ١٠٧.

﴿الألفاظ المقاربة لـ«الفوز» ولـ«الخسران» في المعنى﴾

وردت ألفاظ مقاربة في المعنى لكلمتى: «الفوز» و«الخسران»، في القرآن الكريم، وقد ذكرت في منهجية دراستي أنني سأقتصر على الآيات التي وردت فيها لفظة من مشتقات الفوز والخسران فقط، إلا أنني أشير هنا إلى الألفاظ المقاربة لهما في المعنى، وأذكر الآيات التي وردت فيها، مع التعليق على بعضها باختصار:

أولاً: الألفاظ المقاربة في المعنى لـ«الفوز»: وهي ثلاثة: الفلاح؛ السعادة، والربح:

أ. «الفلاح»: وردت مشتقات الجذر «فلح» في القرآن الكريم أربعين مرة، في إحدى عشرة سورة مدنية؛ هي: البقرة، آل عمران، المائدة، الأنفال، التوبة، الحج، النور، المجادلة، الحشر، الجمعة، والتغابن، وفي أربع عشرة سورة مكية، هي: الأنعام، الأعراف، يومن، يوسف، النحل، الكهف، طه، المؤمنون، النور، القصص، الروم، لقمان، الأعلى، والشمس.

يقول ابن فارس: «الفاء واللام والباء أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على شَقْ، والآخر على فُوزٍ وبقاء»^(١).

ويقول الراغب: «الفلح: الشق، .. والفلاح: الظفر وإدراك بغية، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز، .. وفلاح آخروي وذلك بأربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل»^(٢).

١. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]. يقول الإمام الرازى: «المفلح: الظافر بالمطلوب، كأنه الذي افتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه، و(المفلح) بالجيم منه، والتركيب دال على معنى الشق والفتح، ولهذا سمي الزراع فلاحاً .. وتحقيقه أن الله تعالى لما وصفهم بالقيام بما يلزمهم علمًا وعملاً، بين نتيجة ذلك وهو الظافر بالمطلوب الذي هو النعيم الدائم من غير شوب على وجه الإجلال والإعظام، لأن ذلك هو الثواب المطلوب للعبادات»^(٣).

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٤، ص ٣٥٩.

(٢) الراغب، «مفہمات ألفاظ القرآن»، ص ٢٩١-٢٩٠.

(٣) الفخر الرازى، «مفہمات الغیب»، ج ١، ص ٣٢.

٢. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبَرُّ بِإِنَّ تَأْتُوا أَبْيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبَرَّ مِنْ أَتَقَىٰ وَأَتُوا الْبَيْوَاتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].
٣. قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. ومن سياق السورة يتضح لنا أن الله تعالى عاب على أهل الكتاب شيئاً، ثم أحدهما: الكفر، قال تعالى: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَمْ تَكُفُرُوا بِعِيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨]، ثم بعد ذلك عابهم على سعيهم في إلقاء الغير في الكفر، فقال: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَمْ تَصْدُرُوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٩٩]، وعندما انتقلت الآيات إلى مخاطبة المؤمنين أمرتهم أولاً بالتفوي والإيمان، قال تعالى: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ قُنْطَائِهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]، ثم أمرتهم بالسعى في إلقاء الغير في الإيمان والطاعة، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]^(١).
٤. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الْبَيْوَا أَصْعَدُكُمْ مُضْعَفَةٌ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].
٥. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].
٦. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].
٧. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَنْعُ وَالْيَسِيرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَذْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].
٨. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالْطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَأَتَقُوا اللَّهَ يَكْأُفِي الْأَلَبَبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].
٩. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِإِيمَنِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأعراف: ٢١].

(١) ينظر: الفخر الرازي، «مفائق الغيب»، ج ٤، ص ١٤٥.

١٠. قال تعالى: ﴿قُلْ يَقُولُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَرْقَبَةُ الْدَّارِ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٥].
١١. قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَلَثَ مَوْزِينَهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].
١٢. قال تعالى: ﴿أَوْعَجَبَمُهُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُ مَنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِسَنْدَرَكُمْ وَأَذْكُرُوهُ إِذْ جَعَلْكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحَ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بِصَطَدَةٍ فَأَذْكُرُوهُ إِلَاهَ اللَّهُ لَعَلَكُمْ فَلَحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].
١٣. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِينَ الَّذِي يَجِدُونَهُ، مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي الْتَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا مُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الظَّبَابَتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْحَبَابَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزَلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
١٤. قال تعالى: ﴿يَتَأَلَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِكَهَ فَأَثْبَتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].
١٥. قال تعالى: ﴿لَكِنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُنُ الْحَسَنُونَ وَأُولَئِكَ هُنُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبه: ٨٨].
١٦. قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِإِيمَانِهِ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].
١٧. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩].
١٨. قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَنَّقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ أَسْحَرُهُمْ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧].
١٩. قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ أَنَّهُ هُوَ فِي بَيْتِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيَّنَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّ أَحْسَنَ مَشَائِي إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].
٢٠. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ الْسَّنَنُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].
٢١. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِنْ يَظْهِرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَا تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَاً﴾ [الكهف: ٢٠].

٢٢. قال تعالى: ﴿فَاجْمِعُوهُ كَيْدُكُمْ ثُمَّ اثْتُوْ صَفَّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْتَعْلَمْ﴾ [طه: ٦٤].
٢٣. قال تعالى: ﴿وَأَلِقْ مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقْفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كِيدُ سَحِيرٍ وَلَا يُفْلِحُ أَسَاطِيرُ حَيْثُ أَنَّ﴾ [طه: ٦٩].
٢٤. قال تعالى: ﴿يَتَأْلِمُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبِّكُمْ وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].
٢٥. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].
٢٦. قال تعالى: ﴿فَمَنْ قَتَلَ مَوْزِينَهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢].
٢٧. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا إِلَّا لَآخَرَ لَا يُبْهَنُ لَهُ بِهِ، فَإِنَّمَا جَسَابُهُ، عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَفَرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].
٢٨. قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَضْعُضُنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَ وَيَحْفَظُنَ فُرُوجَهُنَ وَلَا يُبَدِّيْنَ زِينَتَهُنَ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهُنَّا وَيَضْرِبَنَ بِخُمُرِهِنَ عَلَى جُيُوبِهِنَ وَلَا يُبَدِّيْنَ زِينَتَهُنَ إِلَّا لِعُولَتِهِنَ أَوْ إِبَابَهُنَ أَوْ بُعُولَتِهِنَ أَوْ أَبْنَاءَهُنَ أَوْ إِخْوَنَهُنَ أَوْ بَنِي إِخْوَنَهُنَ أَوْ سَبَابِهِنَ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَهُنَ أَوْ أَنْتَسِبُهُنَ غَيْرَ أُولَئِكَ الْأُرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبُنَ بِأَنْجَلِهِنَ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئِمَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].
٢٩. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].
٣٠. قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عِنْقَبُهُ الدَّارٌ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [القصص: ٣٧].
٣١. قال تعالى: ﴿فَامَّا مَنْ تَابَ وَامَّنَ وَهَمَّ صَدِلِحَا فَعَسَيَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].
٣٢. قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَّنُوا مَكَانَهُ، إِلَّا مَنِ يَقُولُونَ وَيُنَكَّبُ أَللَّهُ يَسْعِطُ الْرِزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنْ أَللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَفَرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].
٣٣. قال تعالى: ﴿فَثَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

٣٤. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًىٰ مِن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: ٥].
٣٥. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْكَانُوا إِبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتَ بَحْرِي مِنْ تَحْمِنَهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا رَضْحَ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضْوًا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].
٣٦. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْبِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُثُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِيُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].
٣٧. قال تعالى: ﴿فَإِذَا فُضِّلَتِ الْصَّلَاةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْغُثُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ فُلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].
٣٨. قال تعالى: ﴿فَانْقُوْا إِلَيْهِمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوْا وَأَطِيعُوْا وَأَنْفَقُوْا خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النّفاثات: ١٦].
٣٩. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّ﴾ [الأعلى: ١٤].
٤٠. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ [الشمس: ٩].

بـ. «السعادة»: وردت مشتقات الجذر «سعد» في القرآن الكريم مرئتين، في سورة هود المكية. يقول ابن فارس: «السين والعين وال DAL أصل يدل على خير وسرور، خلاف النحس»^(١). ويقول الراغب: «السعد والسعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويساrade الشقاوة، .. وأعظم السعادات الجنة»^(٢).

١. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكُونُ نَفْسٌ إِلَّا يُذْنِبُ فَيُنَهِّمُ شَقِّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].
٢. قال تعالى: ﴿وَمَمَا الَّذِينَ سُعدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاهُ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٣، ٥٦.

(٢) الراغب، «مفردات ألفاظ القرآن»، ص ١٧٥.

جـ. «الربح»: وردت مشتقات الجذر «ربح» في القرآن الكريم مرة واحدة، بصيغة الفعل الماضي «ربحت» في سورة البقرة المدنية، وقد قرنت لفظة «ربحت» بـ «التجارة»: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا اللَّهَ بِإِلَهَيْهِ فَمَا رَحِمَتْ بِهِنَّهُمْ وَمَا كَانُوا مُهَتَّدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

يقول ابن فارس: «الراء والباء والباء أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على شفٍّ^(١) في مبادلة، ومن ذلك ربح فلان في بيعه يربح، إذا استشفَّ. وتجارةٌ رابحةٌ: يُربح فيها. يقال ربح وربح^(٢). ويقول الراغب: «الربح: الزيادة الحاصلة في المبادلة، ثم يتجاوزُ به في كل ما يعود من ثمرة عمل، وينسب الربح تارة إلى صاحب السلعة، وتارة إلى السلعة نفسها نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَتْ بِهِنَّهُمْ وَمَا كَانُوا مُهَتَّدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]^(٣).

ومن المعلوم أن كل تجارة معرضة للربح والخسار، لكن الخسارة التي عبرت عنها هذه الآية خسارة ما بعدها خسار، يقول الإمام الزمخشري: «الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئاً: سلام رأس المال والربح، وهو لا قد أضاعوا طلبتين معاً، لأن رأس مالهم كان هو الهدى، فلم يبق لهم مع الضلال، وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلال لم يوصفو باصابة الربح»^(٤).

ثانياً: الألفاظ المقاربة في المعنى لـ «الخسران»: وهي ثلاثة: الخيبة، الشقاء، والحبوط:

أ. «الخيبة»: وردت مشتقات الجذر «خاب» في القرآن الكريم خمس مرات في سورة مدنية؛ هي: آل عمران، وثلاث سور مكية؛ هي: إبراهيم، طه، والشمس.

يقول ابن فارس: «الخاء والياء والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على عدم فائدةٍ وحرمانٍ، والأصل قولهم للقبح الذي لا يورى: هو حيّاب. ثم قالوا: سعى في أمرٍ فخاب، وذلك إذا حرم فلم يُفْدِ خيراً»^(٥).

(١) الشف، بالكسر وقد يفتح: الفضل والربح والزيادة. ينظر: ابن منظور، «لسان العرب»، ج ٩، ص ١٨٠.

(٢) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٣، ص ٣٩٣.

(٣) الراغب، «مفردات ألفاظ القرآن»، ص ١٤١.

(٤) الزمخشري، «الكساف»، ج ١، ص ٧٢-٧١.

(٥) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٢، ص ١٨٧.

ويقول الراغب: «الخيبة فوت الطلب، قال تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ١٠]^(١).

١. قال تعالى: ﴿لِيُقْطِعَ طَرْفَاهُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكِنُّهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَاسِئِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٧].

٢. قال تعالى: ﴿وَأَسْقَتَهُمُ وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]. والاستفتاح طلب الفتح، أي: النصر، وقد ذكر المفسرون قولين في الضمير في قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَتَهُم﴾ على من يعود، قال الفخر الرازي: «فإن قلنا: المستفتحون هم الرسل، كان المعنى أن الرسل استفتحوا فنصروا وظفروا بمقصودهم وفازوا، وخاب كل جبار عنيد، وهم قومهم، وإن قلنا: المستفتحون هم الكفرة، فكان المعنى: أن الكفار استفتحوا على الرسل ظناً منهم أنهم على الحق والرسل على الباطل، وخاب كل جبار عنيد منهم وما أفلح بسبب استفتحاه على الرسل»^(٢).

٣. قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَكُمْ لَا تَقْرَبُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْجِنُكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١].

٤. قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّوبُ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]. والمراد بالخيبة: الحرمان من حصول الثواب^(٣)، يقول الإمام أبو حيان: «﴿وَقَدْ خَابَ﴾، أي: لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه، والظلم يعم الشرك والمعاصي، وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم، فخيبة المشرك دائمًا، وخيبة المؤمن العاصي مقيدة بوقت في العقوبة إن عوقب»^(٤).

٥. قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ١٠].

ب. «الشقاء»: وردت مشتقات الجذر «شقاء» في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، في سبع سور مكية؛ هي: هود، مريم، طه، المؤمنون، الأعلى، الشمس، والليل.

(١) الراغب، «مفردات الفاظ القرآن»، ص ١٢٣.

(٢) الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ١٠، ص ٨٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج ١١، ص ١٠٤.

(٤) أبو حيان، «البحر المحيط»، ج ٦، ص ٢٠٥.

يقول ابن فارس: «الشين والقاف والحرف المعتل أصل يدل على المعاناة، وخلاف السهولة والسعادة. والشقّوة: خلاف السعادة»^(١).

ويقول الراغب: «الشقّوة: خلاف السعادة، .. وكما أن السعادة في الأصل ضربان: سعادة أخرىوية، وسعادة دنيوية، ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية وبدنية وخارجية، كذلك الشقاوة على هذه الأضرب، وفي الشقاوة الأخرىوية، قال عز وجل: ﴿فَمَنْ أَتَيَّ هُدَىٰ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، وفي الدنيا: ﴿فَلَا يُخْرِجُنَّا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّقَ﴾ [طه: ١١٧]، قال بعضهم: قد يوضع الشقاء موضع التعب، نحو: شقيت في كذا، وكل شقاوة تعب، وليس كل تعب شقاوة، فالتعب أعم من الشقاوة»^(٢).

١. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَبِّمُ نَفْسًا إِلَّا يَادِنَهُ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

٢. قال تعالى: ﴿فَمَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا رَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦].

٣. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظُمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيقًا﴾ [مريم: ٤].

٤. قال تعالى: ﴿وَبَرَا بِوَلَدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيقًا﴾ [مريم: ٣٢].

٥. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَرْلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوكَ عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّ شَقِيقًا﴾ [مريم: ٤٨].

٦. قال تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشَقَّقَ﴾ [طه: ٢].

٧. قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَعَادُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوًّا لَكَ وَلِرَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُنَّا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّقَ﴾ [طه: ١١٧].

٨. قال تعالى: ﴿قَالَ أَهِبْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِيَعْضِ عَدُوًّا فَإِمَّا يَأْنِسَكُمْ مِنِّي هُدَىٰ فَمَنْ أَتَيَّ هُدَىٰ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

٩. قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ٦].

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٣، ص ١٥٦.

(٢) الراغب، «مفردات ألفاظ القرآن»، ص ١٩٩.

١٠. قال تعالى: ﴿لَا يَصِلُّهَا إِلَّا أَشْقَى﴾ [الليل: ١٥].

١١. قال تعالى: ﴿إِذَا أَبْعَثْتَ أَشْقَانَهَا﴾ [الشمس: ١٢].

١٢. قال تعالى: ﴿وَيَنْجِنُهَا أَلَّا أَشْقَى﴾ [الأعلى: ١١].

ج. «الحبوط»: وردت مشتقات الجذر «حبط» في القرآن الكريم ست عشرة مرة، في سبع سور مدنية، هي: البقرة، آل عمران، المائدة، التوبة، الأحزاب، محمد، والحجرات، وخمس سور مكية، هي: الأنعام، الأعراف، هود، الكهف، والزمر.

يقول ابن فارس: «الباء والباء والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على بطلانِ أو ألمٍ. يقال: أحبط الله عملَ الكافر، أي: أبطله، وأمّا الالم فالحبوط: أن تأكل الذابة حتى تُنْفَخَ لذلك بطئها»^(١).

ويقول الراغب: «حبط العمل على أضرب: أحدهما أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغنى في القيمة غِناءً، كما أشار إليه بقوله: ﴿وَقَدِمَنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، والثاني أن تكون أعمالاً أخرىوية لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى، والثالث أن تكون أعمالاً صالحة ولكن بإزارها سيناثٌ تُوفي عليها، وذلك هو المشار إليه بخفة الميزان»^(٢).

١. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ، فَيَمْتَأْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَيَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْبَحُتْ أَنَّارَةً هُمْ فِيهَا حَكَلُدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]. سُمي بطلان الأعمال في الآية بالحبوط، لأنه كفساد الشيء بسبب ورود المفسد عليه، وهو مأخوذ من المعنى اللغوي الذي أشرت إليه قبل قليل، من أن أصل الحبوط: أن تأكل الدواب شيئاً يضرها فتعظم بطونها فتهاك^(٣).

٢. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَيَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصْرِيرٍ﴾ [آل عمران: ٢٢].

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٢، ص ١٠٤.

(٢) الراغب، «مفردات ألفاظ القرآن»، ص ٨٢.

(٣) ينظر: الفخر الرازي، «مفائق الغيب»، ج ٣، ص ٣٣.

٣. قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حِيطَ عَمَلَهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِ﴾ [المائدة: ٥].
٤. قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ أَمْوَالًا أَهْوَلَهُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنَهُمْ إِنَّهُمْ لَعَمِلُوكُمْ حِيطَتْ أَعْمَلُوكُمْ فَاصْبَحُوكُمْ خَسِيرِ﴾ [المائدة: ٥٣].
٥. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوكُمْ لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوكُمْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].
٦. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوكُمْ بِإِيمَانِنَا وَلِكُلِّ أَخْرَى حِيطَتْ أَعْمَلُوكُمْ هَلْ يُجَزِّونَ إِلَّا مَا كَانُوكُمْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٧].
٧. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمَلُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَهِيدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حِيطَتْ أَعْمَلُوكُمْ وَفِي الْأَنَارِ هُمْ خَلِيلُوكُمْ﴾ [التوبه: ١٧].
٨. قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوكُمْ أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوكُمْ بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعُوكُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَعُوكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوكُمْ أُولَئِكَ حِيطَتْ أَعْمَلُوكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ﴾ [التوبه: ٦٩].
٩. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْكَارِ وَحِيطَ مَا صَنَعُوكُمْ فِيهَا وَبَطَلَ مَا كَانُوكُمْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦].
١٠. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوكُمْ بِإِيمَانِهِمْ وَلِقَابِهِمْ فَحِيطَتْ أَعْمَلُوكُمْ فَلَا تُفْتِنُوكُمْ هُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَبُّا﴾ [الكهف: ١٠٥].
١١. قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحُقُوقَ رَأَيْتُهُمْ يَنْتَرُونَ إِلَيْكَ تَدْرُرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحُقُوقُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّنَنِ حَدَادِ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوكُمْ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلُوكُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩].
١٢. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْحَبَطَ عَمَلُكَ وَلَكَوْنَكَ مِنَ الْخَسِيرِ﴾ [الزمر: ٦٥].
١٣. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلُوكُمْ﴾ [محمد: ٩]. ولقد كان من المناسب

استعمال الحبوط لبيان ما سيحصل للكافرين، وذلك لأنه يقابل ما سيحصل للمؤمنين، يقول تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحُقُوقُ مِن رَّبِّهِمْ كَفَرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ وَأَصْلَحَ بِالْمُكْ�َمِ﴾ [محمد: ٢]

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضْلَلَ أَعْمَالُهُمْ * سَيِّئَاتِهِمْ وَيُصْلَحُ بِالْمُكْرَمِ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرْفًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦]. فانظر كيف عبر الله عن سمات الذين آمنوا بالتفير، وعن أعمالهم الصالحة بأنه لن يضلها، على عكس الذين كرروا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم.

٤. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِإِنَّهُمْ أَتَبْعَأُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَيْرُهُو رِضْوَانُهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]
٥. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاءُوا أَلَّرْسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَصْرُرُوا اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحَبِّطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].
٦. قال تعالى: ﴿يَكْتَبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِيَعْضِ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

* يتبعنا لنا مما سبق أن نصيب القسم المدنبي من القرآن أكبر في حديثه عن الفوز، ونصيب القسم المكي من القرآن أكبر في حديثه عن الخسران، وهذا مفهوم ومنطقي؛ لأن حالة الجاهلية التي كان يعيشها المجتمع في العهد المكي - كما أشرت إلى ذلك أثناء حديثي في بعض الآيات - كلها خسران وهلاك في الدنيا والآخرة، فكان من المناسب تركيز القرآن على هذا الجانب؛ لتتفير لهم منه، إلا أن ذلك تغير في العهد المدنبي حين استقامت النقوس وتطهرت العقول، وكثرت التشريعات والأوامر، فأصبح تركيز القرآن الكريم على جانب الفوز والفلاح إرشاداً وتحفيزاً لطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ باتباع هذه الأوامر والتشريعات.

وأختلف الأمر في الألفاظ المقاربة، فمثلاً: الفلاح والسعادة، وهي من الألفاظ المقاربة للفوز، جاءت أكثر في القسم المكي من القرآن. والحبوط؛ وهو من الألفاظ المقاربة للخسران، جاء ذكره أكثر في القسم المدنبي من القرآن، ولعل الحكمة من ذلك أن الحبوط - كما بينت سابقاً - يشير إلى وجود أعمال في الأصل؛ إلا أنها قد حبطت، فناسب ذكرها في القسم المدنبي، حيث وجد المنافقون والمرتدون الذين يدخلون الإسلام في أول النهار ويکفرون في آخره.

الفصل الثاني:

منهج القرآن وأساليبه في عرض

أسباب الفوز والخسران

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المعاني الإيمانية وأثرها في الفوز.

المبحث الثاني: العمل الصالح وأثره في الفوز.

المبحث الثالث: التواصي بالحق والتواصي بالصبر وأثر ذلك في الفوز.

أسباب الفوز في سورة العصر

أولاً: معنى السبب لغةً واصطلاحاً:

السبب في اللغة: الحال، وكل شيء يتوصل به إلى غيره، وأسباب السماء، نواحيها^(١).

وفي الاصطلاح: «كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة»^(٢).

ولقد ذكرت مفردة السبب والأسباب في القرآن الكريم في مواضع عدّة، منها:

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَئْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤ - ٨٥]، فقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يعني: وآتيناه من كل شيء ما يتسبّب إليه، وهو العلم^(٣)، وعن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وابن جريج، والضحاك، قولهم: وآتيناه من كل شيء سبباً، أي: علماً^(٤).

ومنهم من يرى غير ذلك، ويعتبر السبب في هذه الآية هو الوسيلة، قال ابن عاشور^(٥): «المراد هنا معنى مجازي، وهو الطريق؛ لأن الطريق وسيلة إلى المكان المقصود، وقرنه المجاز ذكر الإتباع

(١) ينظر: الفراهيدي، «العين»، ج ٧، ص ٢٠٣، وابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٣، ص ٤٥، والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ)، «مختر الصاحب»، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ٣٦، وابن منظور، «لسان العرب»، ج ١، ص ٤٥٥.

(٢) الزمخشري، «الكشف»، ج ٢، ص ٧٤٣. وينظر: الفخر الرازي، «مفتيح الغيب»، ج ١٠، ص ٢٤٦، وابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت ١٣٩٣ هـ)، «التحرير والتتوير»، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٣ م، ج ٨، ص ٤٢٤.

(٣) الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٨، ص ٩٥. وينظر: البغوى، «معالم التنزيل»، ج ٥، ص ١٩٩، والقرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج ٥، ص ١٩١، و الشعابى، عبد الرحمن بن مخلوف بن طلحة (ت ٨٧٥ هـ)، «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، ٤م، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ج ٢، ص ٣٩٣.

(٤) الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٨، ص ٩٥. وينظر: ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٥، ص ٤٤٩ - ٤٥٠، والشوکانى، «فتح الcedir»، ج ٣، ص ٤٤٢.

(٥) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته دراسته بها، توفي سنة ١٣٩٣ هـ، من أشهر مصنفاته: «مقاصد الشريعة الإسلامية» و«أصول النظم الاجتماعي في الإسلام» و«التحرير والتتوير» في تفسير القرآن. تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٦، ص ١٦٤ - ١٦٥.

والبلوغ في قوله: ﴿فَانِعَ سَبَّا * حَقَّ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٨٥ - ٨٦]، والدليل على ارادة غير معنى السبب في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَّا﴾ إظهار اسم السبب دون إضماره، لاته لما أريد به معنى غير ما أريد بالأول، حسُنَّ إظهارُ اسمه تتباهًا على اختلاف المعنيين، أي: فاتبع طريقة للسير وكان سبِّرُه للغزو، كما ذَلَّ عليه قوله: ﴿حَقَّ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾^(١). والراجح في معنى: وآتيناه من كل شيء سبِّا: العلم، والله أعلم^(٢).

وعلى أي معنى كانت هذه الأسباب التي أعطاها الله لذى القرنين، فإنه قد عمل بها، حتى حصل له ما حصل، وهذه هي العبرة من القصة، فالله تعالى يُؤْصِلُ أحسن التصْصَصِ؛ لتأخذ العبر، فنسقى منها في حياتنا الواقعية التي نعيش، فمن أراد الفوز والتَّجَاهَ، فعليه العمل بأسبابها التي بينها الله تعالى في كتابه.

وقد قمت بدراسة الأسباب التي جاء ذكرُها في الآيات التي احتوت على لفظة مِنْ مُشتقَاتِ الفوز أو الخُسْرَانِ فقط، وذلك كي أحصر الأسباب قدر الإمكان؛ فدراستي موضوعية، وإلا فستَّسعُ الدراسة ويَطْوُلُ الحديث. والله الموفق.

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ١٥، ١٢٧. وينظر: ابن الجوزي، «زاد المسير»، ج ٥، ص ١٨٥، والشوكاني، «فتح القدير»، ج ٣، ص ٤٠.

يقول السعدي: «وهذه الأسباب التي أعطاها الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تنتقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النَّفَلَةُ للإِسْرَائِيلِيَّاتِ ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جنُّ عظيم، ذو عَدْ وعُدْ ونظم، وبه تمكن من فَهْر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها، فأعطاه الله، ما بلغ به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عينِ حمئَةٍ...». السعدي، «تيسير الكريم الرحمن»، ص ٤٨٥.

(٢) كما جاء ذكر مفردة السبب في الآيتين التاليتين أيضًا: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظْنُنَ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَيَمَدُّ سَبِّي إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعَ فَلَيَنْظُرْ هَلْ يَدْهَنَ كَيْدُهُ مَا يَعِظُ﴾ [الحج: ١٥]، وقل أيضًا: ﴿إِذْ تَبَرَّا الَّذِينَ أَتَيْعُوا مِنَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا وَرَأَوْا الْكَبَابَ وَنَقَطَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

وال الأولى بمعنى: الحبل يشد بسقف بيته، وقيل: أية حيلة أو أمر يصل به إلى السماء ليقطع نصر الله لنبيه. ينظر: الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٨، ص ٥٨٠، والفارزى، «مفائق الغيب»، ج ٨، ص ٢١٠ - ٢١١، والشوكاني، «فتح القدير»، ج ٣، ص ٤١.

والثانية بمعنى: الوصال والمودة التي كانت بينهم في الدنيا، وقيل: الأرحام، وقيل: العهود والخلف.. الخ. ينظر: الطبرى، «جامع البيان»، ج ٣، ٢٩٠، والفارزى، «مفائق الغيب»، ج ٢، ص ١٨١.

وأنتقل في حديثي من معنى الأسباب إلى ماهية هذه الأسباب حسب ما جاءت به الآيات الكريمة:

ثانياً: أسباب الفوز في سورة العصر:

لقد قرر الله تعالى أسباباً للفوز والخسران، بهما يتميز الخبيث من الطيب، وبهما يُعرف الخاسر من الفائز، ولقد جاء ذكر هذه الأسباب في سورٍ وآياتٍ كثيرة، إلا أن سورة من المفصل عظيمة جاءت على رأس هذه السور، حوت ما يمكن أن يشمل جميع تلك الأسباب، بأسلوبٍ معجزٍ خالد، تُقرّبُ البعيد وتُقصّرُ الطريق، أمام العالم والمتعلم، فجاءت سورة العصر لجمع شمل الأسباب في آيةٍ واحدة، وكانت ميزاناً للأعمال يَزِّنُ المؤمن بها نفسه، فيبيئُ له بها ربّه من خسرانه، جاءت منهاجاً كاملاً للحياة البشرية كما يُ يريدها الإسلام، جاءت ترسم الطريق الصحيح الذي ينتهي بمن سلكه إلى الفوز والربح، حتى إن الشافعى رحمه الله قال في سورة العصر: «لو تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوْسَعَتْهُمْ»^(١)، ويروى عن عبد الله بن حُصين أنه قال: «كان الرّجلان من أصحاب النبي محمد ﷺ إذا التقى لم يفترقا؛ إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها، ثم يُسلم أحدهما على الآخر»^(٢).

لقد كان ذلك الحرصُ الكبيرُ من أصحاب البشير التذير على مُعايشة هذه السُّورة العظيمة؛ لعلهم اليقيني بأنّها قد قررت الحقيقة الواضحة، التي تتلخص في أنه ليس هناك إلا منهج واحد رابح، وكل ما وراء ذلك ضياعٌ وخسران، فلا نجاة للبشرية إلا بما جاء في تلك السُّورة من خصال: وهي الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

وسورة العصر مكية، وقد عُدّت الثالثة عشرة في عدد نزول السور، نزلت بعد الانشراح وقبل العadiات^(٣)، وجاءت في ترتيب السور بعد سورة التكاثر، قال البقاعي^(٤) في بيان المناسبة في ذلك: «لما

(١) ينظر: ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٨، ص ٤٧٩، وابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ٣٠، ص ٤٦٤، والشامي، صالح أحمد، «موعظ الإمام الشافعى»، ج ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م، ص ٣٢.

(٢) الطبراني، «المعجم الأوسط»، ج ٥، ص ٢١٥، والبيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)، «شعب الإيمان»، ط ١، م ٧، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ هـ - ١٤١٠ ج ٦، ص ٥٠١، برقم ٩٥٧.

(٣) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ٣٠، ص ٤٦٣.

كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة؛ التنعم بما فيها من المتع، وكان الإنسان مسؤولاً بما شهد به، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعداً برأوية الجحيم، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر، وكان نعيمه في غاية الكدر، قال دالاً على ذلك بأن أكثر الناس هالك، موكداً بالقسم والأداة، لما للأغلب من التكذيب لذلك، إما بالمقال أو بالحال: ﴿وَالْعَصَر﴾^(١)، وذكرت السورة أربعة أسباب من عمل بها أفلح وفاز ونجا، ومن لم يعمل بها ليس له إلا المذلة والخسران والهلاك.

قوله: ﴿وَالْعَصَر﴾ «قسم أقسم به ربنا، يُراد به تأكيد الخبر كما هو شأن أقسام القرآن»^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّ إِلَّا إِنْسَنَ لِفَ حُسْرٍ﴾، جواب القسم^(٣). ومجيء الكلام بأسلوب القسم؛ لتأكيد المقسم عليه، وهو أن جنس الإنسان في خسر^(٤). و﴿إِنَّ﴾: للتوكيد والنصب، و﴿إِلَّا إِنْسَنَ﴾: اسم جنس يعم^(٥)، ولذلك صَحَّ الاستثناء منه.

(١) هو إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرّباط البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أدبي، أصله من البقاع في سوريا، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ. من أشهر مصنفاته: «عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران»، و«أسواق الأشواق»، اختصر به «مسارع العشاق»، و«نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي. تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج١، ص٥٦ - ٥٧.

(٢) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ)، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ط١، ص٨، (تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدى)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج٨، ص٥٢٢. وينظر: الألوسي، «روح المعاني»، ج٣٠، ص٢٢٧.

(٣) ابن عاشور، «التحرير والتتوير»، ج٣٠، ص٤٦.

(٤) ينظر: القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج٢٠، ص١٧٩، وأبي الحسين الحلبى، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، «الدُّرُّ المصنون في علوم الكتاب المكتون»، ط١، ص١١، (تحقيق: د. أحمد محمد الخراط)، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج١١، ص١٠٣، (تأليف: ابن عادل)، «اللباب»، ج٢٠، ص٤٨٥، وأبو الشوكاني، «فتح القدير»، ج٥، ص٦٩٩.

(٥) ينظر: طنطاوي، محمد سيد، «التفسير الوسيط للقرآن الكريم»، الرسالة، مصر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٢٩، ص٧٠٤.

(٦) ينظر: الزمخشري، «الكافل»، ج٤، ص٧٩٤، وأبي عطيه، «المحرر الوجيز»، ج١٥، ص٥٦٤، والفارغ الرازى، «مفاتيح الغيب»، ج١١، ص٢٧٩، والقرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج٢٠، ص١٨٠، وأبو حيان، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، «البحر المحيط في التفسير»، ب.ط. (عنيبة: الشيخ زهير جعید)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج٨، ص٥٠٩، والبقاعي، «نظم الدرر»، ج٨، ص٥٢٢، وأبن عاشور، «التحرير والتتوير»، ج٣٠، ص٤٦٦.

و﴿لَفِي خُسْرٍ﴾: «اللام» للتوكيد^(١)، والخُسْر مصدر، وهو ضد الربح في التجارة، واستعير هنا لسوء العاقبة لمن يظن عاقبة حسنة^(٢). وئّنَّ الخسر لأن التكير يُفيد التهويل، أي أن الإنسان لفي خسر عظيم، لا يعلم كنهه إلا الله^(٣). وإنَّ أفراد الخسر مع كثرة أنواعه؛ لأنَّ الخسر الحقيقي هو حرمانه عن خدمة ربه سبحانه، وما عدا ذلك فكالعدم^(٤).

و«إن» و«لام التأكيد» و«في» وتکير «الخسر»، كلها مبالغات وقرائن تدل على تأكيده سبحانه وتعالى بيان كون الإنسان في خسر دائم، وبيان ذلك أن عمر الإنسان هو رأس ماله، والخسر هو تضييع رأس المال أو جزء منه، فإفناه العمر فيما يمكن أن يكون خيراً منه عبارة عن الخسران، ووجهه أنه إذا أفسَى الإنسان عمره في المعصية فخسارته ظاهرة، وإن كانت ساعاته قد مرّت بالمباحات فكذلك؛ لأنَّه يمكنه أن يعمل فيه عملاً يبقى أثره دائمًا، وإن كان مشغولاً بالطاعات فلا طاعة إلا ويمكن الإتيان بها على وجه أحسن؛ لأن مراتب الخضوع والعبادة غير متناهية، كما أن جلال الله وحمله ليس لهما نهاية^(٥)، قال الرazi: «كلما كان علم الإنسان بها - أي: مراتب الخضوع والعبادة - أكثر كان خوفه منه تعالى أكثر، وكان تعظيمه عند الإتيان بالطاعات أكمل، وترك الأعلى والاقتصار بالأدنى نوع خسaran، فثبت أن الإنسان لا ينفك أبداً عن نوع خسaran»^(٦).

ولكن «لما كان الإنسان لا يُكُفُّ إلا ما هو وسعه وطريقه لا بالنسبة إلى نوعه بل بالنسبة إلى شخصه، فإذا اجتب المعاichi بقدر الإمكان واستعمل المباح بمقدار الضرورة وأتى بالطاعة على حسب

(١) الإبراهيم، أ.د. محمد الطيب، «إعراب القرآن الكريم»، ط٢، دار النفائس، عمان، الأردن، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، [العصر: ٢].

(٢) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج٣٠، ص٤٦٦.

(٣) ينظر: الفخر الرازبي، «مفائق الغيب»، ج١١، ص٢٧٩.

(٤) ينظر: الفخر الرازبي، «مفائق الغيب»، ج١١، ص٢٨٠، وابن عادل، «اللباب»، ج٢٠، ص٤٨٦.

(٥) ينظر: الفخر الرازبي، «مفائق الغيب»، ج١١، ص٢٨٠، والنسيابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت ٨٥٠هـ)، «غرائب القرآن ورثائب الفرقان»، ط١، ٦م، (تحقيق: الشيخ زكريا عميران)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج٦، ص٥٥٩، وابن عادل، «اللباب»، ج٢٠، ص٤٨٦.

(٦) الفخر الرازبي، «مفائق الغيب»، ج١١، ص٢٨٠.

طاقته، لم يُسَمِّ خاسراً، ولكنه يكون من أكمل الأشخاص، لهذا استثناه الله تعالى بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ إِمَّا مُتُّوا وَعَيْلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ﴾^(١).

والظرفية في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ خَسِرَ﴾ مجازية شبهت ملازمة الخسر بإحاطة الظرف بالمظروف، فكانت أبلغ من أن يقال: إن الإنسان لخاسر^(٢)، فكان الإنسان مغمور في الخسان ومحاطٌ من كل جانب^(٣).

* * *

(١) النيسابوري، «غرائب القرآن»، ج٦، ص٥٥٩.

(٢) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج٣٠، ص٤٦٦.

(٣) ينظر: الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج١١، ص٢٨٠، وابن عادل، «اللباب»، ج٢٠، ص٤٨٦، ومحمد طنطاوي، «التفسير الوسيط»، ج٢٩، ص٧٠٤.

المبحث الأول

المعاني الإيمانية وأثرها في الفوز والخسران

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإيمان لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية الإيمان في حياة الإنسان.

المطلب الثالث: أهم القيم الإيمانية التي تبني الإنسان.

أولاً: توحيد الله تعالى.

ثانياً: مكارم الأخلاق.

ثالثاً: العلم.

المطلب الأول: تعریف الإیمان لغةً واصطلاحاً.

أولاً: الإیمان لغةً:

قال ابن فارس: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة، التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سکون القلب، والآخر: التصديق»^(١).

وقال الراغب: «آمن: إنما يقال على وجهين: أحدهما متعدياً بنفسه، يقال: آمنتُه، أي: جعلت له الأمان، ومنه قيل لله: مؤمن. والثاني: غير متعد، ومعناه: صار ذا أمن».

والإیمان يستعمل تارة اسمًا للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، وعلى ذلك: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّدِيقُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]. وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْصَّدِيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]^(٢).

وقد استعمل القرآن الكريم (آمن)، متعدياً بنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَءَامَنُوهُمْ مِنْ حَوْفٍ﴾ [قریش: ٤]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]، وقوله: ﴿مَكِينُ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، ومن السنة، قول الرسول ﷺ: «النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابي أتى أمتى ما توعد»^(٣).

كما استعمل القرآن (آمن) متعدياً بالباء أو باللام، ويكون معناه التصديق، وقد حكى الأزهري اتفاقهم على ذلك، إذ قال: «وأتفق أهل اللغة وغيرهم أن الإیمان معناه: التصدق»^(٤)، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنَّتَ بِمُؤْمِنِ لَنَا﴾

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ١، ص ١٣٨.

(٢) الراغب، «مفردات ألفاظ القرآن»، ص ٢٣ - ٢٤.

(٣) أخرجه مسلم في «صحیحه»، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء، برقم (٢٥٣١).

(٤) ينظر: الفراهيدي، «العين»، ج ٨، ص ٣٨٩، والأزهري، أبو منصور بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، «تهذيب اللغة»، ط ١٥، ١٥١م، (تحقيق: محمد عوض مرعي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج ١٥، ص ٣٦٦، والرازي، «مختر الصاحب»، ص ٢٠، وابن منظور، «لسان العرب»، ج ١٣، ص ٢١.

[يوسف: ١٧]، أي: **بُصَدِّقَ لَنَا**، وقال تعالى: ﴿فَعَانَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، أي: **صَدَّقَ لَهُ لُوطٌ**، وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبه: ٦١]، أي: **يُصَدِّقُ بِكَ وَيُصَدِّقُ بِالْمُؤْمِنِينَ**.

ثانياً: الإيمان اصطلاحاً:

إن الأصل في الإيمان التصديق، وأركانه هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، قال البخاري: «الإيمان هو قول وفعل، ويزيد وينقص»^(١)، وقال أبو العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية: «الإيمان في عُرف القرآن: التصديق بوحدانيته ورسله واليوم الآخر، وبما جاءت به رسله، مع الاتّباع في الجملة»^(٢)، وقد اتفق جمهور سلف الإمة على أن الإيمان: تصديق القلب وقول اللسان وعمل الجوارح^(٣).

* * *

(١) البخاري، «ال الصحيح »، أول كتاب الإيمان. وقال أيضاً - في نفس الموضع -: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمسار فما رأيت أحداً منهم مختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص».

(٢) أبو العز الحنفي، صدر الدين علي بن علي (ت ٧٩٢هـ)، «شرح الطحاوية»، مكتبة الملك فهد، ١٤١٨هـ - ١٩٩٣م، ص ٣٤١.

(٣) ينظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت ٣٩٨هـ)، «التعريفات»، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٦٠، وابن أبي العز، «شرح العقيدة الطحاوية»، (تحقيق: أحمد شاكر)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ٣١٤ وما بعدها، وينظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، «فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري»، ١٢م، (بترقيم: محمد فؤاد الباقري)، دار الفكر، كتاب: الإيمان، والنوي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت ٦٧٦هـ)، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج»، ط٢، ٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب: الإيمان.

المطلب الثاني: أهمية الإيمان في حياة الإنسان.

إن سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بما يحمله من مفاهيم، والمفاهيم هي قناعات ناتجة عن إدراك للأشياء وخصائصها.

والمفاهيم نوعان:

أولاً: مفاهيم عن الأشياء، وهي قناعات أو أحكام مصدرها الأشياء ذاتها، كقولنا: النار تحرق، والسم يقتل.

ثانياً: مفاهيم عن الحياة، وهي قناعات أو أحكام مصدرها خارج عن موضوعها، كقولنا: الصلاة فرض، والخمر حرام.

وهكذا فإن سلوك الإنسان مرتبط بالمفاهيم جميعها، فالمفاهيم عن الحياة ثبّين للإنسان كيف يعيش؟ فلا يكون همه أن يعيش؟ وإنما كيف يعيش؟ وليس همه أن يُشبّع حاجاته؟ ولكن كيف يشبّعها؟ وبما أن المفاهيم عن الحياة مصدرها خارج عن الأشياء والأفعال ذاتها، فإنه لا يمكن أخذها إلا بعد الاقتناع بأن هذا المصدر الذي يحكم على هذه المفاهيم له الحق والصلاحية والسلطان والقدرة بأن يحكم عليها، وأن أحكامه صحيحة.

والإسلام قرر أن الأمر والنهي والحكم هو الله تعالى، وأن مصدر هذه الأحكام هو الوحي المنزل على سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَّا رَّأَيْتُمْ فَإِنَّمَا يَرَى إِلَّا بَأَيْمَانَهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، فلا حكم مستقل للعقل أو للإنسان، وليس هذا إنفاصاً من قدرته أو حداً لها؛ لأنّه لا يملك الأدوات الازمة للحكم، وإذا أعطيت صلاحية إصدار الأحكام للإنسان، فإنه سيُحْكّم نفسه وهو ومحاله.

ومن هنا تأتي أهمية الإيمان بالله تعالى وبالنبوة وبالقرآن، فهذا الإيمان هو العقيدة التي تؤثر في سلوك الأفراد، إذ تجعل عند الإنسان المفاهيم عن الحياة، فتبين له كيف يعيش؟ وكيف ينال رضا الله عز وجل؟ فيكون من الفائزين^(١).

(١) ينظر: حسن، محمود عبد الكري姆، «التغيير حتمية الدولة الإسلامية»، ط٢، دار الأمة، الجزائر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٧، بتصرف.

وقال أستاذنا الدكتور أحمد فريد عن أهمية الإيمان: «إنه ضرورة حيوية ضرورة الطعام والشراب والهواء في بناء الإنسان، الذي يحمل الأمانة، وبدونه يبقى تائهاً يفقد وجوده وذاته: ﴿أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صَرْطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]»^(١).

فالإيمان هو الباعث على معايشة الحياة بنواحيها المتعددة ومجالاتها المتنوعة، فكل جزئية من حياة المسلم لا تخرج عن محيط دائرة الإيمان، انظر إلى أمر إطعام المسكين في المجتمع المسلم - هو التكافل الاجتماعي - إنه مرتبط بالآخرة، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْأَيْمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ * وَلَا يَحْصُلُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ - ٣]، فالأمر عند المجتمع المسلم أسمى من أن يكون في الجهات الأخلاقية، وأسمى من أن يكون أوامر قسرية على الأغنياء، لتعطى أموالهم للقراء، إنما الأمر مرتبط بالآخرة، ومرتبط بأصل الإيمان، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمَّا نَكُنْ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَلَمَّا نَكُنْ نُطْعَمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٤]^(٢).

كل ذلك حَدَّده لنا ربنا في كتابه الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ، فهو إذاً منهج قرآني منضبط، وهو «الذي تكفل ببناء الإنسان بناءً متوازياً صحيحاً، تتحدد فيه علاقاته مع ربه ومع نفسه وأهله ومع الناس ومع سائر المخلوقات، كما جعل فيه القدرة على التفاعل الصحيح والمنظم مع الوحي والكون»^(٣).

ومن ذلك علم أن لهذا الإنسان رسالة وعليه أمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى الْمَوْرَى وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيَتْ أَنْ يَحْمِلَنَا وَأَشْفَقَنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِلَيْنَا كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، «وكونها أمانة، فيتعين أن تؤدي، مع الحرص الأكيد على هذا الأداء، وعلى الوجه الأكمل الذي أودعت فيه دون نقص، ولا يتم هذا إلا في ظل العبودية لله تعالى، امثلاً لأمره، ولهذا كان خاسراً لنفسه، ظالماً لها حين أهبط نفسه عن تلك المنزلة التي رفعه الله تعالى إليها، جهولاً بحقائق تكوينه وعظم قدره التي فطره الله عليها»^(٤).

(١) د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلائل تربوية»، ص ١٩.

(٢) ينظر: سفر الحوالي، موقع الشيخ سفر الحوالي، محاضرات عامة، أثر الإيمان في بناء الأمم، أهمية الإيمان في واقع الحياة.

(٣) د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلائل تربوية»، ص ١٧.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣.

المطلب الثالث: أهم القيم الإيمانية التي تبني الإنسان المؤمن.

إن القيم الإيمانية كثيرة متعددة وسأقتصر حديثي على أعظم وأهم هذه القيم:

أولاً: توحيد الله تعالى.

تعريف التوحيد: قيل: «هو اعتقاد أن الله واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في ألوهيته وعبادته وحده لا شريك له»^(١). وقيل: «هو اعتقاده منفرداً بذاته وصفاته وأنه لا نظير له ولا شبيه»^(٢).

وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي - وهو يعرف التوحيد - : «والأصل فيه أن التوحيد في أصل اللغة: عبارة عما يصير به الشيء واحداً، كما أن التحرير عبارة عما يصير به الشيء متحركاً، والتسويف عبارة عما يصير به الشيء أسوداً، ثم يستعمل في الخبر عن كون الشيء واحداً لما لم يكن الخبر صادقاً إلا وهو واحد، فصار ذلك كاإثبات، فإنه في أصل اللغة عبارة عن الإيجاب»^(٣).

فالتوحيد هو رأس دعوة الرسل، وغاية جهادهم وتبلیغهم، من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبیین والمرسلین سیدنا محمد عليه أفضـل الصلاة والتسـلیم، ويكفي في الدلالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْبَأَنَا مِنْ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهًا إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِنَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال سید قطب عند تفسیره لقوله تعالى: ﴿فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]: «ليس هناك حقيقة، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي،

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (٤٨)، ص ٦٩.

(٢) ابن حجر، «فتح الباري»، أول كتاب التوحيد، ج ١٣، ص ٣٤٣. وينظر: الجرجاني، «التعريفات»، ص ٦٩.

(٣) أبادي، عبد الجبار بن أحمد الأسد (ت ١٤١٥هـ)، «الأصول الخمسة»، ط ١، (تحقيق: د. فيصل بدیر عون)، مجلس النشر العلمي، الكويت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٦٧ - ٦٨، وجاء في معنى التوحيد لغة: التوحيد: مصدر واحد يوحد توحيداً، فهو واحد والواحد والأحد يدور معناه على الانفراد. ينظر: قلعه جي، أ. د. محمد روا قلعه جي، ود. حامد صادق قبیی، «معجم لغة الفقهاء»، ط ١، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٥٠.

(٤) ينظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (٤٨)، ص ٦٩.

ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة .. وهي - من ثم - أحديّة الفاعلية، فليس سواه فاعلاً لشيء، أو فاعلاً في شيء، في هذا الوجود أصلًا .. وحين يخلص القلب من الشعور بغير هذه الحقيقة، فعنده يتحرر من جميع القيود، وينطلق من كل الأوّاهق^(١)، يتحرر من الرغبة، وهي أصل قيود كثيرة، ويتحرر من الرهبة، وهي أصل قيود كثيرة، وفيم يرحب وهو لا يفقد شيئاً متى وجد الله؟ ومن ذا يرحب ولا وجود لفاعلية إلا الله؟..»^(٢).

لذلك كان جوهر الإيمان التوحيد، ومن هنا نلمس لماذا كانت أول وصية وصيّ بها لقمان عليه السلام ابنه: النهي عن الشرك؟ قال تعالى: ﴿وَلَاذْ فَالْقُمَنْ لِأَبْنِهِ، وَهُوَ بَعْظُهُ، يَتَبَيَّنَ لَا شَرِكَ بِاللَّهِ إِنَّكَ أَشْرَكَ لَأَظْلَمُ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فالإيمان بالله وحده وإخلاص العبادة له، أمر في غاية الأهمية، يتجلّى في وصل ما بين الإنسان وربه بحبه وقربه، وملء ما بين جنبيه ثقةً بالله، واعتماداً عليه.. وهذه المعاني وغيرها إنما ينشئها ويحييها تبنيه للإنسان إلى سر وجوده، وحقيقة إنسانيته، والوعي برسالته في الحياة^(٣)، قال تعالى: ﴿وَمَا حَكَفْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَنَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولذلك من سار على هذا المنهج الإيماني ، التوحيد الله - بشره الله تعالى بالفلاح، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، فمبدأ الفلاح وسببه الرئيسي: الإيمان بالله، ثم يأتي بعد ذلك تفصيل الأعمال التي بها يكمل الإنسان إيمانه فيزيد، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّعْنِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّزْكَةِ فَنَعْلَمُ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفَظُونَ * إِلَّا عَنْ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْرَ مُلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَ وَرَاءَهُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لَا مَنِتَّهُمْ وَعَهْدُهُمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرَدَوْسَ هُمْ فِيهَا حَلِيلُوْنَ﴾ [المؤمنون: ٢ - ١١].

فالإيمان الواجب علينا فهمه وتحقيقه، فهو ليس مجرد نظريات تلفظ بالألسن أو كلمات تردد في

(١) الأوّاهق: جمْع وَهَقْ - بالتحريك - وقد يُسْكَن وهو حبل كالطَّولُ تُشدُّ به الإبل والخيل لثلا ثنَّة، ينظر: ابن الأثير، «النهاية في غريب الأثر»، ج٥، ص٥٢٣، باب الواو والهاء، وابن منظور، «لسان العرب»، ج١٠، ص٣٨٥، باب (وهق).

(٢) سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ط١١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ج٦، ص٤٠٠٢.

(٣) ينظر: القرضاوي، أ. د. يوسف عبد الله، «الإسلام حضارة الغد»، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، عمان، دمشق، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص١٧١، و د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلائل تربوية»، ص٢٠.

تعريفات جامدة، بل هو نظام حياة، به يعيش الإنسان، وبه يتواصل مع أخيه الإنسان، وبه يعبد ربه، فلا يستثنى شيء حتى يكون داخلاً فيه، ملهمًا لكل خير، ودافعاً لكل شر، وهذا الإيمان ليس وحده، بل يقرن بالعمل الصالح، فتجمع بين الإيمان والعمل الصالح، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يلحقهم الخسران بحال، إذا لم يتركوا شيئاً من الصالحات بارتكاب أضدادها وهي السيئات^(١).

وبما أن الإيمان والتوحيد لا يخلو من التقوى والخشية والمخافة من الله تعالى؛ فإن الكثير من آيات كتاب الله قد قرنت التقوى مع الإيمان حتى يكون صاحبه من الفائزين، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوُا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّدِيقِينَ﴾ [التوبه: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوُا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوُا اللَّهَ وَمَا آمَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتَكُمْ كُلَّيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ تُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، وقد قيل في تعريف التقوى: «الاحتراز بطاعة الله تعالى عن عقوبته، وهو صيانة النفس بما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك»^(٢).

ولم يأتِ اقتران التقوى مع الإيمان من فراغ، فالتفوى كانت وصية الأنبياء لأقوامهم؛ قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ بُوْحُ الْأَنْتَقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦]، وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُوَ الْأَنْتَقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤]، وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَلَحٌ أَلَا نَنْتَقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٢]، وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لُوطٌ أَلَا نَنْتَقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١]، وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا نَنْتَقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٧]، وقال: ﴿وَإِذْ هِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْقُوْهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦].

وجاءت التقوى صفة لأولياء الله وطريقاً لولاهية الله والفوز العظيم، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُونُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بَدِيلٌ لِكَلَمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤ - ٦٦]، قال القاسمي: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: بكل ما جاء من عند الله تعالى، ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، أي: يخافون ربهم، فيفعلون أوامرها،

(١) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج. ٣٠، ص. ٤٦٧.

(٢) الجرجاني، «التعريفات»، ص. ٦٥.

ويجتربون مناهيـهـ، من الشرك والـكـفـرـ وـالـفـوـاحـشـ، ومـحـلـ الـمـوـصـولـ الرـفـعـ عـلـىـ أـنـهـ خـبـرـ لـمـحـذـوفـ، كـأـنـهـ قـيـلـ: مـنـ أـوـلـئـكـ، وـمـاـ سـبـبـ فـوـزـهـ بـذـاكـ الإـكـرـامـ؟ـ فـقـيـلـ: هـمـ الـذـينـ جـمـعـواـ بـيـنـ الإـيمـانـ وـالـتـقـوىـ، الـمـفـضـيـنـ إـلـىـ كـلـ خـيـرـ، الـمـنـجـيـبـيـنـ مـنـ كـلـ شـرـ»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَىَ اللَّهَ وَيَتَقَبَّلُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

من كل ما سبق يتبيـنـ لـنـاـ عـظـمـ اـسـتـقـرـارـ التـوـحـيدـ فـيـ النـفـوسـ، وـمـاـ يـكـونـ مـعـهـ مـنـ تـقـوىـ وـخـشـيـةـ اللـهـ تـعـالـىـ، حـتـىـ يـنـعـكـسـ الـأـمـرـ عـلـىـ السـلـوكـ، فـيـكـونـ الدـافـعـ الدـاخـلـيـ عـلـىـ أـدـاءـ مـاـ أـمـرـنـاـ بـهـ رـبـنـاـ، فـنـكـونـ مـنـ الـفـائـزـيـنـ.

(١) القاسمي، «محاسن التأويل»، ج ٩، ص ٤٩.

ثانياً: مكارم الأخلاق.

أ. الأخلاق لغة:

قال الراغب: «خُصَّ الْخَلْقُ بِالْقُوَى وَالسُّجَىَا المُدْرَكَةُ بِالْبَصِيرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]». وقال الفيروزآبادي: «الْخُلُقُ بِالضَّمِّ وَضَمَتِينِ: السَّجِيَّةُ وَالطَّبْعُ وَالْمَرْوَةُ وَالدِّينُ»^(١). وقال ابن منظور: «الخلق، بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسمحة، وحقيقة أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهمما أوصاف حسنة وقيحة»^(٢).

ب. الأخلاق اصطلاحاً: يُعرَّف الغزالي الأخلاق بأنها: «هيئه راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسراً وسهولة من غير حاجة إلى فكرٍ ورواية»^(٣).

وقال ابن مسكويه^(٤): «الخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها، من غير فكر ولا رؤية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج؛ كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجين من أيسر شيء، كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه، وكذلك يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكذلك يَعْتَمُ ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرُّب، وربما كان مبدوه بالرواية والفكـر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً»^(٥).

(١) الراغب، «مفردات ألفاظ القرآن»، ص ١٢٠.

(٢) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، فصل الخاء بباب القاف، ص ٢٣٦.

(٣) ابن منظور، «لسان العرب»، ج ١٠، ص ٨٦، وينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٢، ص ١٧٢.

(٤) الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي (ت ٥٥٥ هـ)، «إحياء علوم الدين»، ط ١، (تحقيق: د. عبد الله الخالدي)، دار الأرقام، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٦٨ - ٦٧، وعبدالكريم زيدان، «أصول الدعوه»، ط ٣، دار العرفان، قطر، ١٤٠٨ هـ، ص ٧٩.

(٥) وابن مسكويه هو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكوية توفي سنة (٤٢١ هـ)، فيلسوف ومؤرخ وشاعر فارسي بارز من أبناء مدينة الري في إيران الحالية، من أشهر مؤلفاته: «تجارب الأمم في التاريخ»، و«تهدیب الأخلاق»، و«كتاب الفوز الصغير في الأخلاق». تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ١، ص ٢١١ - ٢١٢.

(٦) ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ)، «تهدیب الأخلاق وتطهیر الأعراق»، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص ٢٥ - ٢٦.

«والحق أن مكارم الأخلاق تُعتبر حلقة وصل بين الدين والسلوك باعتباره مظهراً من مظاهره، حتى كان الخلق من مقومات الإيمان»^(١)، قال تعالى واصفاً خُلُقَ سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قال الطبرى: «وذلك أدب القرآن الذى أَدَبَ الله، به وهو آدابه وشرائعه»^(٢)، وقال القرطبي^(٣): «أى: أدب القرآن، وقيل: هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم،.. وقيل: لاجتماع مكارم الأخلاق فيه..»^(٤).

ولقد قال عز من قائل: ﴿لَفَدَ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فأكمل المؤمنين إيماناً بالنبي ﷺ وأعظمهم اتباعاً له وأسعدهم بالاجتماع معه؛ المتخلقون بأخلاقه، المتمسكون بسننته ودينه، قال النبي ﷺ: «أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حَسَنَ خُلُقه»^(٥). وقال النبي ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيمة أحاسنكم أخلاقاً»^(٦).

ولقد بيَّنت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلق النبي ﷺ، وفسرته حينما سُئلت عنه، فقالت: «كان خُلُقه القرآن»^(٧)، أي: يتأنب بآدابه، ويتأثر بأوامره، وينتهي بنواديه، ثم قرأت: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. فأمره ربه بأن يُعطي من حَرْمه، وأن يصل من قطعه، وأن يعفو عن ظلمه، ومن حسن خلقه ﷺ: أنه يصل الرحم، ويحمل الكل، ويُكسب المدعوم، ويقرئ الضيف، ويعين على نوائب الدهر، ويغيث ذا الحاجة الملهوف.

(١) د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلائل تربوية»، ص ٢٢.

(٢) الطبرى، «جامع البيان»، ج ٢٣، ص ٥٢٨.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندرسي القرطبي المفسر، إمام متقن عابد، توفي سنة (٦٧١ هـ)، جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً اسمه: «الجامع لأحكام القرآن»، و«التنكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، و«التنذكر في أفضل الأذكار». تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٥، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٤) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج ١٨، ص ٢٢٧.

(٥) أخرجه السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ)، «السنن»، ٤٤، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الفكر، بيروت، كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق، برقم (٤٨٠٠)، من حديث أبي أمامة. وحسنة الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٦) أخرجه الترمذى في «سننه»، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في معالى الأخلاق، برقم (٢٠١٨)، وقال: إسناده حسن.

(٧) أخرجه أحمد في «مسنده»، برقم (٢٤٦٠١) و(٢٥٣٠٢) و(٢٥٨١٣). وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

لذا نجد القرآن الكريم قد حرص على تحقيق الأخلاق في بناء الإنسان؛ لأنه إذا تربى عليها، يحيا حياة طيبة، ويترفع عن الملذات، إلا ما أحلاه الله تعالى منها، كما يسمو عن الماديات ... فلنحرص على غرس الأخلاق، فتاك ثمرة من ثمار الإيمان، وهي أساس الفلاح والنجاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ﴾ [الأعلى: ١٤]، فلاحاً يعم المجتمعات كلها، والتغيير المنشود إنما يبدأ من ساحة الأخلاق، والله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]﴾.

ومعنى ﴿تَرَكَ﴾: عالج نفسه حتى يكون زكيأً، أي: بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها، وأصل الزكاة: الزيادة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَنَهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَنَهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ * وَذَكَرَ أَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٥]، وقدم التزكي - في هذه الآية الأخيرة - على ذكر الله والصلاحة؛ لأنه أصل العمل بذلك كله، فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهدى، فعملت منافعها وأكثرت من الإقبال عليها، فالتزكيـة: الارتياض على قبول الخير^(١).

فقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَنَهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَنَهَا﴾، أي: قد فاز بكل مطلوب، وظفر بكل محظوظ، من زكى نفسه، فهذبها ونمثـها وأعلاها بالتفويـ والعمل الصالـ، وقد خـ من أصل نـهـ وأغـهاـ وأهـلـهاـ وأخـلـهاـ، ولـ يـهـذـبـهاـ، وهذا جوابـ القـسـمـ الذـيـ افتـحتـ بـهـ السـورـةـ^(٢).

وحـ الـامـ منـ ﴿قـدـ﴾ لـ الـكلـامـ طـالـ^(٣). وـ ذـكـرـ اـبـنـ اـحـتمـالـيـنـ اـثـنـيـنـ فـيـ تـفـسـيرـ الـآـيـةـ،ـ فـقـالـ:ـ «ـ يـحـتمـلـ أـنـ يـكـونـ الـمعـنـىـ:ـ قـدـ أـفـلـحـ مـنـ زـكـيـ نـفـسـهـ،ـ أـيـ:ـ بـطـاعـةـ اللـهـ،ـ وـطـهـرـهـاـ مـنـ الـأـخـلـقـ الـدـنـيـةـ وـالـرـذـائـلـ،ـ

(١) د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلائل تربوية»، ص ٢٤.

(٢) ينظر: الزمخشري، «الكافـافـ»، ج ٧، ص ٢٩٥، والشوـكـانـيـ، «ـفـتـحـ الـقـدـيرـ»، ج ٥، ص ٦٣٧، وابن عـاشـورـ، «ـالـتـحـرـيرـ وـالـتـوـيـرـ»، ج ٣٠، ص ٢٥٥.

(٣) الزـحـيلـيـ،ـ وـهـبـةـ مـصـطـفـيـ،ـ «ـتـفـسـيرـ الـمنـيرـ فـيـ الـعـقـيـدـةـ وـالـشـرـيـعـةـ وـالـمـنـهـجـ»،ـ ج ٣٠،ـ دـارـ الـفـكـرـ،ـ بـيـرـوـتـ،ـ ١٤١٨ـ هـ - ١٩٩٨ـ مـ،ـ ج ٣٠،ـ ص ٢٥٣ـ.ـ إـلـاـ أـنـ الزـمـخـشـريـ يـذـكـرـ أـنـ الـجـوابـ مـحـذـفـ تـقـدـيرـهـ:ـ لـيـدـمـدـمـ اللـهـ عـلـيـهـمـ،ـ أـيـ:ـ عـلـىـ أـهـلـ مـكـةـ لـتـكـيـيـهـمـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ،ـ وـالـمـرـادـ بـ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَنَهَا﴾ـ:ـ الـحـثـ عـلـىـ تـكـيـيـلـ الـنـفـوسـ وـلـلـمـبـالـغـةـ فـيـ الـحـثـ أـقـسـمـ عـلـيـهـ.ـ يـنـظـرـ:ـ الزـمـخـشـريـ،ـ «ـالـكـافـافـ»،ـ ج ٧،ـ ص ٢٩٥ـ.

(٤) يـنـظـرـ:ـ السـمـرـقـنـدـيـ،ـ «ـبـحـرـ الـعـلـومـ»،ـ ج ٣،ـ ص ٥٦٢ـ،ـ وـابـنـ الـجـوزـيـ،ـ «ـزـادـ الـمـسـيرـ»،ـ ج ٩،ـ ص ١٤١ـ،ـ وـالفـخـرـ الـراـزـيـ،ـ «ـمـفـاتـيـحـ الـغـيـبـ»،ـ ج ١،ـ ص ١٧٤ـ،ـ وـالـقـرـطـبـيـ،ـ «ـجـامـعـ لـأـحـکـامـ الـقـرـآنـ»،ـ ج ٢٠،ـ ص ٧٦ـ،ـ وـأـبـوـ السـعـودـ،ـ «ـإـرـشـادـ الـعـقـلـ السـلـيـمـ»،ـ ج ٩،ـ ص ١٦٤ـ.

وقد يحتمل أن يكون المعنى؛ قد أفلح من زكي الله نفسه»^(١)، والأول أولى.

وتكرير ﴿فَدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه، أي: خسر من نقصها وأخفاها بالفجور^(٢).

ولذلك «فإن الإيمان الذي نُنشِدُه ونسعى إليه، هو وحده الذي يُبَتْ في تربة الأخلاق، وتتمو في ربوعه أزهار الفضائل المثلى، والقيم العليا، وهذا ما أثبته الواقع، إن الأمم بدون أخلاق كبنيان بلا أساس، وهو مهما علا حتمي الانهيار، وكما قال الشاعر:

فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا﴾^(٣).
وإنما الأممُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيتْ

ولما للأخلاق من أهمية بالغة وتأثير كبير في حياة الأفراد والجماعات والأمم، فقد حفل القرآن الكريم بها واعتني أيماناً عنياً، كما يظهر من سور القرآن وأياته التي بيّنت أسس الأخلاق ومكارمها^(٤).

ولقد جاء عن النبي ﷺ من الحث على الخلق الحسن والوصية به ما يدفع كل ذي دين قويم، وعقل سليم، إلى التخلق به والمنافسة فيه، طمعاً في فوائده، وانتظاراً لكريم عوائده في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَافَسُ إِنَّ الْمُنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وفي ميدانه فليتسابق المتسابقون، ﴿أُولَئِكَ مُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَتِ وَهُمْ لَا سَيِّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، وعن النبي ﷺ قال: «إن من خياركم أحسنكم خلقاً»^(٥).

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٨، ص ٤١٢.

(٢) أبو السعود، «إرشاد العقل السليم»، ج ٩، ص ١٦٤.

(٣) د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلالات تربوية»، ص ٢٣. وبيت الشعر ينسب لأمير الشعراء، أحمد شوقي، إلا أنني بحث في ديوانه ولم أجد نص البيت، ولكن قريباً منه، وهو قوله: وَإِنَّمَا الْأَمْمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيتْ فَإِنْ تَوَلَّتْ مَضَوْا فِي إِثْرِهَا قُدْمًا، فَلَعِلَهُ أَخْذُهُ مَنْ قَبْلَهُ وَغَيْرُ فِيهِ.

(٤) الأزدي، عبد الله بن يوسف، «أصول من الأخلاق الإسلامية»، ط ١، دار الأندرس، حائل، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٧.

(٥) أخرجه البخاري في «صححه»، كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، برقم (٣٥٥٩)، وكتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والمسخاء، برقم (٦٠٣٥)، ومسلم في «صححه»، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ، برقم (٢٣٢١).

ثالثاً: العلم:

العلم لغةً: قال ابن فارس: «العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميّز به عن غيره»^(١). و«العلم نقيض الجهل، تقول: عَلِمْ عَلِمًا وعُلِمْ هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميـعاً»^(٢).

وأصطلاحاً: العلم بسكون اللام عند النهاة قسم من المعرفة، وهو ما وضع لشيء بعينه، غير متداول غيره بوضع واحد^(٣).

وإذا كانت الأخلاق «ثمرة من ثمار الإيمان، وأهم ما ينبغي أن يربّى عليه الإنسان، فإن العلم النافع رديف الإيمان وخادمه، وهو بهذا يعتبر أساساً من أسس بناء الإنسان، إذ لا يمكن أن يهيئ العلم مناخاً يتيح للعبشين فرص التحرر من الالتزام الأخلاقي، إذا ارتبط بالمقصد الأسنى للتربية، وهو الإيمان بالله تعالى والخشية منه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَتُو﴾ [فاطر: ٢٨]»^(٤).

قال تعالى: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُفْلُوْعَ الْعِلْمَ قَالَمَا بِالْقَسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فبدأ سبحانه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بأهل العلم، وكفاهم ذلك شرفاً وفضلاً وجلاله ونبلاً، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ إِنَّمَا أُتَّلِّ سَاجِدًا وَقَاءِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ كُلُّ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، قال الزمخشري: «وأراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانة، كأنه جعل من لا يعمل غير عالم، وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم، ثم لا يقتنون، ويفتنون فيها، ثم يفتون بالدنيا، فهم عند الله جهله، حيث جعل القانتين هم العلماء، ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه، أي: كما لا يستوي العالمون والجاهلون، كذلك لا يستوي القانتون والعاصون»^(٥).

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٤، ص ٨٨.

(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ج ١٢، ص ٤١٧. وينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٢، ص ١٥٢.

(٣) التهانوي، محمد علي بن علي (ت ١١٥٩هـ)، «كشاف اصطلاحات الفنون»، (وضع حواشيه: أحمد حسن بسج)، ط ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٣٣٢.

(٤) د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلالات تربوية»، ص ٢٤.

(٥) الزمخشري، «الكشف»، ج ٤، ص ١١٧.

والعلم من أهم أسباب زيادة الإيمان^(١).

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، قال الفخر الرازي: «القول المشهور أن المراد بالرفعة في درجات الثواب ومراتب الرضوان»^(٢).

والعلم أساس الدعوة إلى الله؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والعلم ميراث الأنبياء والرسل، فعن النبي ﷺ قال: «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»^(٣). كما أن العلم يبقى والمال يفنى، كما روي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٤).

وإذا أراد الله بعد خيراً وفقه وفقهه في دينه، كما روي من حديث معاوية رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٥).

وقد أمرنا الله تعالى بالاستزادة من العلم، وكفى بها من منقبة عظيمة للعلم، فقال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، قال القرطبي: «فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه، كما أمر أن يستزيده من العلم»^(٦). وقال الزمخشري: «قوله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له، عندما علم من ترتيب التعلم، أي: علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم، وأدباً جميلاً كان عندي، فزدني علمًا إلى علم، فإن لك في كل شيء حكمة وعلمًا. وقيل: ما أمر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم»^(٧).

(١) ياسين، د. محمد نعيم، «الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقصه»، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٢١٠.

(٢) الفخر الرازي، «مفآتيح الغيب»، ج ١٠، ص ٤٩٤.

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب: العلم، باب: الحث على العلم، برقم (٣٦٤١) عن أبي الدرداء رض. حسن الشيخ شعيب الأرناؤوط بشواهد.

(٤) أخرجه مسلم في «صححه»، كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١)(١٤).

(٥) أخرجه البخاري في «صححه»، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم (٧١).

(٦) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج ٤، ص ٤١.

(٧) الزمخشري، «الكشف»، ج ٣، ص ٩٠.

ولكن تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلُ بِهِ لَا بُدُّ لَهُ مِنِ الْإِخْلَاصِ؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «لَا تَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتَبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءُ، وَلَا لِتَمَارِوا بِهِ السَّفَهَاءُ، وَلَا لِتَحْتَازُوا الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ»^(١)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ تَعْلَمَ عِلْمًا مَا يَبْتَغِيهِ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعْلَمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ»^(٢)، يَعْنِي: رِيحَهَا، وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِي بِهِ السَّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُصِرِّفَ وِجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ»^(٣).

وَقَالَ الشَّاعِرُ^(٤):

الْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَفِفْ شَمَائِلَ تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةً لِلْإِخْفَاقِ
لَا تَحْسِبْ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يُتَوَجْ رُبُّهُ بِخَلَاقِ^(٥)

وَلَهُذَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْتَعِذُ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعَ مِنْهَا: «عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ»^(٦)، وَذَلِكَ فِيمَا إِذَا كَانَ هَذَا الْعِلْمُ لَا يَتَمَثَّلُ بِهِ صَاحِبُهُ، وَلَا يَظْهُرُ عَلَى سُلُوكِهِ، وَلَا يَنْفَعُ بِهِ غَيْرُهُ.

وَالْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ أُوْسَعُ مِنْ أَنْ يُجْدَدُ، وَأَشْمَلُ مِنْ أَنْ يَحْصُرَ بِنَوْعٍ أَوْ اِتِّجَاهٍ - كَمَا مِنْ مَعْنَى - وَلَكِنَّ الْمُسْلِمَ يَسْتَقِي مِنْ جَمِيعِ الْعِلُومِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ إِنْ لَمْ يَسْخُرْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَمْ يَهُدِّ صَاحِبُهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ الْعَظِيمَيِّ، وَهِيَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى حَقُّ الْمَعْرِفَةِ، وَعِبَادَتُهُ وَطَاعَتُهُ، لِيَتَحَقَّقَ الْمَنْهَاجُ الرَّبَانِيُّ فَيَفْوَزُ فِي آخِرَتِهِ، وَيَكُونُ هَذَا الْعِلْمُ سَبِيلًا وَطَرِيقًا نَحْوَ هَذَا الْفَوْزِ الْمَنْشُودِ، فَالْعِلْمُ سَبِيلُ الْإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿لَكِنَّ الرَّاسِحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النَّسَاءُ: ١٦٢].

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «سَنَنِهِ»، كَتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ: الْإِنْقَاعُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلُ بِهِ، بِرَقْمِ (٢٥٤). حَسْنَهُ الشَّيْخُ شَعِيبُ الْأَرْناؤُوطُ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سَنَنِهِ»، كَتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ: فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، بِرَقْمِ (٣٦٤). صَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَعِيبُ الْأَرْناؤُوطُ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «سَنَنِهِ»، كَتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ: الْإِنْقَاعُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلُ بِهِ، بِرَقْمِ (٢٥٣). حَسْنَهُ الشَّيْخُ شَعِيبُ الْأَرْناؤُوطُ.

(٤) هُوَ شَاعِرُ النَّيلِ: حَفَظَ إِبْرَاهِيمَ، (ت ١٩٣٢ م).

(٥) مِنْ قَصِيدَتِهِ: كَمْ ذَا يَكَبِّدُ عَاشِقٌ وَيَلَاقِي، مِنْ الْبَحْرِ الْكَاملِ.

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، كَتَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالْاسْتَغْفَارِ، بَابُ: التَّعُوذُ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلُ، بِرَقْمِ (٢٧٢٢) (٧٣).

المبحث الثاني

العمل الصالح وأثره في الفوز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية العمل الصالح واقترانه بالإيمان في آيات كتاب الله.

المطلب الثاني: تنوع العمل الصالح وتعدده.

المطلب الأول: أهمية العمل الصالح واقترانه بالإيمان في آيات كتاب الله.

قال ابن فارس: «العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل»^(١)، والعمل: الفعل والمهنة، والجمع: أعمال^(٢)، وقيل: العمل لغيره والاعتمال لنفسه^(٣).

إلا أن أبي البقاء الكفوبي يخالف ابن فارس وأبن منظور، ويفرق بين العمل والفعل، فقال: «العمل يعمّ أفعال القلوب والجوارح، وعمل: لما كان مع امتداد الزمان، والعمل لا يقال إلا فيما كان فكر وروية بخلاف الفعل الذي لا يستغرق الكثير منه، والعمل متعلق بالعلم ومرتبط به، بخلاف الفعل فقد يرتبط به ، وقد لا يرتبط به»^(٤). كما أنه لا يوجد آية في القرآن الكريم قرنت بين الإيمان والفعل.

والعمل يكون صالحًا وغير صالح، ولهذا جاء أمر الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ إِنَّمَاتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمْرُتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِرَبِّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْكُمْ﴾ [الشورى: ١٥]، فالله تعالى ربنا وربكم، لنا ثواب أعمالنا الصالحة، ولكم جزاء أعمالكم السيئة، فكل يجازى بعمله، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا﴾ [يوحنا: ١٠٨]، ولذلك فقد ورد ذكر العمل الصالح في القرآن الكريم ما يقرب من خمس وخمسين مرة^(٥).

فالإيمان والعمل الصالح توأمان، «ذلك أن السلوك العملي دوافعه قوى إيمانية روحية في الدرجة الأولى، صادرة عن أحقيتها المأخوذة من الكتاب والسنة»^(٦). ولقد اهتم القرآن الكريم بالعمل الصالح أيمًا اهتمام وقرنه بالإيمان في معظم آياته، قال تعالى: ﴿وَبَيْرَ الَّذِينَ إِيمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ جَنَاحِي تَجْرِي

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٤، ص ١١٦.

(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ج ١١، ص ٤٧٤.

(٣) المرجع السابق، ج ١١، ص ٤٧٤.

(٤) الكفوبي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ)، «الكليات»، (تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٩٧٥.

(٥) ينظر: الشرقاوي، «يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر»، ص ٥٠.

(٦) د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلائل تربوية»، ص ٢٦.

من تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ》 [البقرة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِمَانُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِمَانُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتِ بَغْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَرُوهُ مُطَهَّرٌ وَنَدْخُلُهُمْ طَلَالٌ ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَادْخُلْ الَّذِينَ إِمَانُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتِ بَغْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا يَادُنْ رَبِّهِمْ تَحْيَتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

ولأهمية العمل الصالح المترتب بالإيمان في تحقيق الفوز: وصف الفوز المترتب على هذا العمل بأنه فوز مبين وعظيم وكبير، كما في قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ الَّذِينَ إِمَانُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخَلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الجاثية: ٣٠]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمِعُ كُلُّ يَوْمٍ الْجَمْعَ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَلَاحًا يُكَفَّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخَلَهُ جَنَّتِ بَغْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ إِمَانُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتِ بَغْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

ومن أعظم الأعمال الصالحة: التوبة من الذنب، فمن تحقق فيه وصف الإيمان ولم ي عمل السيئات أو عملها وتاب منها، فقد تحقق له ضد الخسران وهو الربح المجازي، أي حسن عاقبة أمره، وأما من لم ي عمل الصالحة ولم يتتب من سيئاته، فقد تتحقق فيه حكم المستثنى منه وهو الخسران^(١).

وحقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلال عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل^(٢)، وحكمها الوجوب على الفور ولا يجوز تأخيرها^(٣). قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئِمَّةُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

والعمل الصالح لا يقتصر على ما ذكرت، بل يتعداه إلى القيام بكل ما أمر الله به من واجبات، وهو ما سألينه في المطلب اللاحق - إن شاء الله -. .

(١) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ٣٠، ص ٤٦٧.

(٢) ابن القيم، «النوبة والإنابة»، ط ١، (تحقيق: صابر البطاوى)، دار الجيل، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٩.

(٣) ابن القيم، «النوبة والإنابة»، ص ١٠١.

ومما يُبرز أهمية العمل الصالح ويدلُّ على ذلك أنها أساس الحضارة الإنسانية وعمارة الأرض، كما أنه سبب السعادة الأخروية القائمة على التقوى ومراقبة الله.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْفَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَمْكُنْنَ لَهُمْ دِيَرَمَهُ الَّذِي أَرَضَنَ لَهُمْ وَلَمْ يَبْدُلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّافِرُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

فهذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وت الخضع لهم العباد، ولبيك الله حتى فتح عليه مكة وخير والبحرين، وسائر جزيرة تبارك وتعالي ذلك، فإنه لم يقبض رسول الله ﷺ حتى فتح عليه مكة وخير والبحرين، وسائر جزيرة العرب^(١)، ولهذا ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها...». وسيأتي الحديث عن الاستخلاف في الأرض بشكل تفصيلي عند الحديث عن آثار الفوز في الدنيا.

ولما كان العمل الصالح سبباً في عمارة الأرض والاستخلاف فيها، كان أيضاً سبباً للسعادة الأخروية، فآيات الكتاب الكثيرة جاءت تؤكد عظم الجزاء للذين قرروا الإيمان بالعمل الصالح، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِنَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنَدْخُلُهُمْ ظَلَّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبٌ لَهُمْ وَحُسْنُ مَعَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٩]، ويصفهم تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُوَ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ ﴾ [البيت: ٧].

وال أعمال الصالحة هي التي تُنقل الموازين يوم القيمة وتحقق الفلاح والتجاة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسُهُمْ بِمَا كَانُوا إِيمَانِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨ - ٩].

(١) ينظر: ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٦، ص ٧٧، ومحمد طنطاوي، «التفسير الوسيط للقرآن الكريم»، دار المعارق، القاهرة، مصر، ١٩٩٢ - ١٤١٢هـ، ج ١٠، ص ١٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في «صححه»، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم (٢٨٨٩).

المطلب الثاني: تنوع العمل الصالح وتنوعه:

العمل الصالح الذي ذكرته في المطلب السابق لا يقتصر على نوع معين، قد تتصرف الأذهان إليه، من صلاة أو صيام، أو عبادات أو معاملات، ونحو ذلك، بل إن الأمر يتعدى ليشمل جميع الأعمال الصالحة التي تصدر عن المؤمن بالله، فهي صدى لمقتضيات الإيمان، وهي تشمل العبادات العملية كالصلوة ونحوها، وتشمل كذلك تفاعل الإنسان مع مظاهر الكون، وتسخيرها، والاستفادة منها بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَاللَّدُورُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، فالله تعالى يُبين أن الهدف الكبير هو خشنته وتقواه وابتغاء وجهه للفوز بالجنة^(١).

واقرأ الآيات الأولى من سورة المؤمنين لتعلم تنوع العمل الصالح الذي يشمل مجالات الحياة جميعها من عبادات ومعاملات، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ حَشِيعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْغُوَّامِرِصُورَكَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكْوَةِ فَيَعْلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفَظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتَ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَيْرَ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُرُونَ لِأَمْتَانِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ * وَالَّذِينَ هُرُونَ لِصَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا حَدِيلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١]، ففي هذه الآيات «تنويه من الله، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك: الحث على الاتصال بصفاتهم، والترغيب فيها، فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، زيادة ونقصاً، كثرة وقلة»^(٢).

وفي هذه الآيات، كما قال سيد قطب: «الوعد الصادق، بل القرار الأكيد بصلاح المؤمنين، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [الروم: ٦]؛ وقرار الله لا يملك أحد رده؛ الفلاح في الدنيا والصلاح في الآخرة، فلاح الفرد المؤمن وصلاح الجماعة المؤمنة، الفلاح الذي يحسه المؤمن بقلبه ويجد مصادقه في واقع حياته؛ والذي يشمل ما يعرفه الناس من معاني الفلاح، وما لا يعرفونه مما يدخله الله لعباده المؤمنين.

(١) ينظر: د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلائل تربوية»، ص ٢٨.

(٢) السعدي، «تيسير الكريم الرحمن»، ص ٤٥٧.

فمن هم المؤمنون الذين كتب الله لهم هذه الوثيقة، ووعدهم هذا الوعد، وأعلن عن فلاحهم هذا الإعلان؟ من هم المؤمنون المكتوب لهم الخير والنصر والسعادة والتوفيق والمتعاج الطيب في الأرض؟ والمكتوب لهم الفوز والنجاة، والثواب والرضوان في الآخرة؟ ثم ما شاء الله غير هذا وذلك في الدارين مما لا يعلمه إلا الله؟ من هم المؤمنون، الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون؟

إنهم هؤلاء الذين يُفصّلُ السياق صفاتهم بعد آية الافتتاح: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ حَشِعُونَ﴾ .. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْغَوَّ مُعْرِضُونَ﴾ .. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِرَزْكَوَةِ فَنَعْلَوْنَ﴾ .. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفَظُونَ﴾ .. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ﴾ .. ﴿وَالَّذِينَ هُرُّ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(١).

فطاعة الله مصيرها الفوز، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، والتقوى فوز وفلاح ونجاة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلنَّاسِ مَفَازًا﴾ [النبا: ٣١]، ﴿وَأَتَقْوَى اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وقال: ﴿وَيُتَحِّى اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقْوَى بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ الْسُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْرُجُونَ﴾ [الزمزم: ٦١]، والجهاد سبب الفلاح، قال تعالى: ﴿وَجَاهُهُدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]، ومن الأعمال الصالحة الموجبة للفلاح اجتناب الخمر والميسر والأنصاب.. ﴿فَاجْتَبِيُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

واقرأ فواتح البقرة لتعلم الأعمال الصالحة التي بها يفلح الإنسان فتعملها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُوَ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤ - ٥].

قال الدكتور عودة أبو عودة: «الفلاح: هو الظفر والنجاح في الدنيا، والذي يمعن النظر في آيات القرآن الكريم التي تعرضت لكلمة الفلاح وما يشتق منها يجد أنها تعني الظفر في ميادين العمل والجهاد في هذه الدنيا، فال فلاح إذن ظفر في الدنيا، يخلد ويديوم حتى يكون فلاحاً في الآخرة»^(٢).

ومن الأعمال الصالحة ما نزل بحق الأنصار قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَأَلِيمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَكَهُ مَمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقَّ شَحَّ

(١) سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٤، ص ٢٤٥.

(٢) عودة أبو عودة، «دلالة الفلاح والفوز في آيات القرآن الكريم»، هدي الإسلام، المجلد ٢٩، العدد العاشر، عمان،الأردن، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص ٥ - ٦.

نَفَسِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿الحشر: ٩﴾

ومن الأعمال الصالحة أيضاً، الذكر، قال تعالى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]،
ومنها التوبة، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جِمِيعًا أَيْمَانُهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

فالأعمال كثيرة متعددة، جاءت الآيات الكريمة تبيّنها، وتوضح نتائجها وآثارها على الإنسان في حياته،
قال تعالى: ﴿يَتَأْلِمُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَاعُوا وَاسْجَدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
[الحج: ٧٧].

* * *

المبحث الثالث

التواصي بالحق والتواصي بالصبر وأثرهما في الفوز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التواصي بالحق وأثره في الفوز.

المطلب الثاني: التواصي بالصبر وأثره في الفوز.

المطلب الأول: التواصي بالحق وأثره في الفوز.

التواصي بالحق أمر لازم، وهو يبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله على بصيرة وبحكمة، ثم هو تعليم للجاهل، وتتبّيه للغافل، ومعونة للعاقل، فلا يكفي الإنسان أن يعمل العمل الصالح ويقتصر على إصلاح نفسه، بل لا بد أن يعمل على إصلاح غيره، فيتعدى العمل الأفراد ليشمل المجتمعات، فالمسلم لا يكون مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولا يكون ناجياً من الخسارة حاصلاً على الربح إلا إذا عمل على إصلاح نفسه وإصلاح غيره، وهذا دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

معنى التواصي:

التواصي: مصدر، فعله، تواصي، وجذرُه: وَصَيَّ، قال ابن فارس: «الواو والصاد والحرف المعتل: أصلٌ يدلُّ على وَصَلِ شيء بشيء. وَصَنَّيْتُ الشَّيْءَ: وَصَنَّثُه. ويقال: وَطَنَّا أرضاً وَاصِيَّةً، أي: إِنْ نَبَثَهَا مَتَّصِلٌ قَدْ امْتَلَأْتُ مِنْهُ». وَصَنَّيْتُ اللَّيْلَةَ بِالْيَوْمِ: وَصَنَّثُهَا، وَذَلِكَ فِي عَمَلٍ تَعْمَلُهُ. والوصيَّةُ من هذا القياس، كأنه كلامُ يُوصَى، أي: يُوصَل. يقال: وَصَنَّيْتُه توصيَّةً، وأوْصَيْتُه إِيْصَاءً^(١).

ويقال: «أوصاه ووصاه توصيَّةً: عَهَدَ إِلَيْهِ، والاسم: الوصاة والوصاية والوصيَّة، وهو الموصى به أيضاً، قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَّا بِهِ﴾ [الذاريات: ٥٣]، أوصى به أولئهم آخرهم^(٢). وصيغة التواصي تقيد المشاركة^(٣).

وقال الراغب: «الوصيَّة: النَّقْمَ إِلَى الْغَيْرِ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ، مَقْتَرَنًا بِوَعْظٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَرْضٌ وَاصِيَّةٌ؛ مَتَّصِلَةٌ بِالنَّبَاتِ»^(٤).

لما كان الإنسان بعد كماله في نفسه بالأعمال لا ينتفي عنه مطلق الخسر؛ إلا بتكميل غيره، وحينئذ

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٦، ص ٨٨. وينظر: ابن منظور، «لسان العرب»، ج ١٥، ص ٣٩٤.

(٢) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، باب الواو والياء فصل الواو، ص ١٧٣١.

(٣) حيث إن التواصي جاءت على صيغة المفاعة التي تدلُّ على حصول الفعل الواحد من فاعلين فأكثر على وجه المشاركة في ذلك الفعل. ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتتوير»، ج ٢٨، ص ٢٤٧، وصلاح الدين الزعباوي في كتابه «المفاعة عند النحاة»، ١٩٨٩ - ١٤٠٩ هـ.

(٤) الراغب، «المفردات»، ص ٤٠٨.

يكون وارثاً، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا للتمكيل، وكان الدين لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى مختصاً لما دخل في الأعمال الصالحة تنبئها على عظمها: ﴿وَتَوَاصُوا﴾، أي: أوصى بعضهم بعضاً^(١).

وال فعل ﴿وَتَوَاصُوا﴾، في قوله: ﴿وَتَوَاصُوا بِالْحَقِّ﴾، ماضٍ، وهو من الوصيّة، وهي النصح للغير مقروناً بالوعظ^(٢). قال النيسابوري^(٣): «وفي لفظ (التواصي) دون الدعاء أو النصيحة تأكيد بلية، كأنه أمر مهم به كالوصيّة، وفيه أنه من الدين ماتوا بالإرادة عن الشهوات الفانيّة، فيكون أمرهم ونصحهم بمنزلة قول من أشرف على الوفاة»^(٤).

ويذكر الفخر الرازي الحكمة من ذكر الفعل ﴿وَتَوَاصُوا﴾ بصيغة الماضي، ولم يقل (ويتواصون)؛ لئلا يقع أمراً، بل الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي، وذلك يفيد رغبتهم في الثبات عليه في المستقبل^(٥).

ومعنى الحق: «الحاء والكاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته، فالحق نقىضُ الباطل، ثم يرجع كلُّ فرعٍ إليه بجودة الاستخراج وحسن التلقيق، ويقال: حق الشيء؛ وجَب»^(٦). وهو خلاف الباطل، ويشتمل جميع الخيرات وما يحق فعله^(٧)، وهو الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وهو الخير كله، من توحيد الله وطاعته، واتباع كتبه ورسله، والزهد في الدنيا والرغبة بالأخرة^(٨).

(١) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٨، ص ٥٢٣.

(٢) المرجع السابق، ج ٢٩، ص ٧٠٥.

(٣) هو الحسن بن محمد بن الحسين الفمّي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج. مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات. أصله من بلدة (قم) ومنشأه وسُكُنه في نيسابور، توفي سنة ٨٥٠ هـ، من أشهر مصنفاته: «غرائب القرآن» و«غائب الفرقان»، يعرف بتفسير النيسابوري، و«لب التأويل»، و«شرح الشافية»، في الصرف. تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٢، ص ٢١٦.

(٤) النيسابوري، «غرائب القرآن»، ج ٦، ص ٥٦٠.

(٥) ينظر: الفخر الرازي، «مفاهيم الغيب»، ج ١١، ص ٢٨٢.

(٦) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٢، ص ١١، وينظر: الرازي، «مختر الصحاح»، ص ٧٥، وابن منظور، «لسان العرب»، ج ١٠، ص ٤٩.

(٧) النيسابوري، «غرائب القرآن»، ج ٦، ص ٥٦٠.

(٨) ينظر: الزمخشري، «الكتاف»، ج ٤، ص ٢٣٢. وينظر: السمرقندى، «بحر العلوم»، ج ٣، ص ٥٩٠، والنيسابوري، «غرائب القرآن»، ج ٦، ص ٥٦٠، والقرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج ٢٠، ص ١٨٠ - ١٨١.

ويكون بأداء الطاعات وترك المحرمات^(١). وقال السمرقندى: «﴿وَتَوَاصُوا بِالْحَقِّ﴾»، يعني: تحدثوا على القرآن^(٢)، وقال أستاذنا الدكتور أحمد فريد: «الحق: هو الإسلام ب كامله»^(٣).

فالتوachi بالحق والتوachi بالصبر، «تبز من خلالهما صورة الأمة المسلمة، ذات الكيان الواحد الخالص، ذات الهدف والوجهة الواحدة، والتي تعرف حقيقة ما هي مقدمة عليه، من الإيمان والعمل الصالح، الذي يشمل قيادة البشرية في طريق الإيمان والعمل الصالح؛ فتوachi فيما بينها بما يعينها على النهوض بالأمانة الكبرى»^(٤).

وعطف التوachi بالحق والصبر على عمل الصالحات: عطف الخاص على العام للاهتمام به؛ لأنه قد يغفل عنه من يظن أن العمل الصالح هو ما أثره على المرء في خاصته، فوقع التنبية على أن من الأمر الصالح ما يتعدى إلى إرشاد المسلم غيره ودعوته إلى الحق، والتوachi بالصبر عطف على التوachi بالحق عطف الخاص على العام أيضاً، لأن الصبر تحمل مشقة إقامة الحق^(٥).

وفي التوachi بالحق والتوachi بالصبر تأكيد على أن أولئك الذين نجوا بأنفسهم من الخسران؛ لشدة محبتهم للطاعة، لا يقتصرن على ما يخصهم، بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم، ليكونوا أيضاً سبباً لطاعات الغير كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين، وعلى هذا الوجه قال تعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَوْأَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا» [التحريم: ٦]، فالتوachi بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل، والتوachi بالصبر يدخل فيه حمل مشقة التكليف في القيام بما يجب، وفي اجتناب ما يحرم^(٦).

(١) ينظر: ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٨، ص ٤٨٠.

(٢) السمرقندى، «بحر العلوم»، ج ٣، ص ٥٩٠.

(٣) د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودللات تربوية»، ص ١٥.

(٤) سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٦، ص ٣٩٦٧ - ٣٩٦٨.

(٥) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ٣٠، ص ٤٦٨.

(٦) الفخر الرازي، «مفآتيخ الغيب»، ج ١١، ص ٢٨١.

وأبواب التواصي بالحق تشمل أبواب الشريعة كلها:

إن التواصي بالحق من صفات أهل الإيمان؛ قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُنَّ أُولَئِكَ أَهْلُهُنَّ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْسِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الْزَكَوةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبه: ٧١]، وهذه الصفات العظيمة هي جماع الخير وعنوان السعادة وسبب صلاح أمر الدنيا، ولهذا علق سبحانه وتعالى رحمتهم على هذه الصفات الجليلة فقال: ﴿أُولَئِكَ سَيِّدُهُمُ الْلَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ٧١]، فتبين بذلك أن الرحمة والنصر على العدو^(١) وسلامة العاقبة، كل ذلك مُرتب على القيام بحق الله وحق عباده، ولا يتم ذلك إلا بالتناصح والتعاون والتضامن، والصدق في طلب الآخرة، والرغبة فيما عند الله، والإنصاف من النفس وتحري سبيل العدل، فلا فوز نبوي أو أخروي كامل، إلا بتعديله الخير من نفسك وإيصاله لآخرين، والتواصي بالحق يكمل المجتمعات وينميها ويحقق ازدهارها.

وحول هذا المعنى قال عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَمِينَ يَأْقُسْطُ شَهَدَاءُ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنَ وَالْأَقْرَبِيْنَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَنَاهُوا أَهْمَوْنَ أَوْ تَعْرِضُوْنَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يِمَا تَعْمَلُوْنَ خَيْرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَمِينَ لَهُ شَهَدَاءُ يَأْقُسْطُ وَلَا يَجْرِي مَنَّكُمْ شَنَعَنْ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوْا أَعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَمِيرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ [المائدة: ٨]، في هاتين الآيتين أمر المؤمنين أن يقوموا الله بالقسط، وأن يشهدوا له بذلك، في حق العدو والصديق والقريب والبعيد.

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطْبِعُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنْ كُنُتمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٢).

والتواصي بالحق هو السبيل إلى الفلاح في الدارين، قال تعالى: ﴿كُنُّمْ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرَجَتْ لِلَّأَسْرَىٰ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَلَوْ إِمَانٌ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ

(١) وذلك أن آيات سورة التوبه تتحدث عن نصر الله عباده في غزوة تبوك، والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم في «صححه»، كتاب: الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٤٩).

الْمُؤْمِنُونَ وَأَكَرَهُمُ الْفَسِيقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُونُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والتواصي بالحق من صفات أهل النصر والتمكين، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَوَةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَلَّهِ عَنِّيَّةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١ - ٤٠].

والتواصي بالحق من أسباب النجاة، قال تعالى في قصة أصحاب السبت: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَا عَنِ السُّوءِ وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وترك التواصي بالحق من أسباب الهاك، ومن علامات ضعف الإيمان أو انتقامه، قال تعالى: ﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤَدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لِبْسٌ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائد: ٧٨ - ٧٩].

ومما ورد من الأحاديث الشريفة في التواصي على البر والتقوى قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله، ولكتابه، ولرسوله، ولأنمة المسلمين، وعامتهم»^(١)، وقوله ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهور»^(٢).

* * *

(١) أخرجه مسلم في «صحيحة»، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحة»، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١١)، ومسلم في «صحيحة»، كتاب: البر والصلة والأداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٦)(٦٦).

المطلب الثاني: التواصي بالصبر وأثره في الفوز.

اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون الحياة البشرية مزيجاً من السعادة والشقاء، والفرح والحزن، فيستحيل أن تعيش حياة مليئة بالفرح والسعادة، بعيدة عن أي ألم أو سقم يُكدر صفوها، أو ينفص عيشها، فهذا ينافي طبيعة الحياة الدنيا، ودور الإنسان الذي كلفه به ربنا عز وجل بقوله: ﴿إِنَّا حَلَقْنَا لِلنَّاسَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجَ بَتَّالِيهَ فَجَعَلْنَاهُ سَبِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، ولهذا فإن خير ما يواجه به الإنسان المسلم تقلبات الحياة ومصائب الدنيا، هو الصبر على الشدائدين والمصابات، الصبر الذي يمتنع معه العبد من فعل ما لا يحسن، وما لا يليق، وحقيقة حبس النفس عن الجزء، واللسان عن التشكي^(١).. إلخ، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، قال تعالى: ﴿وَالْأَعْصِرِ * إِنَّ الْأَنْسَنَ لَفِي حُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ﴾ [العرس: ١ - ٣].

قال البقاعي في تفسيره لسوره العصر: «ولما كان الإنسان ميلاً إلى النقصان، فكان فاعل ذلك الإحسان معرضًا للشنان من أهل العداون، وهم الأغلب في كل زمان، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾؛ لأن الإنسان ينشط بالوعظ وينفعه اللحظ والل蜚ظ، ﴿بِالصَّبَرِ﴾، أي: الناشئ عن زكاة النفس على العمل بطاعة الله من إحقاق الحق وإبطال الباطل والنفي له والمتحقق، وعلى ما يحصل بسبب ذلك من الأذى باجتناب الشرور إلى الممات الذي هو سبب موصل إلى دار السلام»^(٢).

فما معنى الصبر وما هي أهميته وأنواعه:

أولاً: معنى «الصبر» لغةً واصطلاحاً:

الصبر لغة: الحبس والكف، وهو نقىض الجزء، أي: حبس النفس عن الجزء^(٣)، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِيَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(١) كما سيمرر معنا في معنى «الصبر» لغةً بعد قليل.

(٢) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٨، ص ٥٢٣.

(٣) ينظر: الرازي، «مخترار الصحاح»، ص ١٦٧، وابن منظور، «لسان العرب»، ج ٤، ص ٤٣٤.

وَلَا نُطْعِنَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَّبَعَ هَوَنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ، فُرُطًا ﴿الكهف: ٢٨﴾

أما في الاصطلاح: «الصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو بما يقتضي حبسها عنه، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف موضعه؛ فإن كان حبس النفس لمصلحة سُمّي صبراً لا غير، وبصاده الجزء، وإن كان في محاربة سُمّي شجاعة، وبصاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سُمّي رحب الصدر، وبصاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، وبصاده المذل^(١)، وقد سُمّي الله تعالى كل ذلك صبراً، وتبّه عليه قوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابُوهُمْ﴾ [الحج: ٣٥]، ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣]»^(٢).

وقيل: «الصبر في القرآن هو: حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله»^(٣)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَدَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الْصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَكُمْ بِالْحَسَنَةِ الْسَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

ثانياً: أهمية الصبر وفضيلته:

الصبر خُلق الأنبياء والمنتقين، وحلية أولياء الله المخلصين، وهو من أهم ما يحتاج إليه المسلمون في هذا العصر الذي كثرت فيه المصائب وتعددت، وقل معها صبر الناس على ما قدّر الله تعالى عليهم من المصائب، والصبر ضياء، وبه يظهر الفرق بين ذوي العزائم والهم وبين ذوي الجبن والضعف والخور، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ حُلُقٌ هَلُوعًا * إِذَا مَسَهُ الشَّرُّ جُرُوعًا * إِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَوْعِدًا﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١]

قال ابن عاشور: «وحسبك بمزاية الصبر أن الله جعله مكملاً سبباً للفوز في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَنَ لَهُ حُسْرٌ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وقال هنا^(٤): ﴿وَأَسْتَعِنُو بِالصَّابِرِ وَالصَّالِحَاتِ﴾.

قال الغزالى: ذكر الله الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعًا، وأضاف أكثر الخيرات

(١) المذل: هو القلق بسره حتى يذيعه. ينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٥، ص ٢٤٨، وابن منظور، «لسان العرب»، ج ١١، ص ٦٢١.

(٢) الراغب، «المفردات»، ص ٢٠٥.

(٣) القرضاوى، أ. د. يوسف عبد الله، «الصبر في القرآن»، ط ٢، مكتبة وهبة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، ص ٨.

(٤) يقصد ابن عاشور في الموضع: آية سورة البقرة: ﴿وَأَسْتَعِنُو بِالصَّابِرِ وَالصَّالِحَاتِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

والدرجات إلى الصبر، وجعلها ثمرة له، فقال عز من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِونَ بِمَا أَمَرْنَا لَهُمْ صَابِرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]. وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَابَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]^(١).

وورد الصبر في وصية لقمان لابنه، حين أوصاه وصيحة جامعه، كوصية سورة العصر إذ قال:

﴿يَبْنُى أَقْمِرُ الْعَكْلَةَ وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]

فضيلة الصبر من دلائل صدق الإيمان بالله تعالى، فإنه لا يصبر لحكم الله تعالى وأوامره إلا مؤمن به مقدر لحكمه، حتى إن أكثر أخلاق الإيمان داخلة فيه، ولذا لما سُئل رسول الله ﷺ ذات مرة عن الإيمان قال: «الصبر»^(٢)؛ لأنَّه أكثر أعمالها وأعزها^(٣)، ولذا عني القرآن الكريم به عناية فائقة، واعتبره ضرورة ملحة لأهل الإيمان؛ لأنَّهم يكونون الأكثر تعرضاً للأذى والاضطهاد والتعذيب، والمحن في أموالهم وأنفسهم، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِينُّمْ أَنَّ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثْلُ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهِمُ الْأَسَاءَ وَأَصْرَأَهُمْ وَرُلُلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَّ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ فِي هُنَّا﴾ [البقرة: ٢١٤]، ويأتي في مقدمة هؤلاء أولو العزم من الرسل، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرَّسُولِ﴾ [الاحقاف: ٣٥]، ثم الأمثل فالأشد.

ويكفي الصبر شرفاً أن الله عز وجل قد اتصف به، فمن اسمائه سبحانه وتعالى: الصبور، ذلك أنه لا يعاجل الكفار والعصاة من المؤمنين بالانتقام، فقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري قال: قال

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ١، ص ٤٦٣.

(٢) والحديث عن عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله؛ من تبعك على هذا الأمر؟ قال: «حر وعبد»، قلت: ما الإسلام؟ قال: «طيب الكلام، وإطعام الطعام»، قلت: ما الإيمان؟ قال: «الصبر، والسماحة»، والحديث أصله عند مسلم في «صحيحه»، كتاب: صلاة المسافرين، إسلام عمرو بن عبسة، برقم (٨٣٢) مطولاً، وأخرجه باللفظ السابق الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده»، ج ٣٢، ص ١٧٧، برقم (١٩٤٣٥). وصح قوله: في أفضل الإيمان، الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٣) ينظر: الغزالى، «إحياء علوم الدين»، ج ٤، ص ٦٦ و٦٧، وأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٩ھ)، «مختصر منهاج القاصدين»، تحقيق: علي الحلبى، دار عمار، عمان، ١٤٠٦ھ، ط ١، ص ٨٤ وما بعدها.

النبي ﷺ: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم»^(١)، ثم هو صفة الأنبياء، فقد وصف الله إسماعيل وإدريس عليهم السلام^(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكَفَلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنياء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

للصبر ثمرات في الدنيا والآخرة، منها: التبشير والرحمة والهدية؛ قال تعالى: ﴿وَلَتَبُوئُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُمُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ فَالْوَلَا إِنَّهُ وَإِنَّا إِنَّهُ رَحِيمُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، أي: الصابرون الموصوفون بما ذكر في الآيات لهم البشرى بجنت النعيم، ولهم شاء وتمجيد ورحمة من الله، وهم المهتدون إلى طريق السعادة^(٣).

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، أي: بالظفر بكل ما أملوا، وبالوصول إلى ما إليه رحلوا، الذين إذا أصابتهم نكبة أو وقفة تحققوا بضعف العبودية، وتعلقوا بقوة الربوبية، فرجعوا إلى الله في كل شيء، فأواهم إليه من كل شيء، أولئك عليهم تحنّن من ربهم وتقرب، وهم المهتدون إلى جوار الحبيب ﷺ، وقد ذكر الله للصابرين ثمانية من الكرامات:

أولها: المحبة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ثانيها: المعية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ثالثها: غرفات الجنة، قال تعالى: ﴿يُجَزِّوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥].

رابعها: الأجر الجزييل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّ لِلصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والأربع الأخرى مذكورة في هذه الآية، وهي: البشاره: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، والصلة

(١) أخرجه البخاري في «صححه»، كتاب: الأدب، باب: الصبر على الأذى برقم (٦٠٩٩)، ومسلم في «صححه»، كتاب: صفة القيامة، باب: لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، برقم (٢٨٠٤).

(٢) ينظر: د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلائل تربوية»، ص ٣٣.

(٣) ينظر: الطبرى، «جامع البيان»، ج ٢، ص ٤٣ - ٤٢، والصابونى، محمد على، «صفوة التفاسير»، ط ٤، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠١ھ - ١٩٨١م، ج ١، ص ١٠٧.

والرحمة، والهدایة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(١).

ومن أهم ثمرات الصبر: الفلاح، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُكُمْ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَأَنْقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أي: لعلكم تفوزون بسعادة الدارين، أما في الآخرة فالفوز بالجنة والنجاة من النار، وأما في الدنيا فخيرها، ومن ذلك التمكين لشريعة الله، وعبر بالمضارع ليدل على الاستمرارية في هذا الفلاح^(٢).

المصابرة: هي مفاجلة من الصبر، مصايرة الأعداء من كوامن الصدور، والأعداء من شرار الناس، فكأنما هو رهان وسباق بينهم وبين أعدائهم، يدعون فيه إلى مقابلة الصبر بالصبر، والدفع بالدفع، والجهد بالجهد، والإصرار بالإصرار، ثم تكون لهم العاقبة بالفلاح، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]^(٣)، فالفلاح في الدنيا والآخرة، من نصر على الأعداء، ودخول جنة رب الأرباب، إنما تكون بالصبر والمصابرة، وبدونهما لا تكتمل الصفات المرتجاة من عباد الرحمن المؤمنين، حتى يتحققوا ما وعدهم ربهم.

ولاحظ مناسبة السياق في سورة آل عمران حيث ذكر الصبر والمصابرة من أسباب الفلاح والفوز عند الله تعالى، فإن سورة آل عمران حدثنا عن أول غزوتين في تاريخ أمة محمد ﷺ، معركة بدر وأحد، ولا يخفى على أحد أهمية الصبر والمصابرة في تحقيق النصر، في الدنيا قبل الآخرة.

كذا محبة الله ومعيته ورضاه - جميعها من ثمرات الصبر - قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُكُمْ أَسْتَعِينُكُمْ بِالصَّابِرِيْنَ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، أي: استعينوا على أمور دنياكم وأخرتم بالصبر والصلوة، فالصبر تنانون كل فضيلة، وبالصلوة تنهون عن كل رذيلة، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، أي: معهم بالنصر والمعونة والحفظ والتأييد^(٤).

(١) ينظر: ابن عجيبة، «البحر المديد»، ج ١، ص ٦٦١، فيما ينقله عن ابن جزي في حديثه عن الصبر.

(٢) ينظر: ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ١، ص ٤٤٧، دار المعرفة، والمحلي والسيوطى، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى، «تفسير الجلالين»، ط ١، دار الحديث، القاهرة، ص ٩٦، والصابونى، «صفوة التفاسير»، ج ١، ص ٢٥٤، وأحمد خليل جمعة، «الصبر والصابرون في القرآن العظيم والسنة النبوية»، ط ١، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢١.

(٣) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ١، ص ٥٥٢.

(٤) ينظر: الطبرى، «جامع البيان»، ج ٢، ص ٣٨، والصابونى، «صفوة التفاسير»، ج ١، ص ١٠٦.

و عن النبي محمد ﷺ قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الظَّنِيرُونَ أَجَرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، أي: يأخذون حسنات ودرجات كثيرة وعظيمة لا يعلمها إلا الله سبحانه.

ثالثاً: أنواع الصبر.

العبد في هذه الدنيا بين ثلاثة أحوال: بين أمر يجب عليه امتناعه، وبين نهي يجب عليه اجتنابه وتركه، وبين قضاء وقدر يجب عليه الرضا به، وهو لا ينفك عن هذه الثلاث ما دام مكلفاً، وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منها، وهذه الثلاثة هي التي أوصى بها لقمان ابنه في قوله: ﴿يَبْتَئِلُ أَقْرِبَ الْكَلَوَةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِيزِ الْأَمْوَارِ﴾ [لقمان: ١٧]. بالإضافة إلى أن الصبر في اللغة هو الحبس والمنع - كما بيّنت سابقاً - فيكون معناه حبس النفس على طاعة الله، وحبس النفس ومنعها عن معصية الله، وحبس النفس إذا أصيّبت بمصيبة عن التسخط وعن الجزع ومظاهره، من شق الجيوب ولطم الخدود والدعاء بدعوى الجاهلية.

أ. الصبر على الطاعات:

وفي مقدمتها الصلاة، وقد ذكرها الله تعالى ذكرأ صريحاً آيات كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرَ أَهْلَكَ بِالْمَسْلَوَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَشْكُ رِزْقَكَ تَخْنُنْ تَرْزُقَكَ وَالْعِقْبَةُ لِلنَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِنُوا بِالصَّابِرِ وَالْمَسْلَوَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْكَاثِرِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال ابن عاشور: «فالإيمان نصفه صبر ونصفه شكر كما ذكر في «الإحياء»^(٢) وهو قول حسن، ومعظم الفضائل ملاكها الصبر، إذ الفضائل تتبع عن مكارم الخلال، والمكارم راجعة إلى قوة الإرادة،

(١) أخرجه الترمذى في «سننه»، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، برقم (٢٣٩٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ينظر: الغزالى، «إحياء علوم الدين»، ج ٤، ص ٨٤.

وكم زمام النفس عن الإِسَامَة في شهواتها، بارجاع القوتين الشهوية والغضبية عما لا يفيد كمالاً أو عما يورث نقصاناً، فكان الصبر ملاك الفضائل، فما التعلم والتكرم والتقوى والشجاعة والعدل والعمل في الأرض ونحوها، إلا من ضروب الصبر»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْفَدْوَةِ وَالْمَشَّيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِيَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَنَهُ وَكَاتَ أَمْرَهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، فالصلة تقتضي التجرد لله تعالى، والتعلق به، والانصراف عن الدنيا، والبعد عن ملذاتها، وهذا يتطلب الصبر لتحقيق الغرض المنشود من إقامة الصلاة، وهو البعد عن الفحشاء والمنكر كما نصَّ على ذلك القرآن الكريم، ﴿أَتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وإنما الفائدة من صلاة لا أثر لها في سلوك فاعلها؟ وما قيل في الصلاة يقال في غيرها من العبادات فكلها بحاجة إلى الصبر.

والصبر في الجهاد لما فيه من تعرض المجاهد للتضحية بالنفس والمال، ولذا جاء الحث عليه في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاضِيُّوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ فُلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاقْبِضُوا وَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ فُلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. كذلك سائر العبادات فإن الصبر يدخلها ويكمِّلها، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُهُ وَاصْطَرِبْ لِعِنْدِهِ﴾ [مريم: ٦٥].

ب. الصبر على البلاء.

ويكون هذا الصبر بحبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله تعالى، والقلب عن التسخط والجزع، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْحُلُوفِ وَالْجُوعِ وَنَعْصِي مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الْصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَبَّتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَمَّدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

والحياة لا تخلو من المحن والابتلاءات، فهي سنة إلهية ماضية في الخلق، إلى أن يرث الله تعالى

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ١، ص ٤٦٣.

(٢) ينظر: د. أحمد فريد، «سورة العصر؛ أسرار بيانية ودلالات تربوية»، ص ٣٥.

الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبُتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الْأَصْدِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، قوله: ﴿لَتُبَلَّوْكُ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْنَى كَثِيرًا وَإِن تَصْرِفُوا وَتَتَفَوَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ٦١٨٦]. وقال الرسول ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في ولده وماله»^(١).

والصبر النافع الذي يترتب عليه الثواب والأجر، ويؤتي ثماره وآثاره في نفس العبد، هو ما كان في أول وقوع البلاء، بأن يفوض المؤمن أمره، ويسلمه إلى أحكم الحكمين وأرحم الراحمين، ويستسلم لأمره وقضائه، فإن للمصيبة روعة تهز القلب، فإذا صبر العبد عند الصدمة الأولى انكسرت جنحتها، وضعف قوتها، وهان عليه بعد ذلك استدامة الصبر واستمراره، وقد مر النبي ﷺ بأمراة تبكي عند قبر، فقال لها: «اتقي الله واصبري» قالت: إليك عندي فإنك لم تصب بمصيبيتي، ولم تعرف، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأنت بباب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»^(٢).

ج. الصبر على مجاهدة النفس في ترك المعاصي.

وأما الصبر عن المعاصي؛ فأمره ظاهر، ويكون بحبس النفس عن متابعة الشهوات، وعن الوقوع فيما حرم الله، وكفها من الاسترسال في الهوى والشهوة، وهذا بلا شك يحتاج إلى جهد كبير من المقاومة لتلك المغريات، مما زُين للناس من النساء والبنين والمال ونحوها، مما ورد في قوله تعالى: ﴿رُزِّقْنَا لِلنَّاسِ حُبُّ الْشَّهَوَاتِ مِنَ السَّكَاءِ وَالْبَتَّينَ وَالْفَنَطِيلِ الْمُفَنَّطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَعْنَمِ وَالْحَرَثِ ذَلِكَ مَتَّكِعُ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدُهُ حُسْنُ الْمَعَابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وذلك لأن النفس الإنسانية توافق لتحصيل كل ممنوع، وكل محظوظ مرغوب.

د. الصبر على النعم؛ وهو تقديرها بالشكر وعدم التكبر بها، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العرس: ٣].

(١) أخرجه الترمذى فى «سننه»، أبواب: الزهد، باب: ما جاء فى الصبر على البلاء، برقم (٢٣٩٩)، وقال: حدث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخارى فى «صحىحة»، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، برقم (١٢٨٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

هـ. الصبر على معاملة الناس ومخالطتهم بالمعروف: قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرِفَةِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا سَتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِإِلَيْقِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أَلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنِهِ عَدْوًا كَانَهُ وَلِي حَيْمَةً * وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

وـ. الصبر على أذى الناس: ومن أنواع الصبر أيضاً الصبر على التعامل مع الناس، وتحمل أذاهم ومقابلة الإساءة بالإحسان، قال عليه السلام: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»^(١).

زـ. الصبر في طلب العلم: طلب العلم عبادة، ولا سبيل إلى طلب العلم إلا بالصبر، فالصبر يُضفي طالب العلم طريقه، وهو زاد لا يستغني عنه، وخلق كريم لا بد وأن يتحلى به، صبره على مشقة الترحال إلى الشيوخ، وإطالة المكث عندهم والتأنب معهم، وصبره على المذاكرة والتحصيل، وفي قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح دار هذا الحوار، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تُعَلَّمَ مَا عَلَمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا * وَكَيْفَ تَصِيرُ عَلَى مَا لَوْ تُحْكَمَ بِهِ حُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٦ - ٦٩]^(٢).

فالصبر موجود في العبادات والمعاملات ومخالطة الناس والمعايشة في هذه الدنيا، والصبر يكون على طاعة الله وترك معصيته، ويدخل فيه ضمناً الصبر على أذى من يأمرونهم بمعرفة أو ينهونهم عن منكر^(٣)، وما جزاء الصابر إلا الفوز برضى الله تعالى، وثمرات الصبر عظيمة كثيرة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُحَرَّرُونَ كَفُورَةً بِمَا صَبَرُوا وَلَيَقُولُونَ فِيهَا تَحْيَةٌ وَسَلَامًا * خَلِيلِنِي فِيهَا حَسُنتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً﴾ [الفرقان: ٧٥ - ٧٦]، فالصبر عظيم أمره جليل شأنه ذلك أن الله تعالى بين أن ﴿الْإِنْسَنَ حُلَقَ هَلُوعًا

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، برقم (٥٠٢٢)، والترمذمي في «سننه»، أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، برقم (٢٥٠٧). وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) وللاستزادة ينظر: الشرقاوي، «يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر»، الصفحتان ٨٣ وما بعدها.

(٣) ينظر: السمرقندى، «بحر العلوم»، ج ٣، ص ٥٩٠، والقرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج ٢٠، ص ١٨١، والنسيابوري، «غرائب القرآن»، ج ٦، ص ٥٦٠، وأبو حيان، «البحر المحيط»، ج ٨، ص ٥٠٩، وأبن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٨، ص ٤٨٠، وأبن عادل، «اللباب»، ج ٢٠، ص ٤٨٧، والباقعى، «نظم الدرر»، ج ٨، ص ٥٢٤، وأبن عاشور، «التحرير والتووير»، ج ٣٠، ص ٤٦٩، ومحمد طنطاوى، «التفسير الوسيط»، ج ٢٩، ص ٧٠٥.

* إِذَا مَسَهُ الْتَّرْ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا * إِلَّا أَمْصَلَيْنَ ﴿[المعارج: ١٩ - ٢٢]﴾، ومن لم يجعل الصبر خلقاً له،
فسيدخل في عموم الآية القائلة: ﴿وَمَنَ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ يَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ فِتنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وسيأتي بيان هذه الآية عند الحديث
عن آثار الخسران في الآخرة.

* على قاعدة: تُعرف الأمور بأضدادها؛ فإنه يفهم أن أسباب الخسران هي تقىض أسباب الفوز، إلا
أنني أحببت أن أشير هنا إلى الأسباب التي صرحت بها الآيات على أنها الأسباب المباشرة له، وهي:

- الكفر بالله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

- الشرك بالله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَيْسَ أَشْرَكُوكَ لِيَحْبِلَنَّ عَمَّلَكَ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

- اتخاذ الشيطان ولیاً من دون الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الْشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ حُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

- الصد عن سبيل الله: ﴿أَلَّذِينَ يَصُدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْوَذُنَّا عَوْجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمُ الْكَفِرُونَ * أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ يُضَعِّفُهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ١٩ - ٢٢].

- طاعة الكفار والرُّكُون إليهم: ﴿يَتَأْبِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُو كُمْ عَلَى أَعْكَبِكُمْ فَتَنْقِلُوْا حَسِيرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

- عبادة الله على حرف، وطاعته على حسب المصلحة: ﴿وَمَنَ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ يَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ فِتنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

- الاشتغال بالأهل والأموال والأولاد عن طاعة الله وحسن عبادته: ﴿يَتَأْبِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَنَّوْلُكُمْ وَلَا أَوْلُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المناقوش: ٩].

- التكذيب بقاء الله: ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا يُلْقَاءُ اللَّهُ حَمَّ حِلَالًا إِذَا جَاءَهُمُ الْسَّاعَةُ بَعْدَهُ فَالْأُولُوا يَحْسَرُونَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْرَادَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرِزُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

وقد اشتملت هذه الآيات على مظاهر وأثار للخسران سيتم تحليلها في مطالبها اللاحقة إن شاء الله.

* * *

الفصل الثالث

منهج القرآن في عرض مظاهر الفوز والخسران وأثارهما

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج القرآن في عرض مظاهر الفوز والخسران في الدنيا.

المبحث الثاني: منهج القرآن في عرض آثار الفوز والخسران في الدنيا والآخرة:

المبحث الأول

منهج القرآن في عرض مظاهر الفوز والخسران في الدنيا

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مظاهر الفوز في الدنيا.

المطلب الثاني: مظاهر الخسران في الدنيا.

المطلب الأول: مظاهر الفوز في الدنيا:

معلوم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؛ كما أخبرنا حبينا محمد عليه السلام، إلا أن الله تعالى قال في كتابه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحِينَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَنْدِيلُ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يوس: ٦٤ - ٦٣]، وقال أيضاً: ﴿لَكِنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبه: ٨٨]، ووعد الله عباده فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْفَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْنَ لَهُمْ دِينُهُمُ اللَّهُ أَرَضَنَّ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، من ذلك يتبيّن لنا أن الفوز حاصل للمؤمنين في الحياة الدنيا قبل الآخرة.

و عند الحديث عن مظاهر الفوز، فإنني أتحدث عن المقدّمات والعلامات التي تظهر على الفرد والمجتمع، قبل حصول فوزه وأثاره، ومن هذه المظاهر:

أولاً: الحياة الطيبة:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحِينَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ إِحْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

الحياة الطيبة هي قمة السعادة، وسبيلها هو الإيمان والعمل الصالح، الذي يكون خالصاً لوجه الله تعالى، وفي الحديث الشريف: «وفي بعض أحكم صدقة، قالوا يا رسول الله: أياتي أحدنا شهوته وله أجر؟ فقال: أرأيت لو وضعها في حرام أليس عليه وزر؟ قالوا: بلى، قال: كذلك إذا وضعها في حلال فله أجر»^(١).

وقد اختلف المفسرون في هذه الحياة الطيبة: أتحصل في الدنيا؟ أم في القبر؟ أم في الآخرة؟

(١) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)، «الأدب المفرد»، ط٣، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار الشانز الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، برقم (٢٢٧)، ومسلم في «صححه»، كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، برقم (١٠٠٦)(٥٣).

ذكر الرازي في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: قال القاضي: «الأقرب: أنها تحصل في الدنيا؛ بدليل أنه تعالى أعقب قوله: ﴿فَلَئِنْ حِينَئِهِ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾، بقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِإِحْسَانِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ولا شبهة في أن المراد منه ما يكون في الآخرة»^(١).

ويُفتَّدُ الرازي هذا القول بقوله: «ولقائل أن يقول: لا يبعد أن يكون المراد من الحياة الطيبة ما يحصل في الآخرة، ثم إنه مع ذلك وعدهم الله على أنه إنما يجزيهم على ما هو أحسن أعمالهم فهذا لا امتناع فيه»^(٢).

وقيل في الحياة الطيبة في الدنيا: هي الرزق الحلال الطيب، وقيل: عبادة الله مع أكل الحلال، وقيل: القناعة، وقيل: رزق يوم بيوم^(٣)، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يدعوه: «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً»^(٤)، قال الواهبي: «وقول من يقول: إنها القناعة، حسن مختار؛ لأنَّه لا يطيب عيش أحد في الدنيا إِلَّا عيش القانع، وأما الحريرص فإنه يكون أبداً في الكد والعناء»^(٥).

القول الثاني: الحياة الطيبة في القبر: وهو قول السُّدي: «إن هذه الحياة الطيبة إنما تحصل في القبر»^(٦).

القول الثالث: الحياة الطيبة في الآخرة: وهو قول الحسن وسعيد بن جبير: «إن هذه الحياة الطيبة لا تحصل إلا في الآخرة، والدليل عليه: قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادُ虎 إِلَى رَبِّكَ كَذَّابٌ فَلُقِيَهُ﴾ [الانشقاق: ٦]»،

(١) الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ٧، ص ٢٦٧.

(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ٢٦٧.

(٣) ينظر: الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٧، ص ٢٩٠، والفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ٧، ص ٢٦٧، وابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٤، ص ٦٠١.

(٤) أخرجه ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، «صحیح ابن حبان»، ط ٢، ١٨، ١م، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ج ١٤، ص ٢٥٤، برقم (٦٣٤٣).

صححه الشيخ شعيب.

(٥) الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ٧، ص ٢٦٧. وهو ما رجحه الطبرى، ينظر: الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٧، ص ٢٩٢.

(٦) الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٧، ص ٢٩٠ - ٢٩١. وينظر: الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ٧، ص ٢٦٧.

فبَيْنَ أَنْ هَذَا الْكَدْحُ بَاقٍ إِلَى أَنْ يَصُلَّ الْإِنْسَانُ إِلَى رَبِّهِ^(١).

وقال الرازبي عن بيان أن الحياة الطيبة في الجنة: «فَلَأْنَهَا حَيَاةً بِلَا مَوْتٍ، وَغَنِيَّ بِلَا فَقْرٍ، وَصَحةً بِلَا مَرْضٍ، وَمَلِكٌ بِلَا زَوْلٍ، وَسَعَادَةٌ بِلَا شَقَاءٍ، فَثَبَّتَ أَنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لَيْسَتْ إِلَّا تِلْكَ الْحَيَاةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٢).

وَكَانَ الرَّازِيُّ يُمْيلُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْآخِرَةِ.

وَعَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لِلْمُؤْمِنِ تَبْدَأُ فِي دُنْيَا، وَتَسْتَمِرُ مَعَهُ بِمُوْتِهِ، لِتَسْتَقْرُّ بِهِ فِي آخِرَتِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَا دَاعِيٌ لِوُجُوبِ اقْتِصَارِهَا عَلَى حَالِ دُونِ آخِرٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

كَمَا تَقْرَرُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ فِي الدُّنْيَا لَا تُنْقَصُ مِنَ الْأَجْرِ الْحَسَنِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ هَذَا الْأَجْرَ فِي الْآخِرَةِ يَكُونُ عَلَى أَحْسَنِ مَا عَمِلَ الْمُؤْمِنُونَ الْعَامِلُونَ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَضَمَّنُ هَذَا تَجاوزَ اللَّهِ لِهِمْ عَنِ السَّيِّئَاتِ، فَمَا أَكْرَمَهُمْ مِنْ جَزَاءٍ، وَمَا أَجْزَلَهُمْ مِنْ جَزَاءٍ^(٣).

ثَانِيًّا: الْبُشْرِيُّ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلَيَاءُ اللَّهِ لَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَنْدِيلُ لِكَمَلَتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يُونُس: ٦٢ - ٦٤].
لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ؛ فَمَا مَعْنَى الْبُشْرَى؟ وَمَا هِيَ أَنْوَاعُهَا؟

يُقَالُ لِلْخَبَرِ السَّارِ: الْبِشَارَةُ وَالْبُشْرَى^(٤)، وَالْبِشَارَةُ الْمُطْلَقةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ بِالشَّرِّ إِذَا كَانَتْ مَقِيدَةً بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَيْسِرُهُمْ بِعَكَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]^(٥).

وَقِيلَ فِي مَعْنَى (الْبُشْرَى) عِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «هِيَ الْخَبَرُ السَّارُّ، أَوِ الْبِشَارَةُ السَّارَّةُ بِالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالْمَكَافَةِ، وَقَدْ جَمَعَتْ هَذِهِ الْبُشْرَى بَيْنَ سَعَادَتِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فِي الدُّنْيَا: النَّصْرُ وَالْعَزْ وَالثَّنَاءِ

(١) الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٧، ص ٢٩٠ - ٢٩١. وينظر: الفخر الرازى، «مفاتيح الغيب»، ج ٧، ص ٢٦٧.

(٢) الفخر الرازى، «مفاتيح الغيب»، ج ٧، ص ٢٦٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج ٤، ص ٢١٩٣.

(٤) الراغب، «المفردات»، ص ٤١، وينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ١، ص ٢٣٧، وابن منظور، «لسان العرب»، ج ٤، ص ٥٩.

(٥) ينظر: الرازى، «مختر الصاحب»، ص ٣٢.

الحسن، وفي الآخرة: الفوز والنجاة والظفر بالجنة ونعمتها الأبدي الخالد»^(١).

وقيل: «البشرة: الخبر أو الأمر السار، الذي يعرف به العبد حسن عاقبته، وأنه من أهل السعادة، وأن عمله مقبول»^(٢).

وقد اختلف المفسرون في نوع هذه البشرى في الحياة الدنيا، فقيل: من البشرة في الدنيا التي يجعلها الله نموذجاً وتعجلاً لفضله، وتعريفاً لهم بذلك، وتشييطاً لهم على الأعمال توفيقه لهم إلى الخير، وعصمته لهم من الشر، كما قال عليه السلام: «اعملوا فكُلْ مُيسِرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُبَيِّسُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُبَيِّسُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ ثُمَّ قَرَأَ فَإِنَّمَا مَنْ أَعْطَنَا وَلَنَقَ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى * فَسَيِّسَرَهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَغْفَنَ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَيِّسَرَهُ لِلْعُسْرَى» [الليل: ٥ - ١٠]^(٣).

«فإذا كان العبد يجد أعمال الخير ميسرة له، مسهلة عليه، ويجد نفسه محفوظاً بحفظ الله عن الأعمال التي تضره، كان هذا من البشرى التي يستدل بها المؤمن على عاقبة أمره، فإن الله أكرم الأكرمين، وأجود الأجوادين، وإذا ابتدأ عبده بالإحسان أتممه»^(٤).

ومن البشرى في الدنيا: الرؤيا الصالحة^(٥)، فعن النبي ﷺ أنه قال: «البشرى هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»^(٦).

(١) الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، «التفسیر المنير في العقيدة والشريعة والمنهج»، ج ١١، ص ٢١٥.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦ھ)، «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار»، ط ١، (المحقق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريري)، مكتبة الرشد، ١٤٢٢ھ - ٢٠٠٢م، الحديث الخامس والستون: بشري المؤمن، ص ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري في «صححه»، كتاب: تفسير القرآن الكريم، باب: فسنيسره للعسرى، برقم (٤٩٤٩)، ومسلم في «صححه»، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطنه أمه، برقم (٢٠٣٩).

(٤) السعدي، «بهجة قلوب الأبرار»، ص ٢١٤.

(٥) ينظر: الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٥، ص ١٢٤ وما بعدها، والسمرقندى، «بحر العلوم»، ج ٢، ص ٢٣، والفخر الرازى، «مفاتيح الغيب»، ج ٦، ص ٢٧٧، والسيوطى، « الدر المتنور»، ج ٤، ص ٣٧٧، والسعدي، «بهجة قلوب الأبرار»، ص ٢١٤.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده»، برقم (٢٢٧٦٧). صاحبه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

ومن البشري في الحياة الدنيا، محبة المؤمنين للعبد^(١)، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنَ وَدَارًا﴾ [مريم: ٩٦]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أرأيت الرجل يعمل من الخير، ويحمده - أو يحبه - الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»^(٢).

ومن البشري في الحياة الدنيا: البشري عند الموت^(٣)، وهي حسن الخاتمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقْدَمُو تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

فالبشري عامّة جامعه، قال الفخر الرازي: «واعلم أن لفظ البشارة مشتق من خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه، فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية، ومجموع الأمور المذكورة مشتركة في هذه الصفة، فيكون الكل داخلاً فيه، فكل ما يتعلق من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل تحت قوله: ﴿لَهُمْ أَبْشِرَى بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وكل ما يتعلق بالأخرة فهو داخل تحت قوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾»^(٤).

وقال السعدي: « وأنواع الطاف الباري سبحانه وتعالى لا تُعُدُ ولا تُحصى، ولا تخطر بالبال، ولا تدور في الخيال والله أعلم»^(٥).

ويرجح الطبرى في معنى البشري، فقال: « وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأولياته المتقدن البشري في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمه الله، كما روى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا، قالوا: اخرجي حميده وأبشرى برفعٍ وريحان ورب غير غضبان»^(٦).

(١) ينظر: الفخر الرازي، «مفاهيم الغيب»، ج٦، ص٢٧٧، والسعدي، «بهجة قلوب الأبرار»، ص٢١٤.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحة»، كتاب البر والصلة والأدب، باب: إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تصره، برقم ٢٦٤٢.

(٣) ينظر: الطبرى، «جامع البيان»، ج١٥، ص١٤٠، والسمرقندى، «بحر العلوم»، ج٢، ص٢٣، والفخر الرازي، «مفاهيم الغيب»، ج٦، ص٢٧٨، والسيوطى، « الدر المنثور »، ج٤، ص٣٧٨، والسعدي، «بهجة قلوب الأبرار»، ص٢١٤.

(٤) الفخر الرازي، «مفاهيم الغيب»، ج٦، ص٢٧٨.

(٥) السعدي، «بهجة قلوب الأبرار»، ص٢١٤.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده»، برقم (٨٧٦٩)، وأخرجه ابن ماجة في «السنن»، كتاب: الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، برقم (٤٢٦٢). صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عَمَّه جل ثناؤه أَنَّ ﴿لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وأما في الآخرة فالجنة»^(١).

وعليه فإن كل خير في الدنيا يحصل للأولئك يمكن حمله على أنه من المبشرات، كالنصر وغيره، قال أبو السعود^(٢): «والبشرى مصدر، أريد به المُبَشِّر به من الخيرات العاجلة، كالنصر والفتح والغنية وغير ذلك، والأجلة الغنية عن البيان، وإيثار الإبهام والإجمال للإذان بكونه وراء البيان والتفصيل»^(٣)، وقال ابن عاشور: «البشرى: تعريف الجنس، فهو صادق ببشارات كثيرة»^(٤).

بهذه الأقوال التي ختمت بها حديثي عن البشرى يتأكد أن البشرى حاصلة للمؤمن في دنياه وآخرته، فهي لا تختص بحال دون الآخر، واجبة للمؤمن إن عمل بمقتضاها، ولا يتحتم علينا الاقتصار على قول دون الآخر، والله تعالى أعلم.

في نهاية هذا المطلب لا يسعني إلا أن أؤكد على أن مظاهر الفوز في الدنيا، ما هي إلا حواجز ومرغبات للعمل، والاجتهاد للوصول إلى هذا الفوز، وليس لعاقل يعي هذه المظاهر إلا أن يقدم الغالي والنفيس، وبذل الجهد والواسع، في اتباع أوامر الله ونبيه ﷺ، حتى يكون من أصحاب الجنان، ويبعد أشد الابتعاد عن المعصية المؤدية إلى النيران، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ الْتَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

(١) الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٥، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٢) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادى، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، توفي سنة ٩٨٢هـ، من أشهر مصنفاته: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، و«تحفة الطالب»، و«رسالة في المسح على الخفين». تنظر ترجمته: الزركلى، «الأعلام»، ج ٧، ص ٥٩.

(٣) أبو السعود، «إرشاد العقل السليم»، ج ٤، ص ١٦٠.

(٤) ابن عاشور، «التحرير والتتوير»، ج ١١، ص ١٢٤.

المطلب الثاني: مظاهر الخسران في الدنيا:

أولاً: هوان العبد على ربه: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِنَ اللَّهَ فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

قال الطبرى: «يقول تعالى ذكره: ومن يهنه الله من خلقه فيُشقيه، ﴿فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ﴾ بالسعادة يسعد بها، لأن الأمور كلها بيد الله، يوفق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء، ويُشقي من أراد، ويسعد من أحب»^(١).

ثانياً: الذل: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

قال سيد قطب: «وهذه الحقيقة كفيلة حين تستقر في القلوب أن تبدل المعايير كلها، وتبدل الوسائل والخطط أيضاً! إن العزة كلها لله، وليس شيء منها عند أحد سواء، فمن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره، ليطلبها عند الله..»

حقيقة يستعلي بها على نفسه أول ما يستعلي، يستعلي بها على شهواته المذلة، ورغباته الظاهرة، ومخاوفه ومطامعه من الناس وغير الناس، ومتى استعلي على هذه فلن يملك أحد وسيلة لإذلاله وإخضاعه، فإنما تُذلُّ الناس شهواتهم ورغباتهم، ومخاوفهم ومطامعهم، ومن استعلي عليها فقد استعلي على كل وضع وعلى كل شيء وعلى كل إنسان، وهذه هي العزة الحقيقة ذات القوة والاستعلاء والسلطان!»^(٢).

ثالثاً: استحواذ الشيطان عليه: قال تعالى: ﴿أَفَرَبِيَتْ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهًا، هَوَنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ، وَقَلِيلٌ عَلَىٰ بَصَرِهِ غَشْوَةٌ فَمَنْ يَهِدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(١) الطبرى، «جامع البيان»، ج ١٨، ص ٥٨٧. ويقول ابن عجيبة: ﴿وَمَنْ يُرِنَ اللَّهَ﴾؛ بأن صرفته الشقاوة عن الانقياد لأمره الشرعي، ﴿فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ﴾ بالسعادة، أو يوم القيمة، بل يذل ويهاه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ في ملكه؛ يُكرم من يشاء بفضله، ويهين من يشاء بعدله، لا معقب لحكمه. اللهم أكرمنا بطاعتكم ومحبتكم، واجعلنا منقادين لأمرك وحكمك، ونعمانا بحلوة شهودك ومعرفتك، إنك على كل شيء قادر. هكذا يُدعى في هذه السجدة». ابن عجيبة، «البحر المديد»، ج ٤، ص ١٣٥.

(٢) سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٥، ص ٢٩٣.

رابعاً: استخفافه بالذنوب: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن المؤمن يرى ذنبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه فقال له هكذا فطار»^(١).

* * *

(١) عَلْقَةُ الْبَخَارِيِّ عَقِبَ الْحَدِيثِ رَقْمُ (٦٣٠٨).

المبحث الثاني

منهج القرآن في عرض آثار الفوز والخسران في الدنيا والآخرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الفوز في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: آثار الخسران في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول: آثار الفوز في الدنيا والآخرة.

لقد تنوّعت وتعدّدت الأوصاف التي وصف بها الفوز في الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿فَمَنْ رُحِّزَ عَنِ الْكَارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْغَرُورُ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ومرةً وصف بالفوز الكبير - وكان ذلك في آية واحدة - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتُ بَحْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١]، ومرةً وصف بالفوز المبين - وكان ذلك في آيتين اثنتين - قال تعالى: ﴿فَمَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَدْ خَلَّتِ الْأَيَّامُ فَمَنْ يُصْرَفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمَبِينُ﴾ [الأنعام: ١٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمَبِينُ﴾ [الجاثية: ٣٠].

وأخيراً، كانت الآيات تصفه بالفوز العظيم - وكان ذلك في معظمها - قال تعالى: ﴿يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ بَحْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلَدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنَ طِبِّيَّةً فِي جَنَّتٍ عَدِيَّ وَضِوانُ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿لَيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ بَحْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلَدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥]، ...

وآثار الفوز عظيمة جليلة، قال ابن القيم^(١) في ذلك: «لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال، ومحبة الخلق، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، وقلة الهم والغم والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم والثاء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لموته وصحبه، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدرته على ربه وللقائه له ومصيره إليه، وصغر

(١) هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعبي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، مولده ووفاته في دمشق، تتمذّل لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، توفي سنة ٧٥١هـ، من أشهر مصنفاته: «إعلام الموقعين»، و«الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية»، و«شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليق». تنظر ترجمته: الزركلي: «الأعلام»، ج ٦، ص ٥٦ - ٥٧.

الدنيا في قلبه، وكير الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير، والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة ووجد حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له وإنقاذه عليه وفرجه بتوبته، وهذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرجه وسروره بالمعصية بوجه من الوجه. - لو لم يكن غير هذه الوجه لكتفى ^(١). بعد هذه الكلمات الرائعات من ابن القيم، أبدأ باستعراض أعظم آثار الفوز، كما عرضتها الآيات:

أولاً: آثار الفوز في الدنيا:

أ. الحصول على الخيرات:

قال تعالى: ﴿لَدِينَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ أَمْنَوْا مَعَهُ، جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ٨٨ - ٨٩].

لفظ الخيرات لفظ مطلق عام؛ لذا فهو يتناول منافع الدارين، وقيل: ﴿الْخَيْرَاتُ﴾: الحور، لقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]، وقيل: المراد من (الخيرات): الثواب، وقيل: يُحتمل أن تكون الجنت التي أعد لها الله لهم كتفسير للخيرات وللفلاح، ويُحتمل أن تُحمل تلك الخيرات والفالح على منافع الدنيا، مثل: الغزو، والكرامة، والثروة، والقدرة، والغلبة، وتُحمل الجنات على ثواب الآخرة، والفوز العظيم عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية^(٢).

وقيل: «الخير يُطلق على المال، وتحليلته بـ (ال) على استغراقه لجميع منافع الدارين، والتعبير بأداة

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت ٦٧٥١ھـ)، «الفوائد»، ط١، (تحقيق: مصطفى العدوى، تحرير: سيد رجب)، دار ابن رجب، مصر، ١٤٢٢ھـ - ٢٠٠٢م، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، «مفآتيخ الغيب»، ج٦، ص ١١٩. ويقول ابن عاشور: «والخيرات: جمع خير على غير قياس، فهو مما جاء على صيغة جمع التأييث مع عدم التأييث ولا علامته، مثل سرادقات وحمامات، وجعله كثير من اللغويين جمع (خَيْرَة) بتحقيق الياء، مخفف (خَيْرَة) المشدد الياء التي هي أثني (خَيْرٌ)، أو هي مؤنث (خَيْرٌ) المخفف الياء الذي هو بمعنى أخير، وإنما أثثوا وصف المرأة منه؛ لأنهم لم يريدوا به التفضيل، وعلى هذا كله يكون خيرات هنا مؤولاً بالحصول الخير، وكل ذلك تكفي لا داعي إليه مع استقامة الحمل على الظاهر، والمراد منافع الدنيا والآخرة، فللام فيه للاستغراق». ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج١٠، ص ١٧٦.

البعد إشارة إلى علو مقام أوليائه وبُعد منزله إلا بفضل منه تعالى»^(١)، وبناءً على ما تقدم فإن كل ما يمكن أن يُطلق عليه خير في الدنيا أو الآخرة فهو مما وعد الله به عباده الفائزين.

ب. الاستخلاف والتمكين:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الْزَّيْرَىٰ مِنْ بَعْدِ الْذِكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الْأَصْنَافِ حُورٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْفَفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّفَّارُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكُوَةَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لَا تَحْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَهُمُ التَّارُ وَلَيُؤْسَسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٥ - ٥٧].

وي بيان تعالى في موضع آخر شروط استمرار هذا التمكين، قال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكُوَةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَلِيقَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

فما معنى الاستخلاف والتمكين؟

أولاً: معنى الاستخلاف، وحقيقةه:

أ. معنى الاستخلاف في اللغة: الاستخلاف مصدر الفعل يستخلف استخلافاً، والخاء واللام والفاء في «خلف» أصول ثلاثة^(٢)، تأتي لأحد معانٍ ثلاثة:

المعنى الأول: أن يجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قوله: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَيْنًا﴾ [مريم: ٥٩].

والخلافة: راجعة إلى الخلف، سُميت بذلك؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه، وخلف فلان فلا نأى إذا كان خليقه، يقال: خلفه في قومه خلافة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَرُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢].

(١) البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٣، ص ٣٧٣.

(٢) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٢، ص ١٧٠.

(٣) ينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٢، ص ١٧٠، وابن منظور، «لسان العرب»، ج ٤، ص ١٨١ - ١٨٤، والفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، باب الفاء فصل الخاء، ص ١٠٤٢ - ١٠٤٤.

المعنى الثاني: خلاف قدام، ويكون هذا المعنى بتسكين الوسط «خلف» يقال: هذا خلفي، وهذا قدامى، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [يس: ٤٥]^(١).

المعنى الثالث: التغير^(٢) - يقال: خلف فوه، إذا تغير - ومنه قوله ﷺ: «لَخُلُوفٌ فِيمُ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عَنْ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسَكِ»^(٣)، ومنه إخلاف الوعد، وفي الحديث: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف»^(٤).

المعنى الأول هو معنى الاستخلاف في قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلُفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

ب. معنى الاستخلاف في الاصطلاح:

للخلاف في الاصطلاح معنيان هما:

١. أن يعهد الحاكم لشخص آخر في أن يقوم بالأمر بعده، كاستخلاف الرسول ﷺ لبعض أصحابه على المدينة في حال سفره^(٥)، أو استخلاف الحاكم خليفة بعد موته على رعيته، ومن ذلك استخلاف أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم^(٦).
٢. أن تحلّ أمة محل أخرى، وهذا المفهوم الذي نبحثه هنا على أنه أثر من آثار الفوز في الدنيا.

(١) ينظر: ابن فارس، «مقاييس اللغة»، ج ٢، ص ١٧٠، وابن منظور، «لسان العرب»، ج ٤، ص ١٨١ - ١٨٤.

(٢) ينظر: المراجع السابقة، نفس الصفحات.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، برقم (١٨٩٤)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الصيام، باب: فضل الصيام، برقم (١١٥١)(١٦١).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، برقم (٣٢) ، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، برقم (٨٩).

(٥) ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، «زاد المعد في هدي خير العباد»، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج ٣، ص ٥٢٩.

(٦) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ)، «الأحكام السلطانية والولايات الدينية»، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٣٩، وابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ت ٧٣٣هـ)، «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام»، ط ٣، دار الثقافة، قطر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٥٣.

ثانياً: معنى التمكين:

أ. التمكين في اللغة: مصدر الفعل (مَكِّن) ومنه مَكَّنْتُ له فتمكّن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنْتُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٠]، و﴿أَوْلَمْ تُمَكِّنَ لَهُمْ﴾ [القصص: ٥٧].^(١)

ومنه: أَمْكَنَهُ مِنْهُ، بمعنى: استتمكن الرجل من الشيء، وتمكّن فلان من الشيء، وفلان لا يُمْكِنُهُ فهو ضعيف، أي: لا يقدر عليه.^(٢)

ومن التمكين: المَكِّنة، تقول العرب: إن بني فلان لذو مَكِّنة من السلطان، أي: تمكّن، قال تعالى عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَأَيَّتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا﴾ [الكهف: ٨٤].^(٣)
فالتمكين في اللغة: السلطان والمُكِّن.

ب. معنى التمكين في الاصطلاح:

قيل: «هو بلوغ حال من النصر، وامتلاك قدر من القوة، وحيازة شيء من السلطة والسلطان، وتأييد الجماهير والأنصار والاتباع، وهو لون من ألوان الترسيخ في الأرض وعلو الشأن».^(٤)
ولقد قصَ الله علينا الكثير من قصص الأنبياء والأقوام السابقة، وبينَ فيها أن الأرض الله يورثها من يشاء من عباده الصالحين، وهذا استعراض سريع بما جاء ذكره في الكتاب العزيز:

* لقد جعل الله تعالى أبا البشر آدم عليه السلام خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

* وعن قصة نجاة نوح عليه السلام وهلاك قومه الكافرين:
فبعد أن لبث فيهم يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ما كان رددهم إلا أن قالوا: يا نوح قد جادلتنا فاكتثرت جدالنا، فأخبره الله تعالى أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، وأمره فقال: ﴿وَاصْنَعْ أَفْلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

(١) ينظر: الراغب، «المفردات»، ص ٣٥٧.

(٢) ينظر: الرازي، «مختر الصاحب»، ص ٦٣٥.

(٣) ينظر: ابن منظور، «لسان العرب» ج ١٣، ص ٤١٤.

(٤) «مجلة المجتمع» العدد ١٢٣٩ - ٦ محرم ١٤١٨ هـ ١٩٩٧/٥/١٣ م.

وَوَجِّهْنَا وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغَرَّبُونَ ﴿٣٧﴾ [هود: ٣٧].

وفي نهاية المطاف وآخر مراحل الدعوة، وبعد أن علم استحالة استجابة قومه لدعوة التوحيد، قال كما أخبر عنه القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّابُونَ * فَأَفْعَنْتَ بَيْنَهُمْ فَتَحَاهُ وَبَحْنَى وَمَنْ تَعَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧ - ١١٨]، فاستجاب الله له، قال تعالى: ﴿فَنَسْنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ مِلَّا مُنْهَبِرٍ * وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عَيْنُنَا فَالنَّقَرَ﴾ [آل عمران: ١١ - ١٥]، وأما الذين صدقوه وآمنوا به، فقد أنجاهم الله، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا يَأْتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤].

* وعن استخلاف الله تعالى لداود عليه السلام:

قال تعالى: ﴿يَنَّدَاوِدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحُقْقِ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاهِي فَيُعِظِّلَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ إِمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَنْتَنَا دَاؤِدٌ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِيَّلُ أُولَئِي مَعْهُ وَالظَّرِيرُ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

* وأما التمكين لسليمان عليه السلام:

فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْتَنَا دَاؤِدٌ وَسُلَيْمَانٌ عِلْمًا وَقَالَا لَهُمْ دُلُّهُ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاؤِدًا وَقَالَ يَتَائِيَّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَطِيقَ الظَّرِيرِ وَأَوْتَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمِيْنُ﴾ [النمل: ١٥ - ١٦]، وقال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّي أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ بَهْرِي يَأْمِرِهِ بُطَّاءَ حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَّطِينَ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاءَنَا فَامْتَنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَرْفَقَ وَحَسْنَ مَعَابٍ﴾ [ص: ٣٥ - ٤٠].

* كذا التمكين لذوي القرنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَأَنْتَنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا﴾ [الكهف: ٨٤ - ٨٥].

* ومع قصة التمكين عند موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَرُؤِيَ أَنَّ نَمَنَ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَصْبِعُو فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمْ أُولَرِثِينَ * وَلَمْكِنَ

لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرُىٰ فِرْعَوْنٌ وَهَامَانٌ وَجُنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦٥﴾ [القصص: ٦ - ٥].

قال البقاعي: «وَنُمْكِنْ لَهُمْ، أَيْ: نوْقَع التَّمْكِين لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهَا، لَا سِيمَا أَرْضَ مِصْرَ وَالشَّامِ، بِإِهْلَكِ أَعْدَائِهِمْ وَتَأْيِيدِهِمْ بِكُلِّيْمِ اللَّهِ، ثُمَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِحِيثُ سُلْطَهُمْ بِسَبِيلِهِمْ عَلَى مِنْ سِوَاهُمْ، بِمَا يُؤْيِدُهُمْ بِهِ مِنْ الْمَلَانِكَةِ، وَتَظَهُرُ لَهُمْ مِنْ الْخَوَارِقِ، وَلَمَّا ذَكَرَ التَّمْكِينَ، ذَكَرَ أَنَّهُ مَعَ مَغَالِبَةِ الْجَابِرَةِ إِعْلَمًا بِأَنَّهُ أَضْخَمُ تَمْكِينًا»^(١).

* التَّمْكِين لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُ التَّسْلِيمِ:

قال تَعَالَى مُخَاطِبًا سَيِّدِنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَصَاحِبِهِ: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْحَطَّفُوكُمُ النَّاسُ فَأَوْبِكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِصَرِّهِ وَرَزْقَكُمْ مِنْ أَطْبَابِنِتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وَكُلُّ هَذِهِ النَّمَادِيجُ وَالْأَمْثَالُ السَّابِقَةُ تُؤَكِّدُ: أَنَّ الْإِسْتِخْلَافَ فِي الْأَرْضِ وَالْتَّمْكِينَ لِدِينِ اللَّهِ وَإِبْدَالِ الْخُوفِ أَمْنًا، وَعِدَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَقَّقُ لِلْمُسْلِمِينَ مَتَى أَدْوَى شَرُوطَهُ. وَلَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ وَاضْحَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي أَرَضَنِي لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنِي مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَنَسِيفُونَ * وَأَفِيمُوا الصَّلَاةَ وَمَأْتُوا الزَّكَوةَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِيْبَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَيَسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٥ - ٥٧].

فَهَذِهِ هِيَ شَرُوطُ التَّمْكِينِ - كَمَا مَرَّ مَعَنَا فِي أَسْبَابِ الْفُوزِ - إِيمَانُ بِاللَّهِ مُخْلِصٌ، وَعِبَادَةُ لِهِ مُسْتَمِرَةٌ وَالْحَرَصُ عَلَى كُلِّ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَصَنْوُفِ الْبَرِّ، وَأَمَّا لَوَازِمُ الْإِسْتِمْرَارِ لِهَذَا التَّمْكِينِ، فَهِيَ إِقْامَةُ الصَّلَاةِ وَإِيَّاتِهِ الْزَّكَوةِ وَإِطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، الَّلَّا تِيَّأْكُلُهَا الْآيَةُ التَّالِيَةُ لِآيَةِ الْإِسْتِخْلَافِ وَالْتَّمْكِينِ، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَوةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَلَّهِ عَزِيزٌ عَلَيْهِ الْأُمُورُ﴾ [الحج: ٤١].

(١) البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٥، ص ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٢) ينظر: الصَّلَابِيُّ، دُ. عَلَى مُحَمَّدٍ، «فَقْهُ التَّمْكِينِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»، ط١، دار الْبِيَارِقَ، بِيْرُوتٍ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ١٧٩ وَمَا بَعْدَهَا.

ثانياً: آثار الفوز في الآخرة:

إن آثار الفوز في الآخرة ما هي إلا وجوه وصور لأحداث ومشاهد ينالها الفائزون عند ربهم في جنات النعيم، وهنا سأعرض الآيات التي تناولت هذه الآثار حتى يستبشر المؤمن بما له عند ربه.

أ. البشري: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُولُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَعَظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا عِيمٌ مُّقِيمٌ * حَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدُهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبه: ٢٠ - ٢٢].

لقد اشتملت هذه البشارة من رب العباد للذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا، على أنواع ومراتب من الدرجات العالية في الآخرة، منها: «كون تلك البشارة حاصلة من ربهم بالرحمة والرضوان، وهذا هو التعظيم والإجلال من قبل الله، قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ﴾ إشارة إلى حصول المنافع العظيمة، قوله: ﴿فِيهَا عِيمٌ﴾ إشارة إلى كون المنافع خالصة عن المكررات؛ لأن النعيم مبالغة في النعمة، ولا معنى للمبالغة في النعمة إلا خلوها عن مجازة الكدورات، قوله: ﴿مُقِيمٌ﴾ عبارة عن كونها دائمة غير منقطعة، ثم انه تعالى عبر عن دوامها بثلاث عبارات: أولها قوله: ﴿مُقِيمٌ﴾، وثانيها: قوله: ﴿خَلِيلَيْنِ فِيهَا﴾، وثالثها: قوله: ﴿أَبَدًا﴾، فحصل من مجموع ما ذكرنا أنه تعالى يبشر هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين بمنفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، وذلك هو حد الثواب»^(١).

والتبشير هو: «الإخبار بخير يحصل للمخبر لم يكن عالماً به، فإن سبب التبشير إلى اسم الجلة بصيغة المضارع، المفيد للتجدد، مُؤذن بتعاقب الخيرات عليهم، وتجدد إدخال السرور بذلك لهم، لأن تجدد التبشير يؤذن بأن المبشر به شيء لم يكن معلوماً للمبشر، وإنما كان الإخبار به تحصيلاً للحاصل»^(٢).

«وكون المسند إليه لفظ الرب، دون غيره مما يدل على الخالق سبحانه، إيماء إلى الرحمة بهم والعناية؛ لأن معنى الربوبية يرجع إلى تدبير المربي ورفقه به واللطيف به»^(٣).

(١) الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج٦، ص١٥.

(٢) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج١٠، ص٥٣.

(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص٥٣.

وقوله: ﴿أَعَظَمُ دَرَجَةً﴾، أي: من جهة ارتفاع الْدَّرْجَةِ، وهي الفضيلة المقربة إلى الله تعالى، وهم أصحاب الفوز، وتعريف المسند - الفائزون - باللام مفيد للقصر، وهو قصر ادعائي للمبالغة في عَظَمِ فوزهم، حتى إن فوز غيرهم بالنسبة إلى فوزهم يُعدُّ كالمعدوم^(١).

والإتيان باسم الإشارة ﴿هُ﴾ في قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُوَ الْفَازُونَ﴾؛ للتنبيه على أنهم استحقوا الفوز لأجل تلك الأوصاف التي ميزتهم، وهي: الإيمان، والهجرة، والجهاد بالأموال والأنفس^(٢).

فأولئك المؤمنون المهاجرون المجاهدون هم الفائزون بفضل الله وكرامته ومثوبته، وهذا الفوز هو أنه تعالى يبشرهم في كتابه المنزل على رسوله برحمته واسعة، ورضوان كامل، وجنات لهم فيها نعيم دائم، وهم في هذا النعيم خالدون على الدوام إلى ما شاء الله تعالى، كما قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنَهَرُ خَلِيلِنَّ فِيهَا وَمَسِكَنَ طِبِّبَةً فِي جَنَّتٍ عَذَّنَ وَرِضْوَانٌ مِّنْ اللَّهِ أَكْثَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ٧٢].

وتتشير ربهم إياهم برحمة منه ورضوان؛ بيان للدرجة العظيمة التي في قوله: ﴿أَعَظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾، فتلك الدرجة هي عنایة الله تعالى بهم بإدخال المسرّة عليهم، وتحقيق فوزهم، وتعريفهم برضوانه عليهم، ورحمته بهم، وبما أعد لهم من النعيم الدائم^(٣).

وأما الرضوان في قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾، فهو نهاية الإحسان، وهو شيء روحي، والنعيم في الجنة شيء مادي، فهو لين العيش ورغده^(٤)، وعن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى،

(١) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ١٠، ص ٥٢، والبروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى (ت ١١٣٧هـ)، «روح البيان»، ط ١٠، ١٠م، (تحقيق: الشيخ أحمد عبيد عنایة)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ج ٣، ص ٥١٢.

(٢) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ١٠، ص ٥٢.

(٣) وهبة الزحيلي، «القسيس المنير»، ج ١٠، ص ١٤٥.

(٤) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ١٠، ص ٥٣.

(٥) أخرجه البخاري في «صححه»، كتاب الرّقاق، باب صفة الجنة والنّار، برقم (٦٥٤٩)، وكتاب التوحيد، باب: كلام الرب مع أهل الجنة، برقم (٧٥١٨)، ومسلم في «صححه»، كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، برقم (٢٨٢٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رض.

وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: ربنا، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى، فلا أسطع عليكم بعده أبداً^(١).

وقد جاءت البشرى - على أنها من آثار الفوز في الآخرة - في آية أخرى، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ
أُولَئِكَ اللَّهُ لَا يَحْوِفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَقَوَّلُونَ * لَهُمُ الْبَشَرِيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

يقرّ الرازى أن الخوف إنما يكون في المستقبل، بمعنى أنه يخاف من حدوث شيء في المستقبل من المخوف، والحزن إنما يكون على الماضي، إما لأجل أنه كان قد حصل في الماضي ما كرهه، أو لأنه فاته شيء أحبه، وتَفَوُّتُ الخوف والحزن إنما يحصل للأولياء إما حال كونهم في الدنيا، أو حال انتقالهم إلى الآخرة، والأول باطل لوجوه:

أحداهما: أن هذا لا يحصل في دار الدنيا؛ لأنها دار خوف وحزن، والمؤمن خصوصاً لا يخلو من ذلك على ما قاله الرسول ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٢)، وعلى ما قال: «حُفِّتِ الجنة بالمكاره، وحُفِّتِ النار بالشهوات»^(٣).

وثانيها: أن المؤمن، وإن صفا عيشه في الدنيا، فإنه لا يخلو من هم بأمر الآخرة شديد، وحزن على ما يفوته من القيام بطاعة الله تعالى، وإذا بطل هذا القسم وجب حمل قوله تعالى: ﴿لَا يَحْوِفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ﴾ على أمر الآخرة، كما أن أهل الثواب لا يحصل لهم خوف في محفل القيمة، واحتجوا على صحة قولهم بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهُ لَا يَحْوِفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ﴾ وبقوله تعالى: ﴿لَا يَحْرَثُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَلَا يَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وأيضاً فالقيمة دار الجزاء فلا يليق به إيصال الخوف^(٤).

(١) ينظر: وهبة الزحيلي، «النفسير المنير»، ج ١٠، ص ١٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في « صحيح »، كتاب: الزهد والرقائق، برقم (٢٩٥٦).

(٣) أخرجه ابن حبان في « صحيحه »، ج ٢، ص ٥٥، برقم (٧١٦)، صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط

(٤) ينظر: الفخر الرازى، «مفاتيح الغيب»، ج ٦، ص ٢٧٧.

فقوله: ﴿لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون﴾، هو البشري بالأمن يوم الفزع الأكبر، أي: من تولاه الله تعالى وتولي حفظه وحياطته ورضي عنه فلا يخاف يوم القيمة ولا يحزن؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيبَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشَتَهُتْ أَنفُسُهُمْ خَلِيلُونَ * لَا يَحْزُنُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ اللَّهُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣ – ١٠١].^(١)

قال الألوسي: «فتلي الملاكاة إياهم مُسلّمين مبشرين بالفوز والكرامة، وما يرون من بياض وجوههم، وإعطاء الصحائف بأيمانهم، وما يقرأون منها، وغير ذلك من البشارات»^(٢).

وقيل: البشري في الآخرة هي: النعيم والجنة العالية ذات القطوف الدانية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْدَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَلَا يَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشَاءَتُهُنَّ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ * تُرِلَّا مِنْ عَفْوِ رَحْمَم﴾ [فصلت: ٣٢ – ٣٠]^(٣).

ب. الخيرات، قال تعالى: ﴿لَذِكْرِ الرَّسُولِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأَوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبية: ٨٨ – ٨٩].

قال البقاعي في تفسيره لهذه الآية: «.. ثم بين الإفلاح الأعظم بقوله: ﴿أَعَدَ اللَّهُ﴾، أي: الذي له صفات الكمال، ﴿لَهُم﴾، أي: الآن لينعمون بها بعد موتهم وانتقالهم من هذه الدار التي هي معدن الأكدار، ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي﴾، أي: دائمًا ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾، أي: مع قربها، ﴿الْأَنْهَارُ﴾، ثم عرض بهذه الدنيا السريعة الزوال فقال: ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا﴾، ثم رَغَبَ فيها بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾، أي: الأمر العالي الدرجة ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، أي: لا غيره»^(٤).

(١) ينظر: القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج ٨، ص ٣٥٧.

(٢) الألوسي، «روح المعاني»، ج ١١، ص ١٥٢. وينظر: أبي السعود، «إرشاد العقل السليم»، ج ٤، ص ١٦٠، والشوکاني، «فتح التدیر»، ج ٢، ص ٦٦٢.

(٣) ينظر: د. محمد محمود حجازي، «التفسير الواضح»، ج ١، ص ١٠٦٥.

(٤) البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٣، ص ٣٧٣.

والخيرات في الآخرة عامةً كثيرة لا تُحصى ولا تُعد، وقد أشرت إليها عند الحديث عن الخيرات في الدنيا، في المطلب نفسه^(١).

جـ. ومن مظاهر الفوز في الآخرة: إلحاق من صلح من آباء وأزواج وذريات المؤمنين بهم في جنات النعيم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَأَعْفَرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَأَبْعَوْ سَبِيلَكَ وَقَهْمَ عَذَابَ الْجَحْمِ * رَبَّنَا وَأَدْخَلْهُمْ جَنَّتَ عَدَنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَابِيهِمْ وَأَرْجَاهُمْ وَدُرْبَتَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَرِيزُ الْحَكِيمُ * وَقَهْمُ أَسْتِيَّاتٍ وَمَنْ تَوَنَ أَسْتِيَّاتٍ يَوْمَئِنِ فَقَدْ رَجَمَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧ - ٩]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَبْعَثْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ يَأْتِيَنَ الْحَقَّا بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَنْتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أُمَّرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

دـ. فوز آخر؛ فوز كبير:

لم تقف آثار الفوز عند الفوز العظيم بل تَعَدَّتْهُ للفوز الكبير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُنْ هُنْ جَنَّتٌ تَبَرِّى مِنْ تَهْنِئَةِ الْأَنْهَارِ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١]. فقوله: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور العظيم الشأن، العالي الدرجة، العظيم البركة، وهو حصول الجنات^(٢).

وقال: ﴿ذَلِكَ﴾ ولم يقل: (ذلك)؛ «لدقّيقة لطيفة، وهي أن قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى إخبار الله تعالى بحصول الجنات، قوله: (ذلك) إشارة إلى الجنات، وإخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضياً، والفوز الكبير هو رضا الله لا حصول الجنة»^(٣).

(١) ينظر: أولاً: آثار الفوز في الدنيا، من هذه الدراسة.

(٢) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٨، ص ٣٨٠، والبروسوي، «روح البيان»، ج ١٠، ص ٤٦٥، وابن عجيبة، «البحر المديد»، ج ٨، ص ٢٧٨.

(٣) الفخر الرازبي، «مفآتيخ الغيب»، ج ١١، ص ١١٣. وينظر: ابن عادل، «اللباب»، ج ٢٠، ص ٢٥٤.

وقال ابن عجيبة: «والإشارة^(١) إما إلى الجنة الموصوفة بما ذكر، والتذكير لتأويلها بما ذكر، وإنما إلى ما يفيده قوله: ﴿لَمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، من حيازتهم لها، فإن حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعاً، وما فيه من البعد للإيدان بعلو درجته، وبعد منزلته في الفضل»^(٢).

وقوله: ﴿الْكَبِيرُ﴾، أي: كُبُراً^(٣) لا تفهمون منه أكثر من ذكره بهذا الوصف على سبيل الإجمال، وتصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب^(٤).

وقيل: «إن حصول الجنات هو الفوز الكبير، وحصول رضا الله تعالى هو الفوز الأكبر، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِوَّا نُّمِنَ اللَّهُ أَكْبَرُ﴾ [التوبه: ٧٢]، وإنما لم يقل ذلك؛ لأن نفس الجنات من حيث هي ليست فوزاً، وإنما الفوز حصولها ودخولها»^(٥).

وقال سيد قطب: «ويتمثل رضى الله وإنعامه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتُ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ﴾ وهذه هي النجاة الحقيقية ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، والفوز: النجاة والنجاح، والنجاة من عذاب الآخرة فوز، فكيف بالجنات تجري من تحتها الأنهر؟ بهذه الخاتمة يستقر الأمر في نصابه، وهي الخاتمة الحقيقة للموقف، فلم يكن ما وقع منه في الأرض إلا طرفاً من أطرافه، لا يتم به تمامه.. وهذه هي الحقيقة التي يهدف إليها هذا التعقيب الأول على

(١) بـ(ذلك) في الآية.

(٢) ابن عجيبة، «البحر المديد»، ج ٨، ص ٢٧٩ - ٢٧٨، وقيل: ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ثبوت الجنات لهم، و﴿الْفَوْزُ﴾: مصدر، بمعنى اسم المفعول، أي: المفوز به، أو بولوغ بأن الجنات نفس الفوز، وإن جعلنا الإشارة إلى الفوز أو النيل مصدر نال، فالفوز باق على المصدرية بمعنى الظفر، و﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي لا فوز إلا وهو دونه، وإن شئت قال في الموضعين الكمال والإشارة البعدية على كل حال للشرف والعلو». ينظر: أطفيش، محمد بن يوسف (ت ١٩١٤م)، «تيسير التفسير»، ١٥م، سلطنة عمان، ١٩٨٩هـ - ١٤٠٩م، ج ١٥، ص ٧٣.

(٣) ويجوز: كِبِراً، بكس الراء وفتح الباء، من كُبُرْ كِبِراً فهو كبار وكبار. ينظر: ابن منظور، «لسان العرب»، ج ٥، ص ١٢٥.

(٤) ينظر: القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج ١٩، ص ١٩٥، والبيضاوي، «أنوار التنزيل»، ج ٥، ص ٣١، والقاعي، «نظم الدرر»، ج ٨، ص ٣٨٠، والبروسوي، «روح البيان»، ج ١٠، ص ٤٦٥، وابن عجيبة، «البحر المديد»، ج ٨، ص ٢٧٨، ومحمد طنطاوي، «التفسير الوسيط»، ج ١٥، ص ٣٤٧، وهبة الزحيلي، «التفسير المنير»، ج ٣٠، ص ١٥٦.

(٥) البروسوي، «روح البيان»، ج ١٠، ص ٤٦٥.

الحادي، ل تستقر في قلوب القلة المؤمنة في مكة، وفي قلوب كل فئة مؤمنة تتعرض ل الفتنة على مدار القرون»^(١).

ومن لطيف التعبير في الآية: دعوة القاتلين إلى التوبة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَّا أَمْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُبُّوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيق﴾ [البروج: ١٠]، قال الحسن البصري^(٢): «انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»^(٣).

إن هذه النهاية تحقق معنى من معاني الانتصار، من المنتصر؟ الذي نصر عقيدته ودين ربه، وحرق بضع دقائق، ثم انتقل إلى جنات النعيم، أو ذلك الذي تمنع بأيام في الحياة الدنيا ثم مآلـه - إن لم يتبع إلى عذاب جهنـم وعذاب الحرـيق؟ هل هناك مقارنة بين الحرـيق الأول، والحرـيق الثاني، حرـيق الدنيا وحرـيق الآخرة؟ إنها نقلة بعيدة، وبين شاسع، أما المؤمنون الذين حرقوا في الدنيا، قال الله عنـهم: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، وتعلن النتيجة التي لا مراء فيها ولا جدال ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، أليس هذا هو الانتصار؟^(٤)

(١) سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٢، ص ٣٨٧٤.

(٢) هو سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنباري مولاهم زايد فاضل ثقة كان من أفسح الناس، (ت ١١٠ هـ)، وهو ابن ٨٨ سنة. تنظر ترجمته: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٥٨٥٢ هـ)، «تهذيب التهذيب»، ط ١، ٤م، (باعتناء: إبراهيم الزبيق، وعادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج ٢، ص ٢٦٣ - ٢٧٠.

(٣) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٤، ص ٤٩٦.

(٤) ينظر: د. ناصر العمر، «حقيقة الانتصار»، ص ٣٥.

المطلب الثاني: آثار الخسران في الدنيا والآخرة.

لقد تنوّعت وتعددت الأساليب والأوصاف التي وصف بها الخسران في الآيات القرآنية، فمرة يُقسم ربنا بالعصر على أن جنس الإنسان لفي خسر، عام مطلق، بدون قيد أو وصف، إلا من اتصف بأربع صفات - كما مر معنا سابقاً - قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ أَمْسَأُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَوَاصُوا بِالْعَدْقِ وَقَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، ومرة يوصف الخسران بالمبين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيَّا مِنْ دُولَتِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ يَرِيهِ وَإِنَّ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وقال تعالى: ﴿فُلِّ إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسُهُمْ وَاهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

وفي باقي الآيات التي حدثتنا عن الخسران، فقد جاءت تبين لنا آثار هؤلاء الخاسرين في الدنيا وفي الآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ الْسَّاعَةُ بَعْتَهُ قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرِزُونَ﴾ [٢٠] .. وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُوَ لِلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣١ - ٣٢]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أُولَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠] .. وقال تعالى: ﴿.. وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطَلُونَ﴾ [غافر: ٧٨]، وقال أيضاً: ﴿.. وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَفَرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿فُلِّ إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسُهُمْ وَاهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ١٥]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَمْسَأُوا إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسُهُمْ وَاهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الشورى: ٤٥]، كما جاء الخسر مضافاً للقوم وللقرية، فقال تعالى: ﴿أَفَأَمْنَوْا مَكْرَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِيرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وقال: ﴿فَدَافَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَرْقِهُ أَمْرِهَا خَسِرًا﴾ [الطلاق: ٩] ..

وهكذا فقد جاءت الآيات لتحدث عن الخسران في مواضع كثيرة من كتاب الله، وامتازت بتنوع أوصاف الخسران، سواء كان في الدنيا أم في الآخرة أم بهما معاً، وجاءت الآيات أيضاً لتركيز على أفعال بعضها من قام بها لن تكون عاقبة أمره إلا خسراناً، والعياذ بالله.

أولاً: آثار الخسران في الدنيا:

سابداً بالحديث عن آثار الخسران في الدنيا، ثم انتقل إلى آثار الخسران في الآخرة في المطلب الذي يليه، إلا أنه يجب الإشارة إلى أن من كانت عليه آثار الخسران في دنياه، فسيعقبه خسران في الآخرة أكبر وأعظم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَانِ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَانَ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]، إلا أنني فحصلت الحديث لزيادة البيان والإيضاح في المظاهر جميعها كل على حدى.

وللحديث عن آثار الخسران في الدنيا، لا بد من تقسيمها إلى ما يلي:

أ. آثار الخسران على الفرد في الدنيا.

ب. آثار الخسران على المجتمع.

أ. آثار الخسران على الفرد في الدنيا:

١. فساد القلب، قال ابن القيم: «إن عظمة الله تعالى في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته التي تحول بينه وبين الذنوب»^(١)، حتى لا يصبح من الخاسرين بسبب هذه الذنوب والمعاصي، التي قال فيها ابن المبارك^(٢):

رأيت الذنوب تُميّت القلوب

وترث الذنوب حياة القلوب

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا أَلْسِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَدِّلُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُوفُوا مَعَ الْحَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣]، وذلك بعد الحديث عن الرسول والذين آمنوا معه وواجهدوا بأموالهم وأنفسهم، أنهم هم المفلحون، وذلك هو الفوز العظيم، فعلى النقيض جاء هؤلاء

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، «الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافعي»، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج٢، ص٨٠.

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن (ت ١٨١هـ)، من أشهر مصنفاته: «الجهاد» وهو أول من صنف فيه، و«الرقائق». تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج٤، ص١١٥.

المعدرون من الأعراب ليؤذن لهم، هؤلاء الذين استوى عندهم الحسن والقبيح، وأصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، فصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿فَطُيِّعْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

٢. الختم على القلب:

فالقلب إذا ما كثرت عليه المعاشي والآثام، وركن إليها واطمأن بها، حينئذٍ تضعف عنده إرادة التقوى، بل قد تموت لاستمراره على ما حرم الله^(١)، قال تعالى عن المنافقين: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

قال البغوي رحمه الله: «طبع الله على قلوبهم فلا تعي خيراً ولا تفهمه، وحقيقة الختم الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه، ولا يخرج عنه ما فيه، ومنه الختم على الباب، قال أهل السنة: أي حكم على قلوبهم بالكفر، لما سبق من علمه الأزلي فيهم»^(٢).

وهي تضعف تعظيم الله جل جلاله في القلب، قال تعالى: ﴿مَا لَكُلُّ أَنْتُرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

٣. إظلام القلب:

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، وقال تعالى: ﴿أَوْ كَطْلَمَتِ فِي بَحْرِ لَهْجَيِّ يَغْشِلُهُمْ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ طَلَمَتْ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدِيرَهَا، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «فهذا قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد، الذي لا يعرف حال من يقوده، ولا يدري أين يذهب، بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب؟ قال: معهم، قيل: فإلى أين يذهبون؟ قال: لا أدرى.. فالكافر يتقلب في خمسة من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيمة إلى الظلمات إلى النار»^(٣).

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، وهذا

(١) ينظر: حامد محمد المصلح، «المعاishi وأثارها على الفرد والمجتمع»، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) البغوي، «معالم التنزيل»، ج ١، ص ٦٤ - ٦٥.

(٣) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٦، ص ٧١.

«في البدن، ونقصاناً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق»^(١).

٤. سوء الخاتمة عند الموت:

قال ابن القيم: «يُخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار، والانتقال إلى الله تعالى، فربما تُعذر عليه التلطّق بالشهادة، كما شاهد الناسُ كثيراً من المحتضرين أصابهم ذلك، حتى قيل لبعضهم: قل: لا إله إلا الله، فقال: آه... آه... لا أستطيع أن أقولها، وقيل آخر: قل: لا إله إلا الله، فقال:

يا رَبِّ قائلةً يوْمًاً وقد تعبت
كيف الطريق إلى حمّام منجّاب

ثم قضى. وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يهذى بالغناء، ... حتى قضى»^(٣).

بـ. آثار الخسran على المجتمع في الدنيا:

١. إهلاك الأُمم:

قال تعالى: ﴿وَكُمْ أَهْلُكُنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرِيَّكَ بِذِنْبُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

لم يكن إهلاك الله تعالى لهذه الأقوام إلا بسبب شوئم الكفران، وتنابع العصيان، ومجانية تعالي
ونذر ومواعظ القرآن، قال تعالى منذراً حال من وقع بسبب عصيانه، ﴿فَكُلُّا أَحَدَنَا بِذِنْبِهِ فَيُنَهِّمُ مَنْ
أَرْسَلَنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَحَدَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ
اللهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلِكُنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا مَا حَوَلَكُمْ مِنَ
الْأَقْرَى وَصَرَفْنَا أَلَّا يَنْتَ لَعَنْهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧]، وقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَثُوهُمْ فِي الْأَرْضِ
مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلَنَا أَسْمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَرَ تَجْرِي مِنْ تَعْبِهِمْ فَأَهْلَكَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَانِ
إِلَّا خَرَبَنِ﴾ [الأنعام: ٦].

وهذا النص في القرآن: ﴿فَاهْلِكُهُم بِذُنُوبِهِم﴾ يقرر حقيقة أن الذنوب تهلك أصحابها، وأن الله هو

(١) ينظر: ابن القيم، «الجواب الكافي»، ج ٢، ص ٦٢.

(٢) ابن القيم، «الجواب الكافي»، ج٢، ص١٠٥ - ١٠٦.

الذي يهلك المذنبين، وأن هذه سُنّة تصير إليها الأمم حين تقشو فيها الذنوب^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ إِمْنَوا وَاتَّقُوا لَفَنَحَنَا عَنْهُمْ بَرَكَتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا فَأَخْذَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَيْمَنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيهِمْ بِأَسْنَا بَيْتًا وَهُمْ نَاءِمُونَ * أَوْ أَيْمَنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيهِمْ بِأَسْنَا ضُحَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمْنَوْا مَحَكَّرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦ - ٩٩].

كانت الافتتاحية في هذه الآيات بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾؛ أي: التي قصَّ الله قصصهم على نبيه، ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس، والمراد: لو أن أهل القرى أين كانوا؟ وفي أي البلاد سكنوا؟ آمنوا واتقوا^(٢).

﴿لَفَنَحَنَا﴾ والفتح نقىض الإغلاق، وهو إزالة شيء حاجز عن الدخول إلى مكان، يقال: فتح الباب، وفتح البيت، وتعديته إلى البيت على طريقة التوسيع، وأصله فتح البيت^(٣).

وقرأ ابن عامر^(٤): (لفنحنا) بتشديد الناء، وهو يفيد المبالغة^(٥)، والزيادة في فتح هذه البركات عليهم. والبركات: هي الخير الصالح الذي لا تبعة عليه في الآخرة، فهو أحسن أحوال النعمة، ولذلك عبر في جانب المغضوب عليهم المستدرجين بلفظ: ﴿الْحَسَنَة﴾، بصيغة الإفراد في قوله: ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةُ الْحَسَنَةُ﴾ [الأعراف: ٩٥]، وفي جانب المؤمنين: بالبركات مجموعة^(٦)، وهذا التعبير القرآني بعمومه وشموله يلقي ظلال الفيض الغامر، الذي لا ينحصر ولا يتقييد بما يعهده البشر من الأرزاق والأقوات،

(١) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٢) ينظر: الزمخشري، «الكتاف»، ج ٢، ص ١٣٣، والنسيفي، «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، ج ٢، ص ٢٦، والنيسابوري، «غرائب القرآن»، ج ٥، ص ٤٤، وأبو حيان، «البحر المحيط»، ج ٥، ص ١١٩، وأبو السعود، «إرشاد العقل السليم»، ج ٣، ص ٢٥٣، والشوكاني، «فتح القدير»، ج ٢، ص ٣٣٢، والألوسي، «روح المعاني»، ج ٩، ص ١٠٣.

(٣) ينظر: الفراهيدي، «العين»، ج ٣، ص ١٩٤، وابن منظور، «لسان العرب»، ج ٢، ص ٥٣٦، وابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ٨، ص ٢٠٩.

(٤) هو عبد الله بن عامر بن زيد، أبو عمران اليحصي الشامي، أحد القراء السبعة، ولد قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ولد في البلقاء، في قرية (رحا) وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها سنة ١١٨ هـ، قال عنه الذهبي: مقرئ الشاميين، صدوق في رواية الحديث. تنظر ترجمته: الزركلي، «الأعلام»، ج ٤، ص ٩٥.

(٥) ينظر: ابن عطية، «المحرر الوجيز»، ج ١، ص ١٦، وابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ٨، ص ٢٠٩.

(٦) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ٨، ص ٢٠٩.

بل هو عام شامل غير منقطع^(١)، وأصل البركة: المواظبة على الشيء^(٢).

وأمام هذا النص القرآني نقف أمام حقيقة من حقائق العقيدة، وأمام عامل من العوامل المؤثرة في تاريخ الإنسان،.. إن الإيمان بالله، وتقواه، ليؤهلاًن لفيض من بركات السماء والأرض، وعداً من الله، ومن أوفى بعهده من الله؟ وحين تسير الحياة متناسقةً بين الدوافع والكوابح، عاملة في الأرض، متطلعة إلى السماء، متحررة من الهوى والطغيان البشري، عابدة خاشعة لله، تسير سيرة صالحة منتجة، تستحق مدد الله بعد رضاه، فلا جرم تحفها البركة، ويعملها الخير، ويظلها الفلاح^(٣). ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوْ أَسْتَقْدِمُ أَعْلَى الْطَّرِيقَةِ لَأَسْقِنَّهُمْ مَاهَ عَنْهَا﴾ [الجن: ٦].

قوله: ﴿وَلَكِنْ كَذَبُوا﴾:

ولكن أهل القرى لم يؤمنوا، ولم يتقووا.. بل كذبوا !! فلم تفتح عليهم بركات السماء..

﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾، والمراد بهأخذ الاستئصال^(٤)، وذلك بسبب عدم إيمانهم وعدم تقواهم، بل وتكذيبهم رسليهم .. فأخذناهم بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جراء أعمالهم، والا فلو أخذهم جميع ما كسبوا، لما ترك على ظهرها من دابة، ولكنه تعالى يقول في موضع آخر من كتابه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذْيِقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقيل في تفسير قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾: بعذاب دون عذاب الاستئصال^(٥)، والأول أولى إذا عيننا القرى التي قص الله علينا هلاكها، أما إذا اعتبرنا جنس القرى فيجوز التأويل الثاني.

(١) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٣، ص ١٣٣٨.

(٢) ينظر: البغوي، «معالم التزيل»، ج ٣، ص ٢٦٠.

(٣) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٣، ص ١٣٣٨ - ١٣٣٩. بتصريف.

(٤) ينظر: الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ٥، ص ٣٢٢، من الطبعة الرابعة لدار إحياء التراث العربي، وابن عاشور، «التحرير والتتوير»، ج ٨، ص ٢١٠.

(٥) ينظر: السعدي، «تيسير العزيز الرحمن»، ص ٢٩٨.

وتعود الآية الكريمة لتعطف و تستنكر و تتعجب فتفقول:

﴿أَفَأَمْنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا يَكْتَأِ وَهُمْ نَاهِمُونَ * أَوَأَمْنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا ضَحَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمْنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِرُونَ ﴾

(الفاء): حرف عطف دخلت عليها همزة الإنكار^(١)، ومحل التعجب والإنكار هو توافقهم على هذا الغرور، أي: يتربّ على حكاية تكذيبهم وأخذهم استفهام التعجب من غرورهم، وأمنهم غضب القادر العاليم^(٢).

* ﴿أَفَأَمْنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾

في قوله: ﴿أَفَأَمْنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ تكرار لقوله: ﴿أَفَأَمْنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾، «فُصِّدَ منه تقرير التعجب من غفلتهم، وتقرير معنى التعریض بالسامعين من المشركين، مع زيادة التذکیر بأن ما حل بأولئك من عذاب الله يماثل هيئة مكر الماكر بالممکور، فلا يحسبوا الإمهال اعراضاً عنهم، ولیحذرموا أن يكون ذلك كفعل الماكر بعده»^(٣).

وما ذلك إلا استدراج من الله، فالله تعالى يمهد ولا يهملا، قال الطبری: «أَفَمَنْ، يَا مُحَمَّدَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَجْحُدُونَ آيَاتِهِ، اسْتَدْرَاجُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ، بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، مِنْ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَرَخَاءِ الْعِيشِ، كَمَا اسْتَدْرَجَ الَّذِينَ قَصَّ عَلَيْهِمْ قَصَصَهُمْ مِنْ الْأَمْمَ قَبْلَهُمْ»^(٤).

وحقيقة المكر: فعل يقصد به ضرُّ أحد في هيئة تخفي أو هيئة يحسبها منفعة، والمكر في هذه الآية استعارة للإنعام في حال الإمهال، فهي استعارة تمثيلية، شبه حال الإنعام مع الإمهال و تعقيبه بالانتقام بحال المكر، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَلَهُ خَيْرُ الْمَكِيرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]^(٥).

(١) ينظر: الزمخشري، «الكتاف»، ج ٢، ص ١٢٤، والفارزاني، «مفتيح الغيب»، ج ٥، ص ٣٢٢، من الطبعة الرابعة لدار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) ابن عاشور، «التحریر والتتویر»، ج ٨، ص ٢١٠.

(٣) ابن عاشور، «التحریر والتتویر»، ج ٨، ص ٢١١.

(٤) الطبری، «الجامع عن تأویل آی القرآن»، ج ١٢، ص ٥٧٨.

(٥) ينظر: ابن عاشور، «التحریر والتتویر»، ج ٨، ص ٢١٢، وابن عطیة، «المحرر الوجیز»، ج ٣، ص ١٤١.

وسمّيَ هذا العذاب الذي أوقعه الله تعالى بأهل القرى مكرًاً توسيعًاً؛ لنزوله بهم من حيث لا يشعرون^(١).

النتيجة: ﴿فَلَا يَأْمُنُ مَكْرُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَيْرُونَ﴾

فما وراء الأمان والغفلة والاستهتار إلا الخسار، وما يفعل عن مكر الله هكذا إلا الذين يستحقون هذا الخسار! ألموا مكر الله؛ وهم يرثون الأرض من بعد أهلها الظاهرين، الذين هلكوا بذنبهم، وجنت عليهم غفلتهم؟ أما كانت مصارع الغابرين تهديهم وتتir لهم طريقهم، ألموا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون..^(١) وهم الذين لغفلتهم وجهلهم لا يعرفون ربهم، فلا يخافونه، ومن كانت هذه سبليه، فهو أخسر الخاسرين في الدنيا وفي الآخرة؛ لأنه أوقع نفسه في الدنيا في الضرر، وفي الآخرة في أشد العذاب^(٢). والعياذ بالله.

ومن آثار الخسران على المجتمعات في الدنيا:

٢. إزالة النعم وحلول النقم مكانها: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

قال الرازي: «كلام جميع المفسرين يدل على أن المراد لا يغير ما هم فيه من النعم بإنزال الانتقام إلا بأن يكون منهم المعاصي والفساد»^(٤).

أ. ومن أعظم هذه النعم نعمة الإيمان، فلا يزال المجتمع يفعل الآثام والذنوب حتى يضعف الإيمان، وتتغير القلوب فتتغير الأعمال، ويتحقق المجتمع بركب الفجار.

بـ. ومن النعم التي تزول بالمعاصي أو تنقص نعمة المال والرزق، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ إِمَامَةً مُطْمِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِإِنْعَمْ اللَّهِ فَأَذَّقَهَا اللَّهُ لِيَسَ الْجُوعُ وَالْحَرَقُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْيَةِ إِمَامُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحَنَا عَلَيْهِمْ

(١) ينظر: الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج٥، ص٣٢٢، من الطبعة الرابعة لدار إحياء التراث العربي، بيروت، وابن عادل، «اللباب»، ج٩، ص٢٣٧.

(٢) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٣، ص ١٣٤٠. بتصرف طفيف.

(٣) ينظر: البغوي، «معالم التنزيل»، ج ٣، ص ٢٦٠، والفارخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ٥، ص ٣٢٢، من الطبعة الرابعة لدار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) الفخر الرازي، «التقسيير الكبير»، ج ٧، ص ٢٠، من الطبعة الرابعة لدار إحياء التراث العربي، بيروت.

بَرَكَتِ مَنْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَلَكُنْ كَذَّبُوا فَأَخَذَنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: **وَأَلَّوْ أَسْتَقْدِمُوا عَلَى الظَّرِيفَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً عَذَّقًا** [الجن: ١٦].
قال الشاعر^(١):

فإن المعاصي تُزيل النعم	إذا كنت في نعمة فارعها
فإن الإله شديد التهم	وداوم عليها بشكر الإله

ج. ومن النعم التي تزيلها الذنوب: نعمة الأمان في الأوطان، قال تعالى: **فَآذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ** [النحل: ١١٢]، وما يحصل في هذه الأيام من الحروب الطاحنة التي تزيل الأمان، وتجعل الناس يعيشون في خوف، أكبر دليل على وجود المعاصي والخطايا في هذه المجتمعات المسلمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣. سلب عافية الأبدان:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أقبل علينا رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا بلتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلفهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولو لا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدواً من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أنتمهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(٢).

وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت: استيقظ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه من النوم مُحرماً وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍ قد اقترب»، فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه» وعقد سفيان^(٣) - تسعين أو مائة - قيل: أنهلك وفيينا الصالحون؟! قال: «نعم إذا كثُر الخبث»^(٤).

(١) هو علي بن أبي طلب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجة في «سننه»، كتاب: الفتن، باب: العقوبات، برقم (٤٠١٩). حسنة الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٣) أي: حلق بإصبعيه الإبهام والتي ثلثها.

(٤) أخرجه البخاري في «صححه»، كتاب: الفتن، باب: قول النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: «ويل للعرب من شرٍ قد اقترب»، برقم (٧٠٩٥)، ومسلم في «صححه»، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم ياجوج وماجوج، برقم (٢٨٨٠).

قال النووي رحمه الله: «والخبث هو بفتح الخاء والباء، وفسره الجمھور بالفسق والفجور، وقيل المراد: الزنا خاصة، وقيل أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاشي مطلقاً»^(١).

٤. سبب في الهزائم: ففي غزوة أحد أمر النبي ﷺ الرُّمَاه بملازمة الجبل قائلاً: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهُرْنَا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموه ظهروا علينا فلا تعينونا»^(٢)، لكنهم خالفوا أمره ونزلوا من على الجبل فحلّ بهم ما حلّ.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبَّتُكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبَّتُمْ مَشَّلِيهَا قُلْمُّ أَنَّ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِنِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أي: بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتم، يعني بذلك: الرماة^(٣).

وغزوة أحد لم تكن هزيمة - والله تعالى أعلم - ولكن ذكرتها للتدليل على أن عصيان أمرٍ من أوامر الرسول ﷺ القائد في تلك المعركة أدى إلى إعمال القتل في أصحاب الحبيب ﷺ، لكن علينا النظر في هزائمنا المعاصرة، وقد ابتعدت المجتمعات الإسلامية عن دينها وكتاب ربها.

٥. سبب للخسف والزلزال والسيول العارمة والفيضانات التي تدمر البلد وتغرق، القرى والمدن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «في هذه الأمة خسف ومسخ وقدف، إذا ظهرت القيان والمعاذف، وشربت الخمور»^(٤)، وكما حصل لذلك الرجل الذي أخبر عنه الرسول ﷺ فقال: «بينما رجل يجرّ إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيمة»^(٥).

(١) النووي، «شرح صحيح مسلم»، ج ١٨، ص ٣.

(٢) أخرجه البخاري في « صحيح »، كتاب: المغازى، باب: غزوة أحد، برقم (٤٠٤٣).

(٣) ينظر: ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ج ٢، ص ١٥٩.

(٤) أخرجه الترمذى في «سننه»، كتاب: الفتن، باب: ما جاء في علامه حلول المساخ والخسف، برقم (٢٢١٢). صحة الشيخ الألبانى.

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه »، كتاب: اللباس، باب: من جر ثوبه من الخلياء، برقم (٥٧٨٩)، ومسلم في « صحيحه »، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم التبغتر، برقم (٢٠٨٨).

٦. إهلاك الدواب: قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهِيرَهَا مِنْ دَآبَتَهُ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمٌّ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

قال الفرطبي رحمه الله: «﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ يعني: من الذنب، ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهِيرَهَا مِنْ دَآبَتَهُ﴾، قال ابن مسعود رضي الله عنه: يريد جميع الحيوان، مما دبّ ودرج، قال قتادة: وقد فعل ذلك زمن نوح عليه السلام»^(١).

ولذلك فإن آثار الخسran كبيرة على الفرد ومجتمعه وأمته، بل وعلى الأرض والبحر، قال تعالى: ﴿ظَاهَرَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال ﷺ: «وأن العبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»^(٢).

(١) الفرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ج ١٤، ص ٣٦١.

(٢) أخرجه مسلم في «صححه»، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في مستريح ومستراح منه، برقم (٩٥٠)(٦١).

ثانياً: آثار الخسران في الآخرة:

خسران الآخرة هو الخسران الذي لا ينفع معه شيء والعياذ بالله وأول هذه الآثار هو:

١. تعذيب الخاسر في قبره:

قال تعالى: ﴿الَّتَّارُ يُرَصُّوْنَ عَيْنَاهَا عُدُواً وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخُلُوا إَلَى فِرْعَوْنَ أَشَدَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وعن تخصيص وقت العذاب بالغدو والعشي، يُعلّم المفسرون ذلك بأنه: إما لأنهم يُعذبون في غيرها بجنس آخر، أو: يخفف عنهم، أو يكون عبارة عن الدوام، وكل هذا في عالم البرزخ، والله أعلم^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا»^(٢)، وعن ابن عباس أنه قال: «مَرَّ النَّبِيُّ عَلَى قَبْرِيْنَ فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ»^(٣).

٢. تعذيب الخاسر في الآخرة:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا نَفَسُكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شَدِيدٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتُهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيرٍ سَمُّوا لَهَا تَغْيِطًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيْقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا نَدْعُوا إِلَيْهِ ثُبُورًا وَجَدًا وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا * قُلْ أَذْلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَلِيلِ الَّتِي وُعِدَ الْمُنْفَوْنَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْوُلًا﴾ [الفرقان: ١٦-١٢].

وهنا سأتحدث عن الخسران الحقيقي، الخسران الذي لا يمكن تعويضه، إذ أن خسران شيء في الدنيا من مال أو جاه أو تجارة يمكن تعويضه، فالوقت لم يفت، وال عمر لم ينفد، فإذا ما حللت المنية،

(١) ينظر: ابن عجيبة، «البحر المديد»، ج٦، ص٣١١، وقد تناول الفخر الرازي تفسير الآية بالتفصيل، ينظر: الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج٩، ص٥٢١ - ٥٢٢.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيح»، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر، برقم (٢٨٦٧) (٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه»، كتاب: الوضوء، باب، برقم (٢١٨)، ومسلم في « صحيحه»، كتاب: الطهارة، باب: الدليل على نجاسته البول ووجوب الاستبراء منه، برقم (٢٩٢) (١١١).

وانتهى الأجل، وجاء الحساب، في ذلك اليوم يفر الماء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، ولا تستطيع أن تأتي بحسنة لترجح بها في ميزانك، ﴿فَمَمَّا مَنْ نَكْلَتْ مَوَازِينُهُ، * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَمَمَّا مَنْ حَكَتْ مَوَازِينُهُ، * فَأُمُّهُ، هَارِيَةٌ * وَمَا أَدْرَكَ مَا هِيَةٌ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

٣. خسارة النفس في الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعَرَّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْمَلُونَ عَوْجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كُفَّارٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ١٨ - ٢٢].

في هذه الآيات الكريمة يتبيّن لنا أنه تعالى قبل أن يحكم على قوم بالخرسان في الآخرة يذكر لهم صفات استحقوا بها الخسان، منها أنهم استوجبو غضب الله، واستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وأن الله تعالى حرّمهم الهدية، وطبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وجعلهم من الغافلين عما سيلحق بهم من العذاب الأليم يوم الدين، هذه الصفات هي التي كانت سبب الخسان، والمانع لهم عن الفوز بالخيرات والسعادات، «ومعلوم أنه تعالى إنما أدخل الإنسان الدنيا ليكون كالناجر الذي يشتري بطاعاته سعادات الآخرة، فإذا حصلت هذه الموانع العظيمة عظم خسانه، فلهذا السبب قال: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾»^(١).

ولما كان المقام جديراً بالمبالغة في وصفهم بالخسارة، أعاد الضمير للتبني على عظم خسانهم، فقال: ﴿هُم﴾، أي: خاصة، ﴿الْأَخْسَرُونَ﴾، أي: الأكثرون خساناً من كل من يمكن وصفه بالخسان^(٢).

ويلاحظ في الآية الكريمة أنه تعالى قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾، ولم يقل: (خسروا أنفسهم وأهليهم)، كما سيأتي معنا عند الحديث عن خسارة النفس والأهل جميعاً، حيث إنها الخسان المبين، ولكن خسارة النفس ليست بالأمر اليسير، بل هي أفدح خسارة كما قال سيد قطب: «فالذي يخسر نفسه لا

(١) الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ٧، ص ٢٧٧.

(٢) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٣، ص ٥١٦.

يفيد شيئاً مما كسب غيرها، وأولئك خسروا أنفسهم فأضاعوها في الدنيا، لم يحسوا بكرامتهم الآدمية التي تتمثل في الارتفاع عن الدينونة لغير الله من العبيد، كما تتمثل في الارتفاع عن الحياة الدنيا، والتطلع مع المتعاب بها إلى ما هو أرقى وأسمى، وذلك حين كفروا بالأخرة، وحين كنبوا على ربهم، غير متوقعين لقاءه، وخسروا أنفسهم في الآخرة بهذا الخزي الذي ينالهم، وبهذا العذاب الذي ينتظرون، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، أي: وغاب عنهم فلم يهتد إليهم، ولم يجتمع عليهم ما كانوا يفترضونه من الكذب على الله، فقد تبدد وذهب وضاع، قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾، الذين لا تعدل خسارتهم خسارة، وقد أضاعوا أنفسهم دنيا وأخرى^(١)، ولا خسان أعظم من خسان النفس^(٢).

وفي آية أخرى يخبرنا ربنا عن خسارة النفس في الآخرة والعياذ بالله، فالمرء يحاول أن يجمع لنفسه؛ فإذا خسر ذات نفسه فما الذي يبقى له؟^(٣): قال تعالى: ﴿وَمَنْ حَفِظَ مَوْرِيزْمَهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا بِعَائِتَنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩].

معنى ﴿خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾، أي: «فقدوا فوائداتها، فإن كل أحد يرجو من موهابته، وهي مجموع نفسه، أن تجلب له النفع وتدفع عنه الضر بالرأي السديد، وابتکار العمل المفيد، وتقوس المشركين قد سولت لهم أعمالاً كانت سبب خفة موازين أعمالهم، أي: سبب فقد الأعمال الصالحة منهم، فكانت نفوسهم كرأس مال التاجر الذي رجا منه زيادة الرزق فأضاعه كله فهو خاسر له، فكذلك هؤلاء خسروا أنفسهم إذ أوقعتهم في العذاب المقيم»^(٤).

ومن لطيف الآية أنها تحكم على من خفت موازينه بالخسان، وكان هناك عملية تجارية ببيع وشراء - كما المحت قبل قليل - قد تمت في زمن ومكان، كانت نتيجتها أنه خاسر، ولم يوصف شيء في القرآن الكريم بالربح إلا التجارة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْأَصْلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَحِكَتْ يَحْرَثُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهَتَّدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، وهذا يؤكد ما قيل من أن حياة الإنسان في هذه الدنيا صفة والكيس من ربح فيها، وهذا ما يعبر عنه التيسابوري بقوله: «ما كانوا مهتدين لطرق التجارة؛ لأن مطلوب التاجر في

(١) سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٤، ص ١٨٦٨.

(٢) ينظر: ابن عطية، «المحرر الوجيز»، ج ٧، ص ٢٦٦، وأبو حيان، «البحر المحيط»، ج ٦، ص ١٣٨.

(٣) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٣، ص ١٢٦١.

(٤) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ٨، ص ٢٥.

متصرفاته شيئاً: سلامة رأس المال، والربح، وهو لا قد أضاعوا الطلبتين معاً؛ لأن رأس مالهم كان هو الهوى، فلم يبق لهم مع الضلاله، والضلاله أمر عددي، فلا عوض ولا معوض، فلا ربح ولا رأس المال»^(١).

ومشهد آخر من مشاهد الخسران في الآخرة:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخْنَا فِي الْصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ يَتَّهَمُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ * تَلْفُخُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَلِبُوْنَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٤].

اقتصر على كلام السعدي إذ قال: «كل خسارة غير هذه الخسارة فإنها بالنسبة إليها سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة، لا يجر مصابها، ولا يستدرك فانتها، خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية، قد خسر نفسه الشريفة، التي يمكن بها من السعادة الأبدية، ففوتها هذا النعيم المقيم، في جوار الرب الكريم»^(٢).

٤. ومن مظاهر الخسران في الآخرة أيضاً: حمولة كاسدة فاسدة، تظهر للإنس والجان، إلا ساء ما جاؤوا به.. إلا ساء ما يحملونه.. إلا ساء ما يزرون..

قال تعالى: ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَعْتَدَ قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرِزُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

إنهم أولئك الكفار، الذين أنكروابعث والحساب، فقد خسروا أعز شيء في هذه الحياة، ومن مظاهر ذلك أنهم خسروا الرضا الذي سيناله المؤمنون من ربهم، وخسروا العزاء الروحي الذي يغرس في قلب المؤمن الطمأنينة والصبر عند البلاء؛ لأن المؤمن يعتقد أن ما عند الله خير وأبقى، بخلاف الكافر فإن الدنيا متتهى آماله^(٣).

(١) النيسابوري، «غرائب القرآن ورغمات الفرقان»، ج ١، ص ٢٣٤.

(٢) السعدي، «تيسير الكريم الرحمن»، ج ١، ص ٥٥٩.

(٣) ينظر: محمد طنطاوي، «التفسير الوسيط»، ج ٥، ص ٦٣.

وقال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ يَنْفَضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيَثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

وفي هذا الخسان مظاهر: أحدها: أنهم خسروا نعيم الجنة؛ لأنه لا أحد إلا وله في الجنة أهل ومنزل، فإن أطاع الله وجده، وإن عصاه ورثه المؤمنون - كما مر معنا -، وثانيها: أنهم خسروا حسناتهم التي عملوها؛ لأنهم أحبطوها بکفرهم فلم يصل لهم منها خير ولا ثواب، وثالثها: أنهم إنما أصرروا على الكفر خوفاً من أن تفوتهم اللذات العاجلة، ثم هي تفوتهم عند موتهم بحكم انتقامه هذه الدنيا الفانية^(١).

قال القفال رحمة الله: «وبالجملة، إن الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل عملاً لا يجزي عليه فيقال له: خاسر، كالرجل الذي إذا تعنى وتصرف في أمر فلم يحصل منه على نفع، قيل له: خاب وخسر؛ لأنه كمن أعطى شيئاً ولم يأخذ بإنائه ما يقوم مقامه، فسمى الكفار الذين يعملون بمعاصي الله خاسرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العرس: ٢ - ٣]، وقال: ﴿قُلْ هَلْ تُسْتَعِنُ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا * الَّذِينَ صَلَّ سَعَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤ - ١٠٣]، والله أعلم»^(٢).

آخر مظاهر الخسان في الآخرة:

٥. الخسان المبين؛ خسان خير الدنيا وخير الآخرة جميماً:

وهذا الحديث ليس عن خسانٍ جانبٍ دون جانبٍ، بل هو خسانٌ عامٌ، يشمل كل الجوانب وال المجالات، خسان الدنيا والآخرة جميماً، خسان مبين..

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُوْتِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

معنى هذا الاتخاذ: أن الإنسان إذا فعل ما أمره الشيطان وترك ما أمره الرحمن، صار بذلك كأنه اتخذ الشيطان ولیاً لنفسه وترك ولایة الله^(٣).

(١) ينظر: الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ١، ص ٣٧٥.

(٢) الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ١، ص ٣٧٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٢٤.

قال الراغب: «لقد استعمل القرآن الكريم الخسر في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا - وهو الأكثر - وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب، وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين»^(١); لذلك فإن وصف الخسران بأنه مبين، يعني أن ذلك الخسران في غاية الظهور والرداة بما تعطيه صيغة الفعلان؛ لأنه تولى من لا خير عنده^(٢).

وبما أن طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة، الخالصة عن شوائب الغرر، وطاعة الشيطان تفید المنافع المنقطعة المشوبة بالغموم والأحزان والألام، والجمع بينهما مستحيل، فمن رغب عن ولایة الله فقد فاته أشرف المطالب وأجلها بسبب أحسن وأحرق المطالب وأدنها، ولا شك أن هذا هو الخسار المطلق، الخسار المبين، الواضح الجلي الذي لا يخفى على أحد، فوعدهم من الشيطان ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الْشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، ووعيدهم من الجبار ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا نَعِيشًا﴾ [النساء: ١٢١]، وأي خسار بعد هذا!!^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ بِهِ فَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

لقد جاءت هذه الآية توضح لنا أثراً آخر من آثار خسران الدنيا والآخرة جميعاً، إنه أثر من يعبد الله على طرف من الدين، لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فان أحـس بغمـيمة قـر واطـمان، وإلا فـر وـطار على وجهـه^(٤)، فـهـذا الـذـي يـعـبـدـ اللهـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـالـ فـقـدـ جـمـعـ عـلـىـ نـفـسـهـ خـسـارـتـيـنـ، خـسـارـةـ الدـنـيـاـ، بـسـبـبـ دـعـمـ حـصـولـهـ عـلـىـ مـاـ يـرـيدـهـ مـنـهـ، وـخـسـارـةـ الـآخـرـةـ بـسـبـبـ اـرـتـدـادـهـ إـلـىـ الـكـفـرـ وـغـشـيـانـ السـيـئـاتـ، وـذـلـكـ الـذـيـ جـمـعـهـ عـلـىـ نـفـسـهـ هـوـ الـخـسـرـانـ الـواـضـحـ، الـذـيـ لـاـ يـنـازـعـ فـيـ شـائـهـ عـاقـلـانـ، إـذـ لـاـ خـسـرـانـ أـشـدـ وـأـظـهـرـ، مـنـ الـخـسـرـانـ الـذـيـ ضـيـعـ دـنـيـاهـ وـآخـرـتـهـ^(٥).

(١) الراغب، «المفردات»، ص ١١٣.

(٢) ينظر: البقاعي، «نظم الدرر»، ج ٢، ص ٣٢١.

(٣) ينظر: الفخر الرازي، «مفاتيح الغيب»، ج ٤، ص ٢٢٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ج ٨، ص ٢٠٨.

(٥) ينظر: طنطاوي، محمد سيد، «التفسير الوسيط لقرآن الكريم»، نهضة مصر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج ٩، ص ٢٨٥.

وقيل: «خسران الدنيا ذهاب أهلها حيث اصابته فتنة، وخسران الآخرة الحرمان من الثواب حيث ذهب الدين ودخل النار مع الداخلين»^(١)، وقيل: «الخسران في الدنيا ترك الطاعات ولزوم المخالفات، والخسران في الآخرة كثرة الخصوم والتبعات»^(٢).

وكل هذه الأقوال التي ذكرها المفسرون ما هي إلا تمثيل - وغيرها كثير - لآثار الخسران في الدنيا والآخرة على حد سواء.

ويعرف ابن عاشور الخسران في هذه الآية على أنه: «تلف جزء من أصل مال التجارة؛ فشبّه نفع الدنيا ونفع الآخرة بمال التاجر الساعي في توفيره؛ لأن الناس يرغبون تحصيله، وثنى على ذلك إثبات الخسران لصاحبه الذي هو من مرادفات مال التجارة المشبه به، فشبّه فوات النفع المطلوب بخسارة المال»^(٣).

ووصف الخسران بأنه مبين، أي: الذي فيه ما يبين للناس أنه خسران بأدنى تأمل، والمراد أنه خسران شديد لا يخفى على أحد^(٤).

وانظر إلى بلاغة الآية حيث جيء باسم الإشارة ﴿ذلِك﴾؛ لزيادة تمييز المسند إليه أتم تمييز، لتقرير مدلوله في الأذهان، وضمير ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل، والقصر المستفاد من تعريف المسند قصر ادعائي؛ ادعى أن ماهية الخسران المبين انحصرت في خسرانهم، والمقصود من القصر الإدعائي: تحقيق الخبر ونفي الشك في وقوعه، وضمير الفصل أكد معنى القصر، فأفاد تقوية الخبر المقصور^(٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُحْلِسًا لَهُ دِينِي * فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُ مِنْ دُونِنِي﴾ قُلْ إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ قَوْقِهِمْ ظُلْلٌ مِنْ النَّارِ وَمَنْ تَحِمِّلُهُمْ ظُلْلٌ﴾

(١) البروسي، «روح البيان»، ج ٢، ص ١٧.

(٢) المرجع السابق، نفس الموضع.

(٣) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ١٧، ص ١٥٥.

(٤) المرجع السابق، ج ١٧، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٥) المرجع السابق، ج ١٧، ص ١٥٤ - ١٥٥.

ذَلِكَ يُحَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَانْتَهُونَ ﴿[الزمر: ١٣ - ١٦].﴾

بعد الفرق بين الحق والباطل وإحقاق العبودية لله وحده وتقريرها على لسان خير البشر، قل: إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل: الله أعبد مخلصاً له ديني،.. ثم زجر وتخويف: فاعبدوا ماشنتم من دونه، بعد هذا الفرق والتقرير والتأكيد؛ جاء الزجر والتخويف وتكرر، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ أَلَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾، وبيان ذلك: أنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده البتة، وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿يَتَآمَّلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]﴾.^(١)

قال الزمخشري: «وصف الله تعالى خسرانهم بغایة الفظاعة في قوله تعالى: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التبيه، ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرف الخسران ونعته بالمبين»^(٢).

وقال ابن عاشور: «أعقب أمر التسوية^(٣) في شأنهم بشيء من الموعظة، حرصاً على إصلاحهم على عادة القرآن، ولوحظ في إبلاغهم هذه الموعظة مقام ما سبق من التخلية بينهم وبين شأنهم، جمعاً بين الإرشاد وبين التوبیخ، فجيء بالموعظة على طريق التعریض والحديث عن الغائب، والمراد المخاطبون ..

.. ولما كان الكلام مسوقاً بطريق التعریض بـ ﴿الَّذِينَ﴾، دار الجدال معهم من قوله: ﴿إِن تَكُفُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّيْ عَنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَعْبُدُهُو مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٧ - ١٥]، علم أن المراد بالذين خسروا أنفسهم وأهليهم هم الذين جرى الجدال معهم، فأفاد معنى: إن الخاسرين أنتم، إلا أن وجه العدول عن الضمير إلى الموصولة في قوله: ﴿الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾؛ لإدماج وعيدهم بأنهم يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيمة..

(١) ينظر: الفخر الرازى، «مفاتيح الغيب»، ج ٩، ص ٤٣٣، وسيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٥، ص ٤٣٠.

(٢) الزمخشري، «الكاف»، ج ٤، ص ١١٩، وينظر: الفخر الرازى، «مفاتيح الغيب»، ج ٩، ص ٤٣٣، وابن عجيبة، «البحر المديد»، ج ٦، ص ٢٤٨ - ٢٤٩، والشوكانى، «فتح القدير»، ج ٤، ص ٦٤٨.

(٣) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَعْبُدُهُو مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٥]، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلَيَؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلَيَكُفُّرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ شَرَادُهَا ...﴾ [الكهف: ٢٩].

.. فقوله: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ استئناف هو بمنزلة الفذلقة والنتيجة من الكلام السابق، لأن وصف ﴿الَّذِينَ حَسِرُوا﴾ بأنهم خسروا أحب ما عندهم، وبأنهم الذين انحصر فيهم جنس الخاسرين، يُستخلص منه أن خسارتهم أعظم خسارة وأوضحتها للعيان، ولذلك أوثرت خسارتهم باسم الخسران، الذي هو اسم مصدر للخسارة دال على قوة المصدر والمبالغة فيه﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَسَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْرَأَهُمْ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلَلُوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٤٠].

ماذا خسروا؟ خسروا الخسارة المطلقة، خسروا في الدنيا وخسروا في الآخرة، خسروا أنفسهم وخسروا أولادهم، خسروا عقولهم وخسروا أرواحهم، خسروا الكرامة التي جعلها الله لهم، بإطلاقهم من العبودية لغيره؛ وأسلموا أنفسهم لربوبية العبيد؛ حين أسلموها لحاكمية العبيدي! وقبل ذلك كله خسروا الهدى بخسارة العقيدة، خسروا الخسارة المؤكدة، وضلوا الضلال الذي لا هداية فيه﴾^(٢).

إلا أن هذه الآية الكريمة لا تذكر لفظاً خسارة النفس والأهل والدنيا والآخرة، ولكنها تؤكد ذلك في طيات معانيها، فقد حرموا ما رزقهم الله، وما ذلك إلا خسران، ومن ثم ضلوا، فحرموا الفوز في الآخرة مما هم إلا خاسرون، أكد وحقق ذلك صدر الآية، وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ حَسِرَ﴾.

فالخسران المبين كما جاءت الآيات تتحدث عنه: خسران النفس والأهل، وخسران الدنيا وخسران الآخرة، وهل هناك أحسن من خسر كل ما يمكن أن يُخسر، إنه الخسران المبين، أعادنا الله وإياكم منه.

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ج ٤، ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) ينظر: سيد قطب، «في ظلال القرآن»، ج ٣، ص ١٢٢.

خاتمة

بنتائج والتوصيات

بعد حمد الله سبحانه وتعالى الذي أعانتني على إكمال هذه الدراسة، وله الفضل في ذلك والمئّة، لا يسعني إلا أن أدوّن خاتمةً بأهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وهي على النحو التالي:

أولاً: تعريف منهج القرآن في عرض قضایا الفوز والخسران هو: الطريق الواضح البین، الذي سلكه القرآن الكريم في التّبییر عن الفوز والخسران، بأساليب متعددة؛ للوصول إلى حقيقتهما القاطعة.

ثانياً: معنى الفوز لغة: النّجاة والظفر بالخير والأمنية - وهو الذي يعنيها في دراستنا - والهلاك من فوز، والصحراء من المفازة. معنى الخسران لغة: الضلال والهلاك والقصاص.

ثالثاً: معنى الفوز اصطلاحاً: الظفر بالحاجة والطلبة وحصول والبغة والربح المرغوب المحبوب، والنّجاة من المرهوب، بالرّحمة عن النار ودخول جنة الله ورضوانه. معنى الخسران اصطلاحاً: ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي ودخوله النار.

رابعاً: الفوز والخسران نوعان: فوز دنيوي ويكون بالظفر بالسعادة التي تطيب بها الحياة الدنيا، كالغنى والجاه والعز والصحة والبركة والقبول في الأرض. وفوز آخر وهي ويكون ببقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، في جنات الخلد التي أعدّها الله لعباده الفائزين. وخسران دنيوي، ويكون بفساد قلب الخاسر وانتكاسه، وعدم توفيق الله له، وخسران آخر وهي ويكون بخسارة نفسه وأهله ومكانته في الجنة بنزول من حميم.

خامساً: للفوز ألفاظ مشابهة كالفلاح والسعادة والربح، كما للخسران ألفاظ مشابهة كالخيبة، والشقاء، والحبوط.

سادساً: كان حديث القرآن الكريم عن الفوز والخسران كالتالي:
- وردت صيغة الفعل الماضي المفرد «فاز» في القرآن الكريم مررتين، في سورتين مدنبيتين هما:
آل عمران، والأحزاب.

- وردت صيغة الفعل المضارع «أفوز» في القرآن الكريم مرة واحدة، في سورة النساء المدنية.
- وردت صيغة المصدر «فوز» في القرآن الكريم، تسع عشر مرة، في ثمان سور مدنية؛ هي: النساء، المائدة، التوبة، الأحزاب، الفتح، الحديد، الصف، والتغابن، ووردت في سبع سور مكية؛ هي: الأنعام، يونس، الصافات، غافر، الدخان، الجاثية، والبروج.
- وردت صيغة جمع المذكر السالم «فائزون» في القرآن الكريم أربع مرات، في ثلاثة سور مدنية؛ هي: التوبة، النور، والحضر، وسورة المؤمنون.
- وردت صيغة المصدر الميمي «مفاز» في القرآن الكريم ثلاثة مرات، في سورة مدنية؛ هي: آل عمران، وفي سورتين مكيتين؛ هما: الزمر والنبا.
- وردت صيغة الفعل الماضي «خسر» في القرآن الكريم ثلاثة عشر مرة، في سورتين مدنيتين، هما: النساء، والحج، ووردت في ست سور مكية، هي: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، المؤمنون، وهود.
- وردت صيغة الفعل المضارع «يخسر» في القرآن الكريم ثلاثة مرات، في ثلاثة سور مكية، هي: الجاثية، الرحمن، والمطففين.
- وردت صيغة المصدر «خسر» في القرآن الكريم مرتين، في سورة مدنية؛ هي الطلاق، وسورة مكية؛ هي العصر.
- وردت صيغة المصدر السماعي «خسار» في ثلاثة مواضع، كانت جميعها في سور مكية، هي: الإسراء، فاطر، ونوح.
- وردت صيغة المصدر السماعي «خسان» في القرآن الكريم ثلاثة مرات، في سورة مكية؛ هي الزمر، وفي سورتين مدنيتين هما: النساء والحج.
- وردت صيغة اسم الفاعل من «خَسِرَ» للجمع تسعاً وعشرين مرة؛ ورد ذكر اسم الفاعل: خاسرون: في حالة الرفع في خمس سور مدنية؛ هي: البقرة، الأنفال، التوبية، المجادلة، والمنافقون، وورد في أربع سور مكية؛ هي: الأعراف، النحل، العنکبوت، والزمر.
- وردت صيغة اسم الفاعل «خاسرين» في حالة النصب والجر، ثمان عشر مرة، في ثلاثة سور مدنية؛

هي: البقرة، آل عمران، والمائدة، ووردت في سبع سور مكية؛ هي: الأعراف، يونس، هود، الزمر، فصلت، الشورى، والأحقاف.

- وردت صيغ أ فعل التفضيل في القرآن الكريم أربع مرات: في ثلاثة سور مكية؛ هي: هود، الأنبياء، والنمل.

سابعاً: سورة العصر، سورة عظيمة جليلة، جمعت شَمْلُ أسباب الفوز في آية واحدة، فكانت ميزاناً للأعمال، يَزِّنُ المؤمن بها نفسه، فيبيئُ له بها ربه من خسرانه، وجاءت منهجاً كاملاً للحياة البشرية كما يُريد لها الإسلام، وجاءت ترسم الطريق الصحيح، الذي ينتهي بمن سلكه إلى الفوز والربح، حتى إن الشافعي رضي الله عنه قال في سورة العصر: «لو تدبَّر الناسُ هذه السورة لوسعتهم»، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي حُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

ثامناً: أعظم أسباب الفوز هي:

- الإيمان، ويتمثل بأهم قيمه وهي: التوحيد، ومكارم الأخلاق، والعلم.
- العمل الصالح المقترن بالإيمان، المتوع و المتعدد.
- التواصي بالحق والصبر.

أهم أسباب الخسران هي:

- الكفر بالله والشرك به، والصد عن سبيله.
- اتخاذ الشيطان ولیاً من دون الله تعالى.
- طاعة الكفار والرُّكُون إليهم.
- عبادة الله على حرف، وطاعته على حسب المصلحة.
- الاشتغال بالأهل والأموال والأولاد عن طاعة الله وحسن عبادته.
- التكذيب بلقاء الله.

تاسعاً: مظاهر الفوز في الدنيا: الحياة الطيبة، والبشرى. أما مظاهر الخسران في الدنيا: هوان العبد على ربه، الذل، استحواذ الشيطان عليه، استخفافه بالذنوب.

عاشرًا: آثار الفوز في الدنيا: الحصول على الخيرات، والاستخلاف والتمكين. أما آثار الفوز في الآخرة: البشري، الخيرات، إلحاق من صلح من آباء وأزواج وذريات المؤمنين بهم في جنات النعيم، والفوز الكبير.

آثار الخسران على الفرد في الدنيا: فساد القلب، الختم على القلب، إظلام القلب، سوء الخاتمة عند الموت.

أما آثار الخسران على المجتمع في الدنيا: إهلاك الأمم، إزالة النعم وحلول النقم مكانها، سلب عافية الأبدان، سبب في الهزائم، وإهلاك الدواب.

وأما آثار الخسران في الآخرة: تعذيب الخاسر في قبره، تعذيب الخاسر في الآخرة، حمولة كاسدة فاسدة تظهر للإنس والجان، والخسران المبين.

* التوصيات: أوصي زملائي بمتابعة هذا الجهد من خلال تأليف رسالة جامعية بعنوان: «السعادة والشقاء من منظور قرآني، دراسة موضوعية تحليلية».

وختاماً أسأل الله العلي القدير أن يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفهرس التفصيلية:

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس أطرااف الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام المُتَرَجِّمين

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الصفحات	رقم الآية		اسم السورة	رقم السورة
١٠٠	٥-٤	مدنية	البقرة	٢
٦١	٥			
١٤٦	٧			
١٥٧ ، ٦٦	١٦			
١٢٦ ، ٩٧	٢٥			
١٥٩ ، ٥٥	٢٧			
١٣٤	٣٠			
١١٣	٤٥			
٥٧	٦٤			
٩٧	٨٢			
٥٦	١٢١			
١١٢ ، ١١١ ، ١١٠	١٥٣			
١١٤ ، ١١١	١٥٧ - ١٥٥			
١٠٩	١٧٧			
٧٢	١٨٩			
١١٠	٢١٤			
٦٩	٢١٧			
١٣٣	٢٥٥			
١١٥	١٤	مدنية	آل عمران	٣
٩٢	١٨			
١٢٣	٢١			
٧٩	٢٢			
١٥٠	٥٤			
٥٧	٨٥			
٦٢	٩٨			
٦٢	٩٩			
٦٢	١٠٣-١٠٢			
١٠٧ ، ٦٢	١٠٤			

٣٣	١٠٧ - ١٠٦			
١٠٦	١١٠			
٦٧	١٢٧			
١٠٠ ، ٦٢	١٣٠			
١١٥	١٤٢			
١١٢ ، ١١١	١٤٦			
١١٧ ، ٥٧	١٤٩			
١٥٣	١٦٥			
٣٣	١٦٩			
١٣٠ ، ٣٢ ، ٢٠ ، ١٦	١٨٥			
١١٥	١٨٦			
٤٣ ، ٢١ ، ١٧	١٨٨			
٣٣	١٩٢			
١١٤ ، ١١٢ ، ٦٢	٢٠٠			
٣٥	١٣-١٢	مدنية	النساء	٤
٩٨ ، ٩٧	٥٧			
١٠٦	٥٩			
٣٥	٦٩			
٣٩ ، ٣٤	٧٣			
٣٥	٨٠			
١٥٩ ، ١٤٤ ، ١١٧ ، ٥٥ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٢٥	١١٩			
١٦٠	١٢٠			
١٦٠	١٢١			
١٠٦	١٣٥			
٥٠	١٤٣			
٩٤	١٦٢			
٧٠ ، ٥٨	٥	مدنية	المائدة	٥
١٠٦	٨			
٩٨	٩			
٥٨	٢١			
٥٨	٣٠			

١٠٠ ، ٦٢	٣٥				
٧٠ ، ٥٨	٥٣				
٨٠	٦٩				
١٠٧	٧٩ - ٧٨				
١٠٠ ، ٦٢	٩٠				
٦٢	١٠٠				
٣٦	١١٦				
٣٥	١١٩				
٤٧	٥	مكية	الأنعام	٦	
١٤٧ ، ٣٦	٦				
٣٦	٧				
٥١ ، ٥٠ ، ٣٦	١٢				
٣٦	١٦-١٥				
١٣٠	١٦				
٥٠	٢٠				
٦٢	٢١				
٤٧	٢٢				
٤٧	٢٦				
١٥٨ ، ١٤٤ ، ١١٨ ، ٤٧ ، ٤٦	٣١				
١٤٤	٣٢				
١١٤	٤٥				
٣٦	٥٩				
٣٧	٧٣				
٧٠	٨٨				
٤٧	١٢٨				
٦٣	١٣٥				
١٦٣ ، ١٤٤ ، ٤٦	١٤٠				
٣٧	١٤٢				
٩٨ ، ٦٣	٨	مكية	الأعراف	٧	
١٥٧ ، ٩٨ ، ٥٠	٩				
١٣٤	١٠				

٥٨	٢٣			
	٣٢			
٥١ ، ٥٠	٥٣			
١٣٥	٦٤			
٦٣	٦٩			
٥٨	٩٠			
٦٠ ، ٥٨	٩٢			
١٥١ ، ١٤٨	٩٦			
١٤٨ ، ١٤٤ ، ٥٦	٩٩			
١١٠	١٣٧			
١٣٢	١٤٢			
٧٠	١٤٧			
٥٨	١٤٩			
٦٣	١٥٧			
١٠٧	١٦٥			
١٣٢	١٦٩			
٥٦	١٧٨			
١١٦ ، ٨٩	١٩٩			
١٣٦	٢٦	مدنية	الأنفال	٨
٥٦	٣٧			
٦٣	٤٥			
٤٠	١	مدنية	التوبة	٩
٤٠	٣			
٤٠	١٤			
٧٠	١٧			
٤٠	١٩			
١٣٧	٢٢ - ٢٠			
٣٧	٥٨			
٨١	٦١			
٧٠ ، ٥٦	٦٩			
١٠٦	٧١			

١٤٢ ، ١٣٨ ، ١٣٠ ، ٣٧	٧٢				
١٢١ ، ٦٣	٨٨				
١٤٠ ، ١٣١ ، ٣٧ ، ٢٠	٨٩ - ٨٨				
١٤٥	٩٣				
٣٧	١٠٠				
٣٨	١١١				
٣٧	١١٨-١١٧				
٨٦	١١٩				
٦٣	١٧	مكية	يونس	١٠	
٦٣	٢٣				
٤٧	٢٨				
٤٧	٣٨				
٤٧	٤٠				
٤٦	٤٥				
١٣٩ ، ١٢٣ ، ٨٦	٦٤-٦٢				
١٢١ ، ٣٨	٦٤ - ٦٣				
٦٣	٦٩				
٦٣	٧٧				
٥٨	٩٥				
٩٩	١٠١				
٩٦	١٠٨				
٧٠	١٦	مكية	هود	١١	
١٥٦	٢٢ - ١٨				
١١٧	٢٢-١٩				
٥٠	٢١				
٥٩	٢٢				
١٣٥	٣٧				
٥٨	٤٧				
٦٠	٦٣				
٦٨ ، ٦٥	١٠٥				
٦٨	١٠٦				

٦٥	١٠٨				
٨٠	١٧	مكية	يوسف	١٢	
٨٢	٤٠				
٨٠	٥٤				
٩٣	١٠٨				
١٥١، ٩٠	١١	مدنية	الرعد	١٣	
١٠٩	٢٢				
٩٨	٢٩				
٦٧	١٥	مدنية	إبراهيم	١٤	
٩٧	٢٣				
٤٩	٤٢	مكية	الحجر	١٥	
٨٤	٣٦	مكية	النحل	١٦	
٥٦	٨٣				
١٢١	٩٧				
٥٦	١٠٩-١٠٦				
١٥٢، ١٥١	١١٢				
٦٣	١١٦				
١٤٦	١٧	مكية	الإسراء	١٧	
٢٨	١٩				
١٤٥	٧٢				
٥٤	٧٣				
٥٤	٧٦				
٥٣	٨٢				
٦٣	٢٠	مكية	الكهف	١٨	
١١٤، ١٠٨	٢٨				
١١٦	٦٩ - ٦٦				
١٣٤	٨٤				
١٣٥، ٧٣	٨٥ - ٨٤				
٧٤	٨٦-٨٥				
١٥٩، ٧٠	١٠٤ - ١٠٣				
٦٨	٤	مكية	مريم	١٩	

٦٨	٣٢				
٦٨	٤٨				
١٣٢	٥٩				
١١٤	٦٥				
١٢٥	٩٦				
٦٨	٢	مكية	طه	٢٠	
٦٧	٦١				
٦٤	٦٤				
٦٤	٦٩				
٦٨	١٠٦				
٦٧	١١١				
٩٣	١١٤				
٦٨	١١٧				
٦٨	١٢٣				
١١٣	١٣٢				
٨٤	٢٥	مكية	الأنبياء	٢١	
٦٠	٧٠				
١١١	٨٥				
١٤٠ ، ١٣٩	١٠٣ - ١٠١				
١٣٢	١٠٥				
١٦٠ ، ١٤٤ ، ١١٧ ، ٥٥ ، ٤٩ ، ٤٦	١١	مدنية	الحج	٢٢	
١٢٧	١٨				
١٠٩	٣٥				
١٣٦ ، ١٣٢ ، ١٠٧	٤١ - ٤٠				
١٠١ ، ٦٤	٧٧				
٩٩ ، ٨٥ ، ٦٤	١	مكية	المؤمنون	٢٣	
٩٩ ، ٨٥	١١ - ٢				
٤١	٢٥				
٥٨	٣٤				
٤١	٤٧ - ٤٥				
٩١	٦١				

١٥٨	١٠٤ - ١٠١			
٦٤	١٠٢			
٥٠	١٠٣			
٤١	١١١ - ١٠٩			
٦٤	١١٧			
٤١	٢	مدنية	النور	٢٤
٤١	٤			
٤٢	٢٧			
١٠١ ، ٩٧ ، ٦٤	٣١			
٤٢	٣٥			
١٤٦	٤٠			
٦٤	٥١			
٨٧ ، ٤١ ، ٢٠	٥٢			
١٢١ ، ٩٨	٥٥			
١٣٦ ، ١٣٢	٥٧ - ٥٥			
١٥٥	١٦ - ١٢	مكية	الفرقان	٢٥
٦٩	٢٣			
١١١	٧٥			
١١٦	٧٦-٧٥			
٨٦	١٠٦	مكية	الشعراء	٢٦
١٣٥	١١٨ - ١١٧			
٨٦	١٢٤			
٨٦	١٤٢			
٨٦	١٦١			
٨٦	١٧٧			
٦٠ ، ٢٥	١٨١			
٥٩	٢-١	مكية	النمل	٢٧
٥٩	٥			
١٣٥	١٦ - ١٥			
١٣٥	٦ - ٥	مكية	القصص	٢٨
٦٤	٣٧			

١٣٤	٥٧				
٦٤	٦٧				
٦٤	٨٢				
٨٦	١٦	مكية	العنكبوت	٢٩	
٨١	٢٦				
١٤٧	٤٠				
١١٤	٤٥				
١١٧ ، ٥٧ ، ٢٥	٥٢				
٩٩	٦	مكية	الروم	٣٠	
٦٤	٣٨				
١٥٤ ، ١٤٩	٤١				
٦٥	٥	مكية	لقمان	٣١	
٨٥	١٣				
١١٠	١٧				
١١٠	٢٤	مكية	السجدة	٣٢	
١٠٩	٣	مدنية	الأحزاب	٣٣	
٣٤	١٥				
٧٠	١٩				
٨٩	٢١				
٣٤	٣١				
٣٤	٣٦				
٣٤	٦٦				
٣٩ ، ٣٣	٧١-٦٩				
٨٦	٧١-٧٠				
١٣٠ ، ١٠٠ ، ٢٠	٧١				
٨٣	٧٢				
١٣٥	١٠	مكية	سبأ	٣٤	
٤٩	٢٠				
١٢٧	١٠	مكية	فاطر	٣٥	
٥٤	١٨				
٩٢	٢٨				

٥٤	٣٩				
١٥٤	٤٥				
١٣٣	٤٥	مكية	يس	٣٦	
٣٨	٥-١	مكية	الصافات	٣٧	
٣٨	٥٣-٥٢				
٣٨	٦٨-٦٠				
١٣٥	٢٦	مكية	ص	٣٨	
١٣٥	٤٠ - ٣٥				
١١١	٤٤				
٩٢	٩	مكية	الزمر	٣٩	
١١٣ ، ١١١ ، ٤٣	١٠				
١٦٢	١٥-٧				
١٦١	١٦ - ١٣				
١٦٢ ، ١٤٤ ، ٥٨ ، ٥٥ ، ٢٨ ، ٢٥ ، ٢٢	١٥				
٤٣	٢٠				
١٠٠ ، ٤٣ ، ٢١	٦١				
٥٧	٦٣				
١١٧ ، ٧٠ ، ٥٩	٦٥				
٤٣	٧٣				
١٤١	٩ - ٧	مكية	غافر	٤٠	
٣٨	٩				
١٥٥	٤٦				
١٤٤ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٢٢	٧٨				
١٤٤ ، ٤٧ ، ٢٢	٨٥				
٥٩	٢٣	مكية	فصلت	٤١	
٥٩	٢٥				
١٢٥	٣٠				
١٤٠	٣٢ - ٣٠				
١١٦	٣٥ - ٣٤				
٩٦	١٥	مكية	الشوري	٤٢	
١٥٣	٣٠				

١٤٤ ، ٥٩	٤٥			
٨٠	٥١	مكية	الدخان	٤٤
٣٨	٥٧			
١٢٧	٢٣	مكية	الجائحة	٤٥
٥٢	٢٤			
٥١	٢٧			
١٣٠ ، ٩٧ ، ٣٨ ، ٢٠	٣٠			
٥٩	١٨	مكية	الأحقاف	٤٦
١٤٧	٢٧			
١١٠	٣٥			
٧١	٢	مدنية	محمد	٤٧
٧١	٦٤			
٧٠	٩			
٧١	٢٨			
٧١	٣٢			
١٣٠ ، ٣٩	٥	مدنية	الفتح	٤٨
٧١	٢	مدنية	الحجرات	٤٩
١٠٣	٥٣	مكية	الذاريات	٥١
٨٥	٥٦			
١٤١	٢١	مكية	الطور	٥٢
١٣٥	١٥ - ١١	مكية	القمر	٥٤
٥٢ ، ٢٥	٩	مدنية	الرحمن	٥٥
١٣١	٧٠			
٣٨	١٢	مدنية	الحديد	٥٧
٨٠	١٩			
٨٦	٢٨			
٩٣	١١	مدنية	المجادلة	٥٨
٥٧	١٩			
٦٥	٢٢			
٦٥ ، ٤٢	٩-٨	مدنية	الحضر	٥٩
١٠٠	٩			

٤٢	١١			
٤٢	٢٠-١٨			
١٢٦	٢٠			
٣٩	١٢-١٠	مدنية	الصف	٦١
١٠١،٦٥	١٠	مدنية	الجمعة	٦٢
١٤٦	٣	مدنية	المنافقون	٦٣
١١٧،٥٧	٩			
٩٧،٣٩	٩	مدنية	التغابن	٦٤
٦٥	١٦			
٥٣	٩-٨	مدنية	الطلاق	٦٥
١٤٤،٥٣	٩			
١٦٢،١٥٥،١٠٥	٦	مدنية	التحرير	٦٦
٨٢	٢٢	مكية	الملك	٦٧
٨٩،٨٨	٤	مكية	القلم	٦٨
١١٦،١٠٩	٢١ - ١٩	مكية	المعارج	٧٠
٥٤	٩ - ٥	مكية	نوح	٧١
١٤٦	١٣			
٥٤	٢١			
٥٥	٢٦			
١٥٢،١٤٩	١٦	مكية	الجن	٧٢
٨٣	٤٤ - ٤٢	مكية	المدثر	٧٤
١٠٨	٢	مدنية	الإنسان	٧٦
٤٤	٢٢-٢١	مكية	النبا	٧٨
١٠٠،٢١	٣١			
١٧	٣٢ - ٣١			
٤٤	٣٦-٣١			
٢٢	١٢	مكية	النازعات	٧٩
٥٢،٢٥،٢٢	٣	مكية	المطففين	٨٣
٥٢	٤			
٩١	٢٦			
١٢٢	٦	مكية	الإنشقاق	٨٤

١٤٣	١٠	مكية	البروج	٨٥
١٤١ ، ١٣٠ ، ٩٧ ، ٣٩ ، ٢٠	١١			
٦٩	١١	مكية	الأعلى	٨٧
٩٠ ، ٦٥	١٤			
٩٠	١٥			
٩٠ ، ٦٥	٩	مكية	الشمس	٩١
٩٠ ، ٦٧	١٠			
٦٩	١٢			
١٢٤	١٠ - ٥	مكية	الليل	٩٢
٦٩	١٥			
٩٨	٧	مدنية	البيئة	٩٨
١٥٦	١١ - ٦	مكية	القارعة	١٠١
١١٥ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ٧٥ ، ٥٣ ، ٢٨ ، ١ ١٥٩ ، ١٤٤	٣ - ١	مكية	العصر	١٠٣
٨٠	٤	مكية	قرיש	١٠٦
٨٣	٣ - ١	مكية	المعون	١٠٧
٨٤	١	مكية	الإخلاص	١١٢

* * *

فهرس أطراط الأحاديث النبوية والآثار

١١٥	اتقى الله واصبري.....
٩٣	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة
١٢٤	اعملوا فكل ميسرا
٢٨	أمسك عليك لسانك
٨٩	أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة
٩٣	إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً
١١٣	إن عظم الجزاء مع عظم البلاء
٩٨	إن الله زوى لي الأرض
١٣٨	إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة
١٢٨	إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل
٨٩	إن من أحبوك إلي وأقربوك مني مجلساً
٩١	إن من خياركم أحسنكم خلقاً
١٥٥	إن هذه الأمة تُبتلٰ في قبورها
١٥٥	إنهما ليعذبان
١٣٣	آية المنافق ثلاثة
١٢٤	البشرى هي الرؤيا الصالحة
١٥٣	بينما رجل يجر إزاره
١٢٥	ذلك عاجل بشري المؤمن
١٣٩	حفت الجنة بالمكاره
١٣٩	الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
١٠٧	الدين النصيحة
٩٤	علم لا ينفع

١٥٣.....	في هذه الأمة خسف ومسخ وقدف
٨٩.....	كان خلقه القرآن.....
١٥٢.....	لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب.....
١٥٣.....	لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا.....
٩٤.....	لا تتعلموا العلم لتباها به العلماء.....
١٣٣.....	لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.....
١٢٢.....	اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً.....
١١٦.....	المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم.....
١١١-١١٠.....	ما أحد أصبر على أذى.....
١١٥.....	ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في ولده وماله.....
١٠٧.....	مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم.....
٩٤.....	من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله.....
١٠٦.....	من رأى منكم منكراً فليغيره.....
٩٤.....	من طلب العلم ليُماري به السفهاء.....
٩٣.....	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.....
١٢٥.....	الميت تحضره الملائكة.....
٨٠.....	النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت.....
١٥٢.....	يا معاشر المهاجرين.....

فهرس الأعلام الْمُتَرَجِّمِينَ

١٦	الأصمعي، عبد الملك بن قریب بن علي.....
١٦	ابن الأعرابی، محمد بن زياد.....
٢٣	البغوي، الحسين بن مسعود
٧٦	البَقَاعِي، إِبْرَاهِيمَ بْنُ عُمَرَ بْنَ حَسْنَ الرُّبَاطِ
١٩	الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر
١٤٣	الحسن البصري، الحسن بن أبي الحسن البصري.....
٢٣	ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد
١٦	الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل
٢٢	الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل
٢٤	السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله
١٢٦	أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي.....
٣٢	سيد بن قطب بن إبراهيم
١٨	الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد
٧٣	ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور.....
١٤٨	ابن عامر، عبد الله بن عامر بن يزيد
١٩	ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن
١٣	ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا.....
١٧	الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور
٨٩	القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر
١٣٠	ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب
١٨	ابن كثیر، إسماعيل بن كثیر
١٥	كعب بن زهير
٢٤	الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري.....
١٤٥	ابن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح
١٣	المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكابر
١٧	ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي
١٠٤	النيسابوري، الحسن بن محمد بن الحسين القمي

فهرس المصادر والمراجع

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠ هـ)، *روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ٣٠ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبادى، عبد الجبار بن أحمد الأسد (ت ٤١٥ هـ)، *الأصول الخمسة*، ط١، (تحقيق: د. فيصل بدیر عون)، مجلس النشر العلمي، الكويت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ)، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، ٥ م، (تحقيق: طاهر أحمد الزهراوى، ومحمد محمد الطناجي)، المكتبة الإسلامية.
- الإبراهيم، أبد محمد الطيب، *إعراب القرآن الكريم*، ط٢، دار النافس، عمان، الأردن، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- الأزدي، عبد الله بن يوسف، *فصول من الأخلاق الإسلامية*، ط١، دار الأندلس، حائل، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الأزهري، أبو منصور بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، *تهذيب اللغة*، ط١، ١٥ م، (تحقيق: محمد عوض مرعوب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، *مسند أحمد*، ط١، ٥٠ م، (تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط وأصحابه)، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- أحمد خليل جمعة، الصبر والصابرون في القرآن العظيم والسنة النبوية، ط١، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- أطفيش، محمد بن يوسف (ت ١٩١٤ م)، *تيسير التفسير*، ١٥ م، سلطنة عمان، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)، *الأدب المفرد*، ط٣، (تحقيق: محمد فواد عبد الباقي)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- صحيح البخاري: *الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه*، ط١، ٤ م، (ترقيم: محمد فواد عبد الباقي)، دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى (ت ١١٣٧ هـ)، *روح البيان*، ط١، ١٠ م، (تحقيق: الشيخ أحمد عبيدو عنایة)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- البغوي، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ)، *لباب التأويل في معلم التنزيل*، ط٤، ٨ م، (تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسلیمان مسلم الحرش)، دار طيبة، الرياض، ١٤١٧ هـ -

١٩٩٧ م.

- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ)، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، ط١، م، (تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدى)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- البيضاوى، عبد الله بن عمر (ت ٦٩١ هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ط١، م، (إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)، *شعب الإيمان*، ط١، م، (تحقيق: محمد السعيد بسيونى زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ هـ.
- الترمذى، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، *السنن: الجامع الصحيح*، م، (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- التهانوى، محمد علي بن علي (ت ١١٥٩ هـ)، *كشاف اصطلاحات الفنون*، (وضع حواشيه: أحمد حسن سج)، ط١، م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- الشعابى، عبد الرحمن بن مخلوف بن طلحة (ت ٨٧٥ هـ)، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، م، مؤسسة الأعلمى، بيروت.
- الجامعة الإسلامية، *مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة*، العدد (٤٨).
- الجرجانى، علي بن محمد بن علي (ت ٣٩٨ هـ)، *التعريفات*، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ت ٧٣٣ هـ)، *تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام*، ط٣، دار الثقافة، قطر، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الجمال، د. محمد عبد المنعم، *التفسير الفريد للقرآن المجيد*، الأزهر، مصر، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
- الجمحى، محمد بن سلام (ت ٢٣١ هـ)، *طبقات فحول الشعراء*، ب.ط، م، (قراء وشرحه: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدنى، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- الجمل، سليمان بن عمر (ت ١٢٠٤ هـ)، *الفتوحات الإلهية*، دار إحياء التراث العربي مصورة عن الطبعة الميمنية، بيروت، ١٣٧٧ هـ.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، *زاد المسير في علم التفسير*، ط٣، م، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

- الجوهرى، أبو العباس إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، **الصّاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٤، ٦م، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- أبو الحاج، د. صلاح محمد سالم، **المنهج الفقهي للإمام الكنوى**، ط١، دار النفائس، عمان، الأردن، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- حامد محمد المصلح، **المعاصي وأثارها على الفرد والمجتمع**.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان**، ط٢، ١٨م، (تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- حبّكة، عبد الرحمن حسن (ت ١٩٧٨هـ)، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ط١، ٢م، دار القلم، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- حجازي، د. محمد محمود، **التفسير الواضح**، ط١، ٢م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، **تهذيب التهذيب**، ط١، ٤م، (باتجاه: إبراهيم الزبيق، وعادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، ط١٢، ١٤م، (بترقيم: محمد فؤاد الباقى)، دار الفكر.
- حسن، محمود عبد الكريم، **التغيير حتمية الدولة الإسلامية**، ط٢، دار الأمة، الجزائر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- **معجم البلدان**، ط٥، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **الحوالى**، الشيخ سفر الحوالى، موقع فضيلة الشيخ سفر الحوالى، الموقع الإلكتروني: www.alhwali.com
- أبو حيّان، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، ب.ط، (عنابة: الشيخ زهير جعید)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ط١، دار النفائس، عمان، الأردن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- دروزة، محمد عزة (ت ١٤٠٥هـ)، **التفسير الحديث**، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١هـ)، **الصّمت وآداب اللسان**، ط١، (تحقيق: أبو

- إسحاق الحويني)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٨٤ هـ)، سير أعلام النبلاء، ط١، ٢٥ م، (تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، حسين الأسد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ)، التفسير الكبير: مفاتيح الغيب، ط٢، ١١ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- التفسير الكبير: مفاتيح الغيب، ط٤، ١١ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ)، مختار الصحاح، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- الراغب، الحسين بن محمد (ت ٤٠٣ هـ)، معجم مفردات لفاظ القرآن، ط١، (تحقيق: يوسف الشیخ محمد البقاعي)، دار الفكر، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- الزعلاني، صلاح الدين، المفاعة عند النهاة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- د. علي عبد الرحيم محمود، فقة الدعوة إلى الله. فقه المسؤولية.
- الصناعي، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١ هـ)، مصنف عبد الرزاق، ط٢، ١١ م، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٣٠ م، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، أساس البلاغة، (تحقيق: عبد الرحيم حمود)، دار المعرفة، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤ م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت ٩٧٦ م)، الأعلام، ط٥، ٨ م، دار العلم للملائين، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- زيدان، د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ط٣، دار العرفان، قطر، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ)، السنن، ٤ م، (تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد)، دار الفكر، بيروت.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ)، **بُهجة قلوب الأبرار وقُرّة عيون الأخيار** في شرح جوامع الأخبار، ط١، (المحقق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريري)، مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (تحقيق: عبد الرحمن بن معاً اللويح)، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السمرقندى، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٧٥هـ)، بحر العلوم، ٣م، (تحقيق: د. محمود مطرجي)، دار الفكر، بيروت.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، **الذر المصنون في علوم الكتاب المكنون**، ط١، ١١م، (تحقيق: د. أحمد محمد الخراط)، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، **الإنقان في علوم القرآن**، ط١، ٥م، (تحقيق: د. محمود أحمد قيسية، ومحمد أشرف سيد سليمان الأتاسي)، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ب. ط٢م، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان).
- **الذر المنثور في التفسير المأثور**، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى القرشى المطلاوى (ت ٢٠٤هـ)، الأم، (اعتنى به: حسان عبد المنان)، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية.
- الشامي، صالح أحمد، **مواعظ الإمام الشافعى**، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الشرقاوى، د. أحمد محمد، **يتمة الدهر في تفسير سورة العصر**، مكتبة الشرقاوى الحديثة، مصر.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراءة من علم التفسير**، ط١، ٥م، (تحقيق: سيد بن إبراهيم)، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ)، **المصنف**، ط١، ٦م، (تحقيق حمَد بن عبد الله ومحمد بن إبراهيم)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، ط٤، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الصّاوي، أحمد بن محمد الصّاوي المصري الخلوقى المالكى (ت ١٢٤١هـ)، **حاشية الصّاوي على**

- تفسير الجلالين**، دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بمصر، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.
- الصّلابي، د. علي محمد، **فقه التمكين في القرآن الكريم**، ط١، دار البيارق، عمان، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الطّاهر، د. علي جواد، **منهج البحث الأدبي**، ط٢، مكتبة النهضة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- الطّبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ)، **مسند الشاميين**، ط١، ٤م، (تحقيق: حمدي السلفي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
- المعجم الأوسط، ١٠م، (تحقيق: طارق بن عوض الله محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني)، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- المعجم الكبير، ط٢٥، ٢٥م، (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي)، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- الطّبرى، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت ٣١٠ هـ)، **تاريخ الأمم والملوک**، ط١، ١١م، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار سويدان، بيروت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٢٤م، (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الرسالة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- **التفسير الوسيط لقرآن الكريم**، نهضة مصر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي (ت ٨٨٠ هـ)، **الباب في علوم الكتاب**، ط١، ٢٠م، (تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمود معوض، ود. محمد سعيد رمضان حسن، ود. محمد متولي الدسوقي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ابن عاشور، محمد الطّاهر بن محمد (ت ١٣٩٣ هـ)، **التحرير والتنوير**، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر، بيروت.
- ابن عجيبة، أحمد بن محمد المهدي الحسيني (ت ١٢٢٤ هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ط١، ٨م، (تحقيق: عمر أحمد الراوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد الحنفي (ت ٧٩٢ هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، (تحقيق: أحمد شاكر)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الرياض، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- أبو العز الحنفي، صدر الدين علي بن علي (ت ٧٩٢ هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، مكتبة الملك فهد،

١٤١٨ هـ - ١٩٩٣ م.

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١٥، م١٥١، (تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأننصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم)، الدوحة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- عودة أبو عودة، دلالة الفلاح والفوز في آيات القرآن الكريم، هدي الإسلام، المجلد ٢٩، العدد العاشر، عمان، الأردن، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- الأستاذ عمرو خالد، الصبر والذوق؛ أخلاق المؤمن، ط٤، دار أريج، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- العيني، محمود بن أحمد الغيثابي الحنفي (ت ٨٥٥ هـ)، غمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي (ت ٥٠٥ هـ)، إحياء علوم الدين، ط١، (تحقيق: د. عبد الله الخالدى)، دار الأرقم، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازى (ت ٣٩٥ هـ)، مقاييس اللغة، بـ ط٦، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ)، معانى القرآن، ٣م، (تحقيق: يوسف نجاتى، ومحمد على نجار، وعبد الفتاح إسماعيل شبلى)، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- الفراهيدى، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى البصري (ت ١٧٣ هـ)، كتاب العين، ٨م، (تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي)، دار ومكتبة الهلال.
- الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب الشيرازى (ت ٨١٧ هـ)، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار)، الناشر: محمد توفيق عويسنة، القاهرة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- القاموس المحيط والقاموس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماميط، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، بـ ط٢، م١، (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، دار المعارف، القاهرة.
- ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن (ت ٦٨٩ هـ)، مختصر مناهج القاصدين، ط١، (تحقيق: علي الحلبي)، دار عمار، عمان، الأردن، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠م، (تحقيق: هشام سمير البخاري)، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

- القرضاوي، أ. د. يوسف عبد الله، الإسلام حضارة الغد، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، عمان، دمشق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الصبر في القرآن، ط٢، مكتبة وهبة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- القزويني، محمد بن يزيد بن ماجه (ت ٢٧٣هـ)، السنن، ط٢، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار الفكر، بيروت.
- الفشيري، مسلم بن الحاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، ط١، ٥م، (ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٩٦٦م)، في ظلال القرآن، ط١١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- معلم في الطريق، ط١٠، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- قلعة جي، أ. د. محمد روا قلعة جي، ود. حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، التوبة والإنابة، ط١، (تحقيق: صابر البطاوى)، دار الجليل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- غدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (تصحيح ومراجعة نعيم زرزور)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الفوائد، ط١، (تحقيق: مصطفى العدوى، تحرير: سيد رجب)، دار ابن رجب، مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط١، ٤م، (تحقيق: د. أحمد أبو ملحم، د. علي نجيب، الأستاذ مهدي ناصر الدين، الأستاذ علي عبد الساير)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- تفسير القرآن العظيم، ط٢، ٨م، (تحقيق: سامي بن محمد سلامة)، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ط١، ٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- الكفوبي، أبو البقاء أبوبن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ)، الكليات، (تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٥٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- النَّكَتُ وَالْعَيْنُونُ، ٦٠، (تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (ت ٣٢٤هـ)، السبعة في القراءات، ط٢، (تحقيق: د. شوقي ضيف)، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- مجلة المجتمع، الكويت.
- المحلي والسيوطني، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطني، تفسير الجلالين، ط١، دار الحديث، القاهرة.
- محمد عقله العلي، النّظام الأخلاقي في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان.
- محمد قطب إبراهيم، منهج التربية الإسلامية، دار القلم، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- المراغي، الشيخ أحمد مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، ٣٠، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، ط٢، ١م، (تصحيح وتعليق: أ. د. ف. كرنكو)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- الموقع الإلكتروني: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، www.al-madinah.org
- ابن مسکویہ، أبو علی احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تهذیب الأخلاق وتطهیر الأعراق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- مسلم، د. مصطفى، منهاج المفسرين، ط١، دار المسلم، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعريف، ط١، (تحقيق: د. محمد رضوان الداية)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الانصاري الرويقي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط١٥، ١م، دار صادر، بيروت.
- النابلسي، د. محمد راتب، تأملات في سورة العصر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الموقع الإلكتروني: www.nabulsi.com

- د. ناصر سليمان العمر، **حقيقة الانتصار**.
- النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ١٣٣٨هـ)، معاني القرآن، ط١، ٦م، (تحقيق: محمد علي الصابوني)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- النّسائي، أحمد بن شعيب (ت ٢٣٠٣هـ)، السنن، ط٣، ٥م، (تحقيق عبد الفتاح أبو عذّة)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٤١٤١هـ - ١٩٩٤م.
- النّسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٧١٠هـ)، تفسير النّسفي، ٤م، (تحقيق: مروان محمد الشعار)، دار النّفاس، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- النّووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج، ط٢، ١٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- النّيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت ٨٥٠هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط١، ٦م، (تحقيق: الشيخ زكريا عميران)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- أبو هزيم، د. أحمد فريد، سورة العصر؛ أسرار بيبانية ودلالات تربوية، بحث محكم في الجامعة الأردنية.
- ابن هشام، السيرة النبوية، ٤م، (تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط٢، دار السلسل، الكويت.
- الموقع الإلكتروني، موسوعة ويكيبيديا، <http://ar.wikipedia.org>.
- ياسين، د. محمد نعيم، الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

**THE QURANIC METHODOLOGY OF
PRESENTING THE ISSUES OF SUCCESSION AND LOSS,
ANALYTICAL THEMATIC STUDY**

By

Hamzah Salem issa

Supervisor

Dr. Ahmad Abu Hazeem

ABSTRACT

This study addressed an important topic in the great life of each individual on this earth: success and loss, as shown and explained in the introductory chapter: the meaning of linguistic and terminological success and loss; in order to determine the desirable success and unwanted loss in reality.

Thus success undone unless its reasons done, according to that the first chapter came out to introduce these reasons from the perspective of a Quran issue. The second chapter mainly discuss two cores: first of all the aspects of success and loss in our life and the Hereafter for both, accordingly the believer can get the self confidence to his true destiny, and indeed Allah will make it smooth for the believer the path of ease, and vice versa for the disbeliever.

Secondly: discussing in details the impacts of success and loss in this world and the Hereafter, to be the last chance and sign for the good maker to proceed, and the bad maker to disclaim.

And it has been discussed clearly and concisely – praise be to Allah – without duplicate, but only focusing on the issues of the subject, aspects and impacts; and since this topic is too long and needs I huge effort to explain in details, so I left some of the points that some may consider necessary for the these, since I concentrated my potential in the main points of my these and left the others to be discussed in studies approach dealt that will be more accurate detail.

I have tried all my best to follow the right discussion, and not to depend on the weak quotations or follow – up the agreed on quotations in this field. Any right thing in this study was succeeded by Allah will, but any other defect was made by me. Hoping from our professor to add his right opinion, with Allah help.